

نَيْسِرُ الْوُصُولِ

شَرْحُ

ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ

تَأَلَّفَ

د. عَبْدُ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ الْفَيْصَلِ

إِمَامٌ وَخَطِيبُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ



نَيْبُ الْوَصُولِ

شَرْحُ

ثَلَاثَةِ الْأَصُولِ

ح) عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٤٧هـ

القاسم، عبد المحسن بن محمد

تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول. / عبد المحسن بن محمد القاسم

- ط٤. . - المدينة المنورة، ١٤٤٧هـ

٣٥٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/٣٨٢١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٩٥٥٩-٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

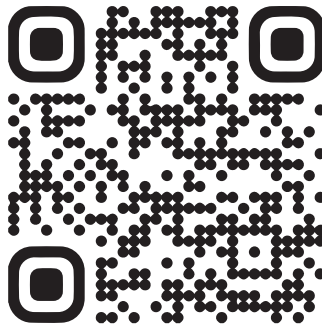
نَيْبَةُ الْوُصُولِ

شَرْحُ

ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ

تَأَلَّفَ  
د. عَبْدُ الْحَكِيمِ مُحَمَّدُ الْإِسْمَاعِيلِي  
إِمَامٌ وَخَطِيبٌ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

إِذَا رَغِبَ إِمَامُ الْمَسْجِدِ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى جَمَاعَةِ الْمَسْجِدِ،  
أَوْ رَغِبَ رَبُّ الْأُسْرَةِ قِرَاءَتَهُ عَلَى أُسْرَتِهِ، أَوْ غَيْرُهُمَا،  
فَقَدْ قُسِّمَ هَذَا الْكِتَابُ إِلَى مَجَالِسَ،  
كُلُّ مَجْلِسٍ يَنْتَهِي بِهِذِهِ الْعَلَامَةُ: \*



<https://a-alqasim.com/books/>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ «ثَلَاثَةَ الْأُصُولِ» للإمامِ المَجْدِدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْفَعِ الْمَتُونِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَقَدْ تَلَقَّاهَا طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَالْعَامَّةُ بِالْحِفْظِ وَالْمُدَارَسَةِ؛ لكونِهَا قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ فِي الْعَقِيدَةِ، وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ ﷻ للإمامِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ حُسْنَ التَّصْنِيفِ، وَدِقَّةَ التَّرْتِيبِ، وَقُوَّةَ الاسْتِدْلَالِ مَعَ جِزَالَةِ اللَّفْظِ وَجَمَالِ الْبَيَانِ، وَقَدْ جَاءَتْ «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ» شَامِلَةً لَذَلِكَ كُلِّهِ، قَالَ عَنْهَا حَفِيدُ الْمَصْنُفِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَا أَعْظَمَ نَفْعُهَا عَلَى اخْتِصَارِهَا لَطَالِبِ الْهُدَى»<sup>(١)</sup>.

موضوع  
«ثلاثة الأصول»

ففيها الْأُصُولُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا، وَهِيَ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَأَنْوَاعُ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَرَاتِبُ الدِّينِ، وَأَرْكَانُ كُلِّ مَرْتَبَةٍ، وَمَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي نَبْذَةِ مِنْ حَيَاتِهِ، وَالْحِكْمَةُ مِنْ بَعْثِهِ، وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَرُكْنَا التَّوْحِيدِ - وَهُمَا: الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ -.

(١) الدُّرَرُ السَّيِّئَةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٤/٣٣٨).

ولكونها قاعدة نافعة في العقيدة؛ فقد كان الإمامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ يُلقِّنُهَا الطَّلَبَةَ وَالْعَامَّةَ، قال الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وقد كان الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: يُلقِّنُ الطَّلَبَةَ وَالْعَامَّةَ هذه الْأُصُولَ، ليدرسوها ويحفظوها، ولتستقرَّ في قلوبهم؛ لكونها قاعدة في العقيدة»<sup>(١)</sup>. وكانت تُقرأ على الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ وَيُشْرَحُهَا كُلَّ يَوْمٍ<sup>(٢)</sup>.

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ  
بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ  
يُلقِّنُ الطَّلَبَةَ  
وَالْعَامَّةَ «ثَلَاثَةَ  
الْأُصُولِ»

وقد صُدِّرَتْ «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ» بثلاثِ رسائلٍ نافعةٍ عظيمةٍ للإمامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ هي قواعد في الدِّينِ، وَضَعَهَا هُنَا بَعْضُ تَلَامِذَتِهِ مُقَدِّمَةً لثَلَاثَةِ الْأُصُولِ:

رسائلُ صُدِّرَتْ  
بِهَا «ثَلَاثَةُ  
الْأُصُولِ»

الأولى منها: في وجوب العلم، والعمل به، والدَّعوة إليه، والصَّبْرُ على الأذى فيه.

والثَّانية: في توحيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، والإيمانِ بالرَّسُولِ ﷺ وطاعته، وتوحيدِ الألوهِيَّةِ، والولاءِ والبراءِ.

والثَّالثة: في بيان التَّوْحِيدِ وَضَدَهُ.

وبذلك جاءت «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ» مع الرِّسَالِ الثَّلَاثِ عِقْدًا مُكْتَمَلًا في أَصُولِ الدِّينِ، وَدُرَّةً مُضِيئَةً لِلْعَابِدِينَ الْمُوَحِّدِينَ، قال

(١) شرح ثلاثة الأصول للشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ (ص ٢١).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ (١/١٢).

عنها الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هذه رسالةٌ مهمَّةٌ في العقيدة»<sup>(١)</sup>.

الوَلَاةُ يَأْمُرُونَ  
الْعَامَّةَ بِتَعَلُّمِ  
«ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ»  
وفهمها

ولأهمَّيَّتها، وغزيرِ نفعِها، وحاجةِ المسلمِ إليها؛ كان العلماءُ يحثُّونَ الوَلَاةَ لِإلزامِ النَّاسِ بِتَعَلُّمِها وفهمِها، قال الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ: «فيلزمُ الأميرُ أَنْ يَأْمُرَ جميعَ المُدرِّسينَ وأئمَّةَ المساجدِ بالحضورِ عند مَنْ يَعْلَمُهم دينَهم، ويلزمهم القراءةَ فيما جَمَعَهُ شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في «كتابِ التَّوْحِيدِ» من أدلَّةِ الكتابِ والسُّنَّةِ التي فيها الفرقانُ بينَ الحقِّ والباطلِ، فقد جمعَ على اختصاره خيراً كثيراً، وضمَّنَه من أدلَّةِ التَّوْحِيدِ ما يكفي مَنْ وفقه الله، وبَيَّنَ فيه الأدلَّةَ في بيانِ الشُّرْكِ الذي لا يغفره الله، ويلزمهم سؤالُ العامَّةِ عن أصولِ الدِّينِ الثَّلاثَةِ بأدلَّتِها، وأربعِ القواعدِ»<sup>(٢)</sup>.

واجبُ أئمَّةِ المساجدِ  
تعليمُ المُصلِّينَ  
«ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ»

وَكَتَبَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ لِأئمَّةِ المساجدِ يَأْمُرُهُمْ بِتَعْلِيمِ جَمَاعَةِ الْمَسْجِدِ «ثَلَاثَةَ الْأُصُولِ»، وَأَنْ يَعْقِدَ لَهُمْ مَجْلِساً يَوْمِيّاً يَسْأَلُهُمْ عَنْهَا، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك عليكم - أي: الأئمَّةُ - تعليمُ الجماعةِ أمرَ الدِّينِ وسؤالَهُمْ عنه، كما في «مختصرِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ»، فيتعيَّنُ على كُلِّ إِمَامٍ مَسْجِدٍ إِبْلَاغُ

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن باز (ص ٢١).

(٢) الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (٤/ ٣٣٨-٣٣٩).

جماعته بذلك، ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم، ويعلمهم ما يخفى عليهم منها»<sup>(١)</sup>.

ولأهمية هذه الرسالة وعظيم نفعها وضعتُ عليها شرحاً سمّيته: «تَيْسِيرُ الْوُصُولِ؛ شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» مُوضَّحاً معانيها، ومُظهِراً مبانيها، ومستشهداً بأقوال الصّحابة والتّابعين وسلف الأئمّة، ذاكراً لأقوال المحقّقين من هذه الأئمّة - كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله -.

سبب تأليف  
هذا الشّرح

أَسْأَلُ اللَّهَ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَيَجْعَلَهُ ذَخِراً لَنَا فِي الْآخِرَةِ.  
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

د. عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدٍ الرَّسَّادُ

إِمَامٌ وَخَطِيبُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

فَرَعْتُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرِ  
عَامِ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ  
فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢/ ٢٧٧).

ترجمة إمام الدعوة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب التيميمي (١)  
عنه

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

---

(١) هذه الترجمة مختصرة من كتابنا: «ترجمة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله».

## اسْمُهُ، وَنَسَبُهُ، وَمَوْلَدُهُ

هو: أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَاشِدٍ بْنِ بُرَيْدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بُرَيْدٍ بْنِ مُشَرَّفٍ، مِنْ بَطْنِ الْوُهَبَةِ مِنْ تَمِيمٍ.

وُلِدَ سَنَةَ (١١١٥هـ) فِي نَجْدٍ<sup>(١)</sup>، فِي بَلَدَةِ «الْعُيَيْنَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) نَجْدٌ: مَوْضِعٌ وَاسِعٌ، قَاعِدَتُهُ وَسَطُ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ؛ وَحُدُودُهُ شِمَالاً: صَحْرَاءُ النُّفُودِ، وَجَنُوباً: الرُّبْعُ الْخَالِي، وَالْجَنُوبُ الْغَرْبِيُّ: مَرْتَفَعَاتُ عَسِيرٍ، وَشَرْقاً: الدَّهْنَاءُ، وَغَرْباً: جِبَالُ الْحِجَازِ.

(٢) الْعُيَيْنَةُ: شِمَالُ الرِّيَاضِ، تَبْعُدُ عَنْهَا خَمْسَةُ وَثَلَاثِينَ (٣٥) كِيلُومِتْرًا.

## أُسْرَتُهُ

مَقَرُّ أُسْرَتِهِ «آل مُشَرَّف»: بلدة أُشِيقَر<sup>(١)</sup>، وقد تَنَقَّلَتْ بَيْنَ عِدَّةِ بُلْدَانٍ، وَبَيَّانَ ذَلِكَ فِي الْآتِي:

١ - جَدُّهُ الشَّيْخُ سَلِيمَانُ: وُلِدَ وَنَشَأَ فِي بَلَدَةِ أُشِيقَر، وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ عِلْمَائِهَا، وَأَخَذَ عَنْهُ بَعْضُهُمْ.

ثُمَّ طَلَبَهُ أَهْلُ رَوْضَةِ سُذِير<sup>(٢)</sup> قَاضِيًا لَهُمْ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْعُيَيْنَةِ، وَصَارَ قَاضِيًا فِيهَا وَاسْتَوَظَنَهَا، وَتَزَوَّجَ فَاطِمَةَ ابْنَةَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ بَسَّامٍ، وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْعُيَيْنَةِ.

٢ - وَالِدُهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْوَهَّابِ: وُلِدَ فِي الْعُيَيْنَةِ، وَنَشَأَ وَتَعَلَّمَ فِيهَا، ثُمَّ صَارَ قَاضِيًا فِيهَا، وَتَزَوَّجَ بِنْتَ مُحَمَّدَ بْنِ عَزَّازِ الْمَشْرِفِيِّ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ ابْنَيْنِ هُمَا: الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ، وَالشَّيْخُ سَلِيمَانُ.

ثُمَّ انْتَقَلَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْوَهَّابِ إِلَى حُرَيْمَلَاءَ<sup>(٣)</sup>، وَمَكَثَ فِيهَا قَاضِيًا مِنْ عَامِ (١١٣٩هـ) إِلَى وَفَاتِهِ عَامِ (١١٥٣هـ).

٣ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ: ارْتَحَلَ مِنْ حُرَيْمَلَاءَ إِلَى

(١) أُشِيقَر: شَمَالُ غَرْبِ الرِّيَاضِ، تَبْعُدُ عَنْهَا مِائَتِي (٢٠٠) كِيلُومِترًا.

(٢) رَوْضَةُ سُذِير: شَمَالُ غَرْبِ الرِّيَاضِ، تَبْعُدُ عَنْهَا مِائَةُ وَثَمَانِينَ (١٨٠) كِيلُومِترًا.

(٣) حُرَيْمَلَاءُ: شَمَالُ غَرْبِ الرِّيَاضِ، تَبْعُدُ عَنْهَا خَمْسَةُ وَثَمَانِينَ (٨٥) كِيلُومِترًا.

الْعُيَيْنَةُ، وتزوّج الجوهرة بنت عبد الله بن مُعَمَّر - عمّة أمير العُيَيْنَةِ عثمان بن مُعَمَّر -، ومكث فيها مدّة، ثمّ خرج إلى الدَّرْعِيَّة<sup>(١)</sup> واستقرّ فيها حتى وفاته.

وللشيخ رحمه الله ستّة أبناء، وهم: عليّ، وعبد الله، وحسن، وحسين، وإبراهيم، وعبد العزيز. وله بنات.

وأُسْرَتُهُ تَنَحَدِرُ من أبناؤه الأربعة: عليّ، وعبد الله، وحسن، وحسين، أمّا إبراهيم وعبد العزيز فليس لهما عَقَب.

---

(١) الدَّرْعِيَّة: تقع شمال غرب الرّياض، وهي الآن ملتصقة بها.

## نَشَأَتُهُ

نَشَأَ فِي بَيْتِ عِلْمٍ وَدِينٍ وَصَلَاحٍ، فَعُمُّ جَدُّهُ الثَّالِثُ، وَابْنُ عَمِّ جَدُّهُ الثَّالِثُ، وَجَدُّهُ، وَأَبُوهُ، وَأَخُوهُ، وَابْنُ أَخِيهِ، وَعَمَّاهُ، وَابْنُ عَمِّهِ، وَابْنُ عَمَّتِهِ، وَخَالَهُ؛ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي الْآتِي:

١ - عُمُّ جَدُّهُ الثَّالِثُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ بُرَيْدٍ: مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَطْوَةَ<sup>(١)</sup>.

٢ - ابْنُ عَمِّ جَدُّهُ الثَّالِثُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ بُرَيْدٍ: مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَطْوَةَ.

٣ - جَدُّهُ سَلِيمَانُ: مُفْتِي نَجْدٍ فِي زَمَانِهِ وَرَأْسُ عِلْمَائِهَا، وَأَوْسَعُهُمْ عِلْمًا، صَنَّفَ، وَدَرَّسَ، وَوَلَّى قِضَاءَ رَوْضَةِ سُدَيْرٍ، ثُمَّ الْعِيْنَةَ، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِإِمَامِ الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ فِي مِصْرَ الشَّيْخِ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ الْبُهْوتِيِّ، وَاجْتَمَعَ بِهِ فِي مَكَّةَ عَامَ (١٠٤٩هـ).

قَالَ حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ أَفْقَهَ مَنْ نَزَلَ نَجْدًا فِي وَقْتِهِ، فَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) هو: أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَطْوَةَ بْنِ زَيْدِ التَّمِيمِيِّ، عَالِمٌ نَجْدِيٌّ وَمُفْتِيهَا، وَلَدَ فِي الْعِيْنَةِ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَنْ عِلْمَائِهَا، وَمِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْمُرْدَاوِيُّ صَاحِبُ «الْإِنْصَافِ» (ت ٨٨٥هـ)، نَشَرِ الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ فِي نَجْدٍ، وَهُوَ أَوَّلُ عَالِمٍ نَجْدِيٍّ تَصَلَّى إِلَيْنَا أَخْبَارُهُ وَمُؤَلَّفَاتُهُ، تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْجُبَيْلَةِ - بِالْقُرْبِ مِنَ الْعِيْنَةِ - سَنَةَ (٩٤٨هـ). مِجْلَةُ الدَّارَةِ، الْعِدَدُ الرَّابِعُ، السَّنَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ، (ص ١٣١).

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوِبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٦/١٢).

٤ - والده عبد الوهَّاب: فقيهٌ وعالمٌ كبير، كان مفتي العُيُنة وما حولها، تولَّى قضاء العُيُنة أربعة عشر عاماً؛ من عام (١١٢٥هـ) إلى عام (١١٣٩هـ)، ثمَّ انتقل إلى حُرَيْمَلاء، وولَّى قضاءها أربعة عشر عاماً إلى وفاته عام (١١٥٣هـ).

٥ - أخوه سليمان بن عبد الوهَّاب: كان فقيهاً وقاضياً في حُرَيْمَلاء.

٦ - ابن أخيه عبد الله بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والورع.

٧ - ابن أخيه عبد العزيز بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والورع.

٨ - عمُّه إبراهيم بن سليمان: فقيه، وليَّ القضاء في أُشِيقَر، وكان يسافر إلى ما حولها من البلاد؛ لحاجتهم إليه في الإفتاء، ويوثَّق ما يقع بينهم من معاملات، وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه وأثبتته.

٩ - عمُّه الثاني أحمد بن سليمان: من العلماء.

١٠ - ابنُ عمِّه عبد الرَّحْمَنِ بن إبراهيم: كان عالماً فقيهاً.

١١ - ابن عمِّته الشَّيْخ عبد الله بن مُحَمَّد ابن فيروز، أبو مُحَمَّد الكفيف الأحسائي، من كبار علماء الأحساء<sup>(١)</sup>.

(١) الأحساء: شرق الرياض، تبعد عنها ثلاث مئة وعشرين (٣٢٠) كيلومتراً.

١٢ - خاله سيف بن مُحَمَّد بن عَزَّاز: من الفقهاء، تَصَدَّى للإفتاء والتَّدریس.

قال ابن بَسَّام رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو مِنْ بيتِ عِلْمٍ كبيرٍ، قد تَوَارَثُوهُ أَباً عن جَدٍّ»<sup>(١)</sup>.

ولا أَعْرِفُ في التَّاريخ أُسْرَةَ بقي العِلْمُ في آبائهم وأبنائهم خمسة قرون متتابعة سواها.

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/١٢٧).

## أَخْلَاقُهُ

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ دَمَثَ الْأَخْلَاقِ، رَفِيعَ التَّعَامُلِ، مُتَحَلِّياً بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْآتِي:

١ - يُحِبُّ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ؛ فَقَدْ كَانَ لَجَدِّهِ الشَّيْخِ سَلِيمَانَ بَسْتَانَانَ فِي أَشَقَرٍ، فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمَا بَعْضُ النَّاسِ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ جَاءَ أَحَدَ الْمُسْتَوَلِينَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: «يَا شَيْخَ، بِأَيْدِينَا سَبُلٌ لَكُمْ<sup>(١)</sup>، وَأَبِيكَ<sup>(٢)</sup> تَمْضِيهَا لِي<sup>(٣)</sup>»، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا اسْتَخَصْتَنَا أَوَّلَ، وَلَا نَحْنُ بِجَابِيْنِكَ فِيهَا تَالِي<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

٢ - يَحُثُّ الْآخَرِينَ عَلَى الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرْتُ مِنْ طَرَفِ مِرَاسَلَةِ سَلِيمَانَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنَّهَا تَزَعْلُكَ<sup>(٦)</sup>: أَوَّلًا: أَنَّهُ لَوْ خَالَفَ فَمِثْلُكَ يَحْلُمُ، وَلَا يَأْتِي بِغَايَتِهِ هَذَا وَلَا أَكْثَرَ مِنْهُ، وَثَانِيًا: إِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ كَلَامَهُ مَا لَهُ فِيهِ قَصْدٌ إِلَّا الْجَهْدَةُ<sup>(٧)</sup> فِي الدِّينِ وَلَوْ صَارَ مُخْطِئًا، فَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ؛ وَالَّذِي هَذَا مَقْصِدُهُ يُغْتَفَرُ لَهُ وَلَوْ جَهْلٌ

(١) أَي: وَقَفَّ. (٢) أَي: أُرِيدَكَ.

(٣) أَي: تَجِيزُهَا فَتَكْتُبُ أَنَّهَا لَنَا.

(٤) أَي: لَمْ تَأْخُذْ إِذْنَنَا حِينَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا، وَلَنْ نَأْتِيَكَ بَعْدَ اسْتِيلَاكَ عَلَيْهَا.

(٥) عُلَمَاءُ نَجَدٍ خِلَالِ ثَمَانِيَةِ قُرُونٍ (١/١٢٨).

(٦) الزَّلْعَلُ: الضَّيْقُ وَالضُّجْرُ.

(٧) أَي: بِذَلِكَ الْوَسْعِ.

عليك، وَنَحْنُ مُلْزَمُونَ<sup>(١)</sup> عليك لَزْمَةٌ جَيِّدَةٌ، وَرُبُّكَ وَنَبِيُّكَ وَدِينُكَ لَزَمْتُهُمْ لَزْمَةٌ تَتَلَاشَى فِيهَا كُلُّ لَزْمَةٍ<sup>(٢)</sup>.

٣ - يُحْسِنُ إِلَى مَنْ يُسِيءُ إِلَيْهِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُكَ: أُرِيدُ أَمَانًا عَلَى كَذَا وَكَذَا؛ فَأَنْتَ مُخَالَفٌ، وَالْخَاصُّ وَالْعَامُّ يَفْرَحُونَ بِمَجِيئِكَ، مِثْلَمَا فَرَحُوا بِمَجِيئِ ابْنِ غَنَّامٍ، وَالْمَنْقُورِ، وَابْنِ عُضَيْبٍ؛ مَعَ أَنَّ ابْنَ عُضَيْبٍ أَكْثَرُ النَّاسِ سَبًّا لِهَذَا الدِّينِ إِلَى الْآنِ، وَرَاحُوا مُوقِّرِينَ مُحْشُومِينَ<sup>(٣)</sup>، كَيْفَ لَوْ تَجِيءُ أَنْتَ؟ كَيْفَ تَظُنُّ أَنَّ يَجِيئُكَ مَا تَكْرَهُ؟! فَإِنْ أَرَدْتَ تَجْدِيدَ الْأَمَانِ عَلَى مَا بَغَيْتَ؛ فَاتَّكِبْ لِي<sup>(٤)</sup>.

٤ - إِنْ عَاتَبَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَيُعَاتِبُهُ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَلَّ إِلَيْنَا مِنْ نَاحِيَتِكُمْ مَكَاتِيبٌ<sup>(٥)</sup>، فِيهَا إِنْكَارٌ وَتَغْلِيظٌ عَلَيَّ، وَلَمَّا قِيلَ: إِنَّكَ كَتَبْتَ مَعَهُمْ، وَقَعَ فِي الْخَاطِرِ بَعْضُ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ نَشَرَ لَكَ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ، وَأَنْزَلَ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ لَكَ مِنَ الْمَحَبَّةِ مَا لَمْ يَوْثِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ<sup>(٦)</sup>.

٥ - يُرَاعِي مَشَاعِرَ الْآخَرِينَ، وَيَخْشَى أَنْ يُفْهَمَ كَلَامُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ؛ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يَدْخُلُ خَوَاطِرُكُمْ<sup>(٧)</sup> غِلْظَةُ هَذَا الْكَلَامِ، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ قَصْدِي بِهِ<sup>(٨)</sup>.

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٦١ / ٢).

(٤) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٨٠ / ١٠).

(٦) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٣٥ / ١).

(١) أَي: مُؤَكَّدُونَ.

(٣) أَي: مُكَرَّمِينَ.

(٥) أَي: رِسَائِلَ.

(٧) أَي: فِي أَنْفُسِكُمْ.

(٨) رُوضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٤١٧ / ١).

٦ - كان وفياً مع مَنْ أحسن إليه، فلا ينسى معروف أهل الفضل؛ طلب أمير العيينة عثمان بن معمرٍ من الشيخ الخروج من العيينة، ولمّا خرج الشيخ إلى الدّرعيّة ونصره الإمام مُحَمَّد بن سعود وظهر أمره، ندّم عثمان بن معمرٍ على خروج الشيخ من بلده، فطلب منه الرجوع إليه في العيينة ووعدّه بنصره، فقال الشيخ: «ليس ذلك إليّ، إنّه لمُحَمَّد بن سعود؛ فإنّ أراد أن أذهب معك ذهبْتُ، وإنّ أراد أن أُقيم عنده أقمتُ، ولا أستبدل برجل تلقّاني بالقبول غيره»<sup>(١)</sup>.

٧ - كان شديد التّواضع، قال ابن بشرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما عَلِمْنَا أحداً أَلَيْن ولا أَخْفَضَ منه جانباً لطالب علم، أو سائل، أو ذي حاجة، أو مقتبس فائدة»<sup>(٢)</sup>.

قال الجدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَجْمَعَ أئمّة الدّين في زمانه، وبعد زمانه، على تقدّمه في شأنه ونُبْلِهِ، وعُلُوّ مقامه ومكانه»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ نجد (ص ٨٢).

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ١٨١).

(٣) الدرر السنيّة في الأجوبة التّجديّة (١٦/ ٣١٤).

## سَلَامَةٌ صَدْرِهِ

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَلِيمَ الصَّدْرِ، لَا يَحْسَدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي الْآتِي:

١ - يَتَحَاشَى أَنْ يُسِيءَ لِأَحَدٍ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَخَافُ أَطْوَلَ الْكَلَامِ، فَيَجْرِي فِيهِ شَيْءٌ يُزَعِّلُكُمْ»<sup>(١)</sup>.

٢ - يُكَدِّرُ خَاطِرَهُ ضَجْرُ الْآخِرِينَ مِنْهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي يُكَدِّرُ الْخَاطِرَ زَعْلُكُمْ، وَإِظْهَارُكُمْ لِلنَّاسِ الزَّعْلَ وَالتَّعْيِيرَ؛ بِسَبَبِ ظَنِّ سُوءٍ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - يَتَضَايِقُ مِنْ اسْتِيَاءِ الْآخِرِينَ مِنْهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَخْفَاكُمْ أَنْ مَعِيَ غِيظًا عَظِيمًا، وَمُضَايَقَةً مِنْ زَعْلِكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

٤ - يُحِبُّ مَنْ يُنَبِّهُهُ؛ لِئَلَّا يَبْقَى فِي خَاطِرٍ أَحَدٍ شَيْءٌ عَلَيْهِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنْ كَانَ بَلَغَكَ عَنِّي شَيْءٌ، فَتَنَبِّهْنِي جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا»<sup>(٤)</sup>.

٥ - يَحُثُّ الْآخِرِينَ أَنْ لَا يَبْقَى فِي خَاطِرِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا وَيُنَبِّهُونَهُ عَلَيْهِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنْ كَانَ جَارِيًا مِنِّي شَيْءٌ تَنَقُّدُهُ»<sup>(٥)</sup>، فَتَرَانِي أَحَبُّ أَنْ تُنَبِّهَنِي عَلَيْهِ، لَا تَتْرَكَ بَيَانَ شَيْءٍ فِي خَاطِرِكَ مِنْ قِبَلِي»<sup>(٦)</sup>.

(١) الدُّرَرُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٥٤/٨).

(٢) الرِّسَالَةُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٣١٨).

(٣) الرِّسَالَةُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٣١٥).

(٤) الدُّرَرُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٥٧/٨).

(٥) أَي: تَعْيِيهِ عَلَيَّ. (٦) الرِّسَالَةُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٣١٩).

٦ - يُحِبُّ أَنْ يَنْصَحَهُ أَحَدٌ كُلَّمَا غَلِطَ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَا أَجِدُ فِي نَفْسِي أَنْ وَدِّي مَنْ يَنْصَحُنِي كُلَّمَا غَلَطْتُ»<sup>(١)</sup>.

٧ - يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ إِنْ رَأَوْا مِنْهُ شَيْئاً عَلَيْهِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ مَذَاكِرَتَهُ وَمَنَاصِحَتَهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ مَعَهُمْ، أَوْ مَعَنَا شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ وَشَيْءٌ مِنَ الْبَاطِلِ، أَوْ مَعَنَا غُلُوٌّ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ؛ فَالْوَاجِبُ مِنْكَ مُذَاكِرَتَنَا وَنَصِيحَتَنَا»<sup>(٢)</sup>.

٨ - يَذْكُرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ إِنْ نَبَّهَهُ أَحَدٌ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي خَاطِرِهِ شَيْءٌ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنْ كَانَ مَذْكُوراً لَكُمْ أَنِّي قَائِلٌ شَيْئاً، أَوْ قَائِلٌ أَحَدٌ يَحْضُرُنِي كَلَامَ سَوْءٍ وَلَا رَدِّتَ عَلَيْهِ، فَاذْكُرُوا لِي؛ تَرَى التَّنْبِيهَ حَسَنَ، وَلَا يَدْخُلُ خَاطِرِي إِلَّا رُبَّمَا أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ مَحَبَّةٌ وَصَفْوٌ»<sup>(٣)</sup>.

٩ - لَا يَحْسُدُ أَحَدًا؛ بَلْ يَذْكُرُ مَحَاسِنَهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَنتُ أَحْكِي لِمَنْ يَتَعَلَّمُ مِنِّي: مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ حَسَنِ الْفَهْمِ، وَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ»<sup>(٤)</sup>.

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنِ ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمَعَ بَيْنَ خَلَّتِي الْعِلْمَ وَالْحَسَبَ وَالنَّسَبَ، وَالْعَقْلَ وَالْفَضْلَ، وَالْخُلُقَ وَالْخُلُقَ، مَعَ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَاللُّطْفِ وَالرَّفْقِ، وَحُسْنِ النِّيَّةِ، وَطِيبِ الطَّوَيَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/٤٢٣).

(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/٤٤٢).

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٣١٨).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٢٥٠).

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/٣٢٣).

## صِفَاتُهُ

جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ مَا أُوجِبَتْ لَهُ الْقَبُولُ، فَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَحَلَّى بِصِفَاتٍ جَلِيلَةٍ؛ مِنْهَا:

- ١ - كَانَ ذَا رَأْيٍ سَدِيدٍ، وَفِرَاسَةٍ.
- ٢ - كَانَ سَمَحاً جَوَاداً كَرِيماً.
- ٣ - كَانَ عَطَاؤُهُ عَطَاءَ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ.
- ٤ - كَانَ يَتَحَمَّلُ الدِّينَ الْكَثِيرَ لِأَضْيَافِهِ وَسَائِلِيهِ وَالْوَافِدِينَ عَلَيْهِ.
- ٥ - كَانَ بَيْتُ الْمَالِ تَحْتَ يَدِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ وَرِعاً مُتَعَفِّفاً، وَلَمْ يُخَلِّفْ لَوَرَثَتِهِ شَيْئاً، قَالَ تَلْمِيزُهُ ابْنُ غَنَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَوَفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا، فَلَمْ يُوزَّعْ بَيْنَ وَرَثَتِهِ مَالٌ وَلَمْ يُقَسَّمْ؛ بَلْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ كَثِيرٌ»<sup>(١)</sup>.
- قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْدُودٌ مِنْ أَكْبَرِ السَّلَفِ الْمَاضِينَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رَوْضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (٢/٩٠٣).

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/١٦).

## ذَكَاءُهُ

كان شديد الذكاء، سريع الحفظ، حادَّ الفهم، قويَّ الإدراك، وممَّا يدلُّ على ذلك :

١ - حَفِظَ الْقُرْآنَ قَبْلَ بُلُوغِهِ سِنِّ الْعَاشِرَةِ.

٢ - حَفِظَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «بَرَعَ فِي الْحَدِيثِ وَحَفِظَهُ، فَقَلَّ مَنْ يَحْفَظُ مِثْلَهُ، مَعَ سُرْعَةِ اسْتِحْضَارِهِ لَهُ وَقْتَ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ»<sup>(١)</sup>.

٣ - ظَهَرَ نُبُوغُهُ مُبَكَّرًا، فَقَدْ أُرْسِلَ وَالِدُهُ رِسَالَةً إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْمَنْقُورِ، وَفِي آخِرِهَا يُبَلِّغُهُ سَلَامَ ابْنِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَعُمُرُهُ أَقَلُّ مِنْ عَشْرِ (١٠) سِنَوَاتٍ<sup>(٢)</sup>.

٤ - قَدَّمَهُ وَالِدُهُ إِمَامًا لِلصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَعُمُرُهُ اثْنَا عَشَرَ (١٢) عَامًا.

٥ - كَانَ يُنَاطِرُ أَبَاهُ وَعَمَّهُ وَعُمُرُهُ اثْنَا عَشَرَ (١٢) عَامًا فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ بِالْدَّلِيلِ عَلَى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَالْوُجُوهِ عَنِ الْأَصْحَابِ، وَنَاطَرَهُمَا فِي مَسَائِلَ قَرَأَهَا فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ» وَ«الْمُغْنِي» وَ«الْإِنْصَافِ»؛ لَمَا فِيهَا مِنْ مَخَالَفَةٍ مَا فِي مَتْنِ «الْمُنْتَهَى» وَ«الْإِقْنَاعِ».

(١) الدَّرَرُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١٦/٣٢٣).

(٢) الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْمَنْقُورُ تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ (١١٢٥هـ)، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَلِدَ عَامَ (١١١٥هـ).

٦ - عَجِبَ أَهْلُهُ مِنْ فِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ، قَالَ أَخُوهُ سَلِيمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ أَبُوهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ فَهْمِهِ، وَيَعْتَرِفُ بِالْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ»<sup>(١)</sup>.

٧ - كَانَ ذَا نَبَاهَةٍ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَحَدِ خُصُومِهِ: «وَلَيْسَ الَّذِي يَذْكُرُ هَذَا عَنْكَ بَعِثَرَةً»<sup>(٢)</sup> وَلَا عَشْرِينَ وَلَا ثَلَاثِينَ، وَلَا أَنْتَ بِمُتَخَفٍّ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ تَظُنُّ فِي خَاطِرِكَ أَنَّ هَذَا يَخْفَى عَلَيَّ وَأَنَا أَصَدِّقُكَ إِذَا قُلْتَ مَا قُلْتَ؟!«<sup>(٣)</sup>.

٨ - كَانَ يَعْرِفُ خُطُوطَ النَّاسِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا مِنْ بَابِ السُّؤَالَاتِ، وَأَنْتُمْ بَلَّغْتُمْ أَنْيَّ ظَانُّ أَنَّهَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، فَهَذَا عَجَبٌ؛ كَيْفَ تَظُنُّونَ أَنْيَّ مَا أَعْرِفُ خَطَّ ابْنِ صَالِحٍ؟!«<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمِعَ مِنْ وَالِدِهِ وَمِنْ فُقَهَاءِ نَجْدٍ فِي وَقْتِهِ، وَاشْتَهَرَ عِنْدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالذِّكَاةِ، وَعُرِفَ بِهِ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص ١٧).

(٢) أي: عشرة رجال.

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٢٨٠).

(٤) الرسائل الشخصية (ص ٣١٨).

(٥) مصباح الظلام (١/ ٤٩).

## عِبَادَتُهُ

- كان الشيخ رحمه الله إلى جانب علمه عابداً، ومن ذلك ما يأتي:
- ١ - يُذَكِّرُ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ بِالْإِخْلَاصِ، قَالَ رحمه الله: «الواجب على الكلِّ - مِنَّا وَمِنْكُمْ - أَنَّهُ يَقْصِدُ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.
  - ٢ - كَانَ يُحِبِّي كَثِيراً مِنَ اللَّيْلِ بِالصَّلَاةِ.
  - ٣ - كَانَ مُكْثِراً مِنْ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي دُجَى الظَّلَامِ.
  - ٤ - كَانَ فِي النَّهَارِ يَشْتَغُلُ بِالتَّدْرِيسِ وَالتَّصْنِيفِ.
  - ٥ - كَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ لِلَّهِ، قَلَّمَا يَفْتُرُ لِسَانُهُ مِنْ قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، وَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ، يَعْلَمُونَ إِقْبَالَهِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَرَوْهُ؛ مِنْ كَثَرَةِ لَهْجِهِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ.
- قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنِ ابن قاسم رحمه الله: «كَانَتْ حَالُهُ رحمه الله فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ مَشْهُورَةً بَيْنَ الْأَنَامِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/٥٦).

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١٦/٣٣٩).

## رَحِلَتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

طَلَبَ الْعِلْمَ مُبَكَّرًا قَبْلَ بُلُوغِهِ عَلَى مَشَايخ بَلَدَتِهِ - الْعُيَيْنَةِ - ، ثُمَّ رَحَلَ لَطَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ<sup>(١)</sup> وَالْأَحْسَاءِ مَرَارًا ، وَاجْتَمَعَ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَسَمِعَ وَنَاطَرَ ، وَبَحَثَ وَاسْتَفَادَ ؛ وَبَيَّانُ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي :

- ١ - طَلَبَ الْعِلْمَ فِي الْعُيَيْنَةِ عَلَى وَالِدِهِ وَعَلَى عُلَمَائِهَا .
- ٢ - فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ سَافَرَ لِلْحَجِّ ، ثُمَّ قَصَدَ الْمَدِينَةَ لَطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَمَكَثَ بِهَا شَهْرَيْنِ .
- ٣ - عَادَ لِلْعُيَيْنَةِ ، وَشَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى وَالِدِهِ وَعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْفَقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .
- ٤ - سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ مَرَارًا لَطَلَبِ الْعِلْمِ .
- ٥ - أَخَذَ يَتَرَدَّدُ عَلَى عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، وَقَرَأَ فِيهَا عَلَى الْعُلَمَاءِ الْآتِي ذِكْرُهُمْ :
- أ - الْمُحَدَّثُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيْفِ النَّجْدِيِّ - مِنْ الْمَجْمَعَةِ<sup>(٢)</sup> - ، ثُمَّ الْمَدَنِيِّ .

(١) البصرة: مدينة جنوب شرق بغداد، تبعد عنها خمس مئة وثلاثين (٥٣٠) كيلومتراً.

(٢) المَجْمَعَةُ: شمال غرب الرياض، تبعد عنها مئة وتسعين (١٩٠) كيلومتراً.

ب - مُحَدَّثُ الْحَرَمَيْنِ مُحَمَّدُ حَيَاةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّنْدِيِّ الْمَدَنِيِّ - له حاشية على صحيح البخاري - ، قال عبد اللطيف بن عبد الرَّحْمَنِ بن حسن رَحِمَهُمُ اللَّهُ : «وكان له أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة الله ، والتَّخْلُصِ مِنْ رِقِّ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى ، والاشتغال بالكتاب والسُّنَّةِ»<sup>(١)</sup> .

ج - الْمُحَدَّثُ إِسْمَاعِيلُ بن مُحَمَّدٍ الْعَجْلُونِيُّ الدَّمَشْقِيُّ .

د - الْمُحَدَّثُ عَلِيُّ أَفندي بن صادق الدَّاغِستَانِيّ ، ثمَّ الدَّمَشْقِيُّ .

٦ - رَجَعَ إِلَى الْعُيَيْنَةِ وَمَكَثَ فِيهَا سَنَةً كَامِلَةً .

٧ - رَحَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَطَالَتْ إِقَامَتُهُ بِهَا ، وَقَرَأَ وَكَتَبَ بِهَا كَثِيرًا مِنْ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَاللُّغَةِ ، وَلَازَمَ فِي الْبَصْرَةِ عَالِمًا مِنْ عِلْمَائِهَا الْأَجَلَاءِ ؛ وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَجْمُوعِيُّ الْبَصْرِيُّ .

٨ - رَحَلَ إِلَى الْأَحْسَاءِ ، وَلَقِيَ فِيهَا فُحُولَ الْعُلَمَاءِ ؛ مِنْهُمْ : ابْنُ عَمَّتِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ ابْنُ فَيْرُوزَ .

٩ - رَجَعَ مِنَ الْأَحْسَاءِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، قَالَ حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن حسن رَحِمَهُمُ اللَّهُ : «عَلَتْ هَمَّتُهُ إِلَى طَلَبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ ، فَسَافَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ ، كُلُّ مَرَّةٍ يُقِيمُ بَيْنَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ»<sup>(٢)</sup> .

(١) مصباح الظلام (٢/٢٥٥) .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/٦) .

١٠ - خرج من البصرة قاصداً الحجَّ، ولمَّا قضَى الحجَّ وقف في المُلتَزَم، وسأل الله تعالى: «أن يُظهِرَ هذا الدِّينَ بدعوته، وأن يرزقه القبول من النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

١١ - قَدِمَ المدينة بعد الحجَّ، فأقام بها، وعمل فيها ما يأتي:

أ - حضرَ عندَ عَدَدٍ مِنَ العلماء؛ منهم: المُحدِّثُ مُحَمَّدُ حَيَاة السَّنَدِيُّ، وأخذَ عنه كتب الحديث إجازةً في جميعها، وقراءةً لبعضها.

ب - وَجَدَ فيها بعضَ الحنابلة فانتفع منهم.

ج - كَتَبَ بيده «صحيح البخاري».

د - كَتَبَ بيده «زاد المعاد» لابن القيم؛ أربعة مجلِّدات.

هـ - حَفِظَ «ألفية ابن مالك»، وحضرَ دروسَ النَّحو<sup>(٢)</sup>.

١٢ - قَصَدَ نَجْدًا ووجد والدَه قد ارتحل إلى بلدة حُرَيْمَلاء، فاستقرَّ معه فيها سِنين، واستأنف القراءة على والده، وصار له أوقات خاصَّة يُطالِع فيها كُتُب التَّفْسير والحديث والأصول، وكُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ووجد في كتب هذين الإمامين من العلوم الصَّحيحة، والأقوال المبنية على الكتاب والسُّنة، والتَّحقيق، والأحكام المطابقة للعقل والنَّقل؛ ما زاده بصيرةً وفهمًا وتحقيقًا.

(١) الدُّرَرُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٨/١٢).

(٢) الدُّرَرُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٩/١٢).

١٣ - مجموعُ ما قطعه الشَّيْخُ في رحلاته العلميَّة أكثر من عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) كيلومتر.

قال حفيده الشَّيْخُ عبد الرَّحْمَنِ بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: «المُعَوَّل»<sup>(١)</sup> على ما وَهَبَهُ اللهُ من الفَهْم والحِفْظ، وتمييز الحقِّ من الباطل، ومعرفة حقيقة التَّوْحِيد وما ينافيه من الشُّرْك الأكبر، وسبيل أهل السُّنَّة، ومعرفة ما خالف السُّنَّة من البدع؛ أعطاه اللهُ في ذلك علماً عظيماً، فصار بذلك يُشَبِّه أَكابر علماء السُّنَّة، وما كان عليه السَّلَف الصَّالِح»<sup>(٢)</sup>.

(١) أي: المعتمد.

(٢) الدُّرَر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة (٩/١٢).

## شُيُوخُهُ

خِلَالَ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ، وَرِحَالَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ مِنْهُمْ:

- ١ - وَالِدُهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنُ سَلِيمَانَ.
- ٢ - عَمُّهُ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَلِيمَانَ.
- ٣ - الْمُحَدِّثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيْفِ النَّجْدِيِّ، ثُمَّ الْمَدَنِيِّ.
- ٤ - الْمُحَدِّثُ مُحَمَّدُ حَيَاةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّنْدِيِّ الْمَدَنِيِّ.
- ٥ - الْمُحَدِّثُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي الْعَجْلُونِيِّ الدَّمَشْقِيِّ.
- ٦ - الْمُحَدِّثُ عَلِيُّ أَفْنَدِي بْنِ صَادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّاعِغْطَانِيِّ، ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ، مِنْ مَشَايِخِ الشَّامِ، اجْتَمَعَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.
- ٧ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَجْمُوعِيُّ الْبَصْرِيُّ، قَرَأَ عَلَيْهِ فِي مَدْرَسَةِ الْبَصْرَةِ.
- ٨ - الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّطِيفِ الْعَفَالِقِيُّ الْأَحْسَائِيُّ.
- ٩ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَفَالِقِيُّ الْأَحْسَائِيُّ.
- ١٠ - ابْنُ عَمَّتِهِ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ فَيْرُوزَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْكَفِيفِ الْأَحْسَائِيِّ.

## إِجَازَاتُهُ

بَلَغَ الشَّيْخُ مَنْزِلَةً عَالِيَةً مِنَ الْعِلْمِ، فَأَجَازَهُ الْعُلَمَاءُ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْفَقْهِ وَغَيْرِهَا، وَمِمَّنْ أَجَازَهُ:

١ - الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيْفِ النَّجْدِيِّ ثُمَّ الْمَدَنِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَمِمَّا أَجَازَهُ فِيهِ<sup>(١)</sup>:

أ - «الْحَدِيثُ الْمُسْلَسَلُ بِالْأَوَّلِيَّةِ»؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَا سَمِعَ مِنْهُ بِالسَّنَدِ الْمُتَّصِلِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

ب - «مُسْلَسَلُ الْحَنَابِلَةِ»؛ سَمِعَهُ مِنْهُ بِالسَّنَدِ الْمُتَّصِلِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا اسْتَغْمَلْهُ، قَالُوا: كَيْفَ يَسْتَغْمَلُهُ؟ قَالَ: يُؤَفِّقْهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - الْمُحَدَّثُ مُحَمَّدُ حَيَاةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّنْدِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٣ - الْمُحَدَّثُ عَلِيُّ أَفْنَدِي بْنِ صَادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّاعِسْتَانِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/٢١٠)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/٣١٦).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٦٤٩٤).

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (١٢٠٣٦).

٤ - الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّطِيفِ الْعَفَالِقِيِّ الْأَحْسَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَجَازَهُ الْكَثِيرُ»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «وَسَنَدُهُ الْمُتَّصِلُ بِأَثَمَةِ الْمَذْهَبِ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ، مَعْرُوفٌ مُقَرَّرٌ عَنْدهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مصباح الظَّلام (٢/٢٥٥).

(٢) مصباح الظَّلام (١/٣٥٤).

## غَزَارَةُ عِلْمِهِ

حَصَلَ الشَّيْخُ عِلْمًا غَزِيرًا، فَعَمَّ عِلْمُهُ الْأَنَامَ، وَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ عَلَى مَرِّ الْأَعْوَامِ، وَغَزَارَةُ عِلْمِهِ تَتَبَيَّنُ فِي الْآتِي:

١ - برع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يُسَبَقَ إليها، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَنِ ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وله من المسائل المُسْتَنْبَطَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ فَهْمُ الْفُحُولِ الْأَفَاضِلِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِبْرَازِهِ ذُووُ التَّدْقِيقِ مِنَ الْأُمَثَالِ، تَكَلَّمَ عَلَى غَالِبِ السُّورِ، وَاسْتَنْبَطَ مِنْهَا مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَمْ يُسَبَقَ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

٢ - حَفِظَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَأَكْثَرَ فِي طَلَبِهِ، وَبَرَعَ فِيهِ، وَنَظَرَ فِي الرِّجَالِ وَالطَّبَقَاتِ، وَحَصَلَ مَا لَمْ يُحْصَلْهُ غَيْرُهُ فِي زَمَنِهِ.

٣ - كَانَ عِلْمًا شَامَخًا فِي الْعَقِيدَةِ.

٤ - دَقِيقٌ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَسَائِلِ أَصُولِ الدِّينِ، فَضْلًا عَنْ فُرُوعِهَا، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَضْلُ الْإِشْكَالِ: أَنْكُمْ لَمْ تُفَرِّقُوا بَيْنَ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَبَيْنَ فَهْمِ الْحُجَّةِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَفْهَمُوا حُجَّةَ اللَّهِ مَعَ قِيَامِهَا عَلَيْهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]»<sup>(٢)</sup>.

(١) الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١٦/٣٣٨).

(٢) الرِّسَالَةُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٢٤٤).

٥ - فاق علماء عصره في الفقه .

٦ - كان يُجادِلُ كُلَّ عَالِمٍ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ بِمَذْهَبِهِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « كُلُّ إِنْسَانٍ أَجَادَلُهُ بِمَذْهَبِهِ ؛ إِنْ كَانَ شَافِعِيًّا فَبِكَلَامِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مَالِكِيًّا فَبِكَلَامِ الْمَالِكِيَّةِ ، أَوْ حَنْبَلِيًّا ، أَوْ حَنْفِيًّا ، فَكَذَلِكَ »<sup>(١)</sup> .

وَقَالَ أَيْضًا : « أَنَا أُخَاصِمُ الْحَنْفِيَّ بِكَلَامِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ ، وَالْمَالِكِيَّ ، وَالشَّافِعِيَّ ، وَالْحَنْبَلِيَّ ؛ كُلُّ أُخَاصِمُهُ بِكُتُبِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ عُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِمْ »<sup>(٢)</sup> .

٧ - لَهُ كُلُّ يَوْمٍ مَجَالِسٌ عَدِيدَةٌ فِي التَّدْرِيسِ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ .

٨ - رَحَلَ إِلَيْهِ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ مُخْتَلَفِ النَّوَاحِي .

٩ - كَانَ حَرِيصًا عَلَى جَمْعِ الْكُتُبِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « تَعْرِفُ حَرَصِي عَلَى الْكُتُبِ »<sup>(٣)</sup> .

١٠ - كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَسْتَعِيرُونَ مِنْهُ الْكُتُبَ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَجْمُوعُ ابْنِ رَجَبٍ تَرَى مَا جَاءَنَا ، فَهُوَ عَارِيَةٌ مُؤَدَّاةٌ وَإِنْ لَمْ تَأْتِنَا »<sup>(٤)</sup> .

قَالَ الْجَدُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَنْ طَالَعَ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَاسْتَقْرَأَ سِيرَتَهُ وَمُؤَلَّفَاتِهِ ، عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ أَغْزَرِ النَّاسِ عِلْمًا ، وَأَحَدِهِمْ

(١) الرِّسَالَةُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ١٤٤) .

(٢) رَوْضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١/٤١٤) .

(٣) الرِّسَالَةُ الشَّخْصِيَّةُ (ص ٢٠٧) .

(٤) رَوْضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْهَامِ (١/٤٢٧) .

فَهَمًّا، وَأَنْفَذَهُمْ عَزْمًا وَأَشْجَعَهُمْ؛ بَلْ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ السَّلَفِ، وَهَذِهِ كُتِبَتْ  
وَفَتَاوَاهُ وَرِسَائِلُ دَعْوَتِهِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ؛ وَهُوَ الْمَرْجِعُ فِي وَقْتِهِ فِي سَائِرِ  
الْعُلُومِ وَالْفَتَاوَى»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الدُّرَرُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١٦/٣٣٨).

## تَلَامِيذُهُ

أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ عِدَدٌ مِنَ الطُّلَّابِ مِنْ بَنِيهِ وَبَنِيهِمْ، وَمِنْ أَهْلِ الدَّرْعِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ؛ وَمِنْ أَوْلَئِكَ الطُّلَّابِ:

١ - ابْنُهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - ابْنُهُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - ابْنُهُ الشَّيْخُ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ - ابْنُهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - حَفِيدُهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ - الشَّيْخُ حَمْدُ بْنُ نَاصِرٍ بْنِ مُعَمَّرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ - الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَصِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨ - الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ حَجَّيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُؤَيْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠ - الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَمِيسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١ - الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَامِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلْطَانَ الْعَوْسَجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ - الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٤ - الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

١٥ - الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سُوَيْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

١٦ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ آلِ سُوَيْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

١٧ - الشَّيْخُ حَمَدُ بْنُ رَاشِدٍ الْعُرَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلِيَّ الْقَضَاءِ فِي نَاحِيَةٍ .

وَقَدْ أَخَذَ أَيْضاً عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَمْ يَلِ الْقَضَاءَ مِنَ الْفُقَهَاءِ

وَالْأَعْيَانِ .

## مُصَنَّفَاتُهُ

لِغَزَارَةِ عِلْمِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ تَنَوَّعَتْ مُصَنَّفَاتُهُ فِي مَخْتَلَفِ الْفُنُونِ؛  
ومنها :

١ - في التَّفْسِيرِ: «تفسير سورة الفاتحة»، و«مختصر تفسير سورة الأنفال»، و«مسائل في سورة النُّور»، و«مختصر تفسير سورة الحجرات»، و«تفسير سورة الفلق»، و«تفسير سورة النَّاس»، و«تفسير آيات من القرآن الكريم»، و«مسائل مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾»، و«ثمانى حالات استنبطها من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الآية».

٢ - في علوم القرآن: «فضائل القرآن».

٣ - في الحديث: «مجموع الحديث على أبواب الفقه»، وعدد أحاديثه: ألفان واثنان وثلاثون (٢٠٣٢) حديثاً، و«مختصر فتح الباري».

٤ - في العقيدة: «نواقض الإسلام»، و«القواعد الأربع»، و«الأصول الثلاثة»، و«كتاب التَّوْحِيد»، و«كَشَفُ الشُّبُهَات»، و«مسائل الجاهليَّة»، و«أصول الإيمان»، و«مختصر الصَّوَاعِق»، و«مختصر العقل والنقل»، و«مختصر الإيمان».

٥ - في الفقه: «شروط الصَّلَاة وأركانها وواجباتها»، و«كتاب العبادات - الصَّلَاة، الرِّكَاعَة، الصَّيَام -» المشهور بـ«آداب المشي إلى

الصَّلَاة»، و«مختصر الإنصاف»، و«مختصر الشَّرح الكبير»، و«مختصر زاد المعاد».

٦ - في السَّيِّرة: «مختصر السَّيِّرة النَّبَوِيَّة».

٧ - في الآداب والسُّلُوك: «مختصر المنهاج».

٨ - في الوعظ: «كتاب الكبائر».

٩ - له رِجَالُ رِجَالٍ رسائل وأجوبة كثيرة مفيدة، في التَّوْحِيد والفقه والنِّصَائِح.

قال الشَّيْخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحْمَنِ بن حسن رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «مَنْ عَرَفَ الرِّجَالَ بِالْعِلْمِ؛ عَرَفَ حَالَ الشَّيْخِ وَرُسُوحَهُ، وَمَتَانَةَ عِلْمِهِ وَدِينَهُ، وَأَنَّهُ يَلْحَقُ بِأَكَابِرِ السَّلَفِ وَعِلْمَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) مصباح الظَّلام (١/٧٦).

## وَفَاتُهُ

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الاثنين آخر شهر شَوَّال، سنة (١٢٠٦هـ)، وكان يوماً مشهوداً؛ تَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَى نَعْشِهِ، وَصَلُّوا عَلَيْهِ فِي بَلَدِهِ الدَّرْعِيَّةِ، وَخَرَجَ النَّاسُ - الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ - إِلَى جَنَازَتِهِ، وَحَصَلَ بِمَوْتِهِ الْخَطْبُ الْعَظِيمُ، وَالْفَادْحُ الْعَمِيمُ.

وقد رُؤِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ، أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: «مَرْحَباً بِالَّذِي دَلَّ عِبَادِي عَلَى عِبَادَتِي».

وقد انتفع النَّاسُ بِعِلْمِهِ، فَدُوِّنَ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ (١٠٠) مَوْضُوعٍ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَعِلْمِهِ وَأَثَرِهِ الْحَسَنَ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ، وَتَنَوَّعَتْ مَا بَيْنَ مُصَنَّفَاتٍ، وَرِسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ، وَبَحُوثٍ.





نَيْبَةُ الْوُضُوءِ

شَرْحُ

ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ

تَأليفُ

د. عبد المحسن محمد آل الشيخ

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\* اَعْلَمُ . . . . .

مشروعية  
الابتداء بالبسملة

اِسْتَفْتَحَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الرَّسَالَةَ الْأُولَى مِنَ الرِّسَالِ الثَّلَاثِ الَّتِي صُدِّرَتْ بِهَا «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ»؛ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، مُتَبَرِّكًا بِاسْمِهِ تَعَالَى، قَائِلًا: أَبْدَأُ مُصَنَّفِي بِ(بِسْمِ اللَّهِ) مُقْتَدِيًا فِي ذَلِكَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمُتَأَسِّيًا بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَاتِبَاتِهِ وَمُرَاسَلَاتِهِ.

شرح البسملة

ولفظ الجلالة (اللَّهُ) عَلَّمَ عَلَى الْبَارِي ﷻ، وَهُوَ الْاسْمُ الَّذِي تَتَّبِعُهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ.

و(الرَّحْمَنُ) اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِاللَّهِ لَا تُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ، وَالرَّحْمَنُ مَعْنَاهُ: الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ.

و(الرَّحِيمُ) اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ، وَمَعْنَاهُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِلَةِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرَّحْمَنُ دَالٌّ عَلَى الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَالرَّحِيمُ دَالٌّ عَلَى تَعَلُّقِهَا بِالْمَرْحُومِ»<sup>(١)</sup>.

الرَّسَالَةُ الْأُولَى:  
أَرْبَعُ مَسَائِلَ  
وَاجِبُ تَعَلُّمِهَا

يَقُولُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (اَعْلَمُ) وَلَا تَكُنْ جَاهِلًا بِأُمُورِ الدِّينِ، وَسَادِّكُرْ لَكَ مَسَائِلَ مُهِمَّةً فِي أَصُولِ الدِّينِ، حَقِيقُ أَنْ تَهْتَمَّ بِهَا

- رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأولى: العِلْمُ، .....

غاية الاهتمام، وأن تصغي إليها حقيقة الإصغاء، وأنا أدعو لك بالرحمة قائلاً: (رَحِمَكَ اللَّهُ) أي: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكَ رحمته التي تحصل بها على مطلوبك، وتنجو بها من محذورك، وهذا دأبُ النَّاصِحِ؛ يدعوك إلى الهداية، ويدعو لك بالخير، فيجمع بين التَّعليم والدُّعاء، وهذا من حُسْنِ عناية المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بعباد الله المؤمنين، ونُصِّحِهِ وقصده الخير للمسلمين.

اعلم (أَنَّهُ يَجِبُ) وجوباً عينياً (عَلَيْنَا) نحنُ المُكَلَّفِينَ، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً (تَعَلَّمْ) ومعرفة (أَرْبَعِ مَسَائِلَ) مُهمَّة في الدِّين، شاملة له.

(الأولى) من تلك المسائل: (العِلْمُ) وهو معرفة الهدى بدليله، ويشمل: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام.

المسألة الأولى:  
العلم

وخصَّ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأمور؛ لأنها هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلا عليها، وهي التي يُسأل العبد عنها في قبره، والعبد إذا عرف ربَّه، وعرف نبيَّه ﷺ، وعرف دينَ الإسلام بالأدلة؛ كمل له دينه.

وما كان واجباً على الإنسان - كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرِّمات، وما يحتاج إليه في

العلم الواجب

.....

المعاملات، ونحو ذلك ممَّا لا يتِمُّ الواجب إلَّا به - فهو واجبٌ تعلُّمه؛ ليعبدَ العبد ربَّه على بصيرة، ويتقرَّب إليه على برهان، ويجبُ عليه أنْ يسألَ أهلَ العلمِ عمَّا جهَله من ذلك، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ: «يجبُ أنْ يطلبَ من العلمِ ما يقومُ به دينه، قيل له: مثلُ أيِّ شيء؟ قال: الَّذي لا يسعُه جهله: صلاته، وصيامه، ونحو ذلك»<sup>(١)</sup>.

وأما القَدْرُ الزَّائدُ على ما يحتاج إليه المعين من فروض الكفايات - كتعلُّمِ الموارِيث، وكيفيةِ تغسيلِ الميِّت -؛ فإنَّه إذا قام به مَنْ يكفي سقط الإثم عن الباقيين. \*

(١) الفروع لابن مفلح (٢/٣٤٢).

وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ، . . . . .

معرفة الله

(و) العلمُ الواجبُ علينا تَعَلُّمُهُ (هُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ)، وذلك بأنَّ يعرفَ العبدُ ربَّه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من أسمائه وصفاته وأفعاله.

ومعرفة الله أحدُ مُهِمَّاتِ الدِّينِ، والجهلُ به سبحانه من التَّقْرِيطِ في أمورِ الدِّينِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ذَمَّ الله تعالى من لم يعظِّمهُ حقَّ عَظَمَتِهِ، ولا عَرَفَهُ حقَّ معرفته، ولا وَصَفَهُ حقَّ صِفَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

والإنسانُ لا يكون على الدِّينِ الحقَّ إلا بالعلمِ برَبِّه، ولهذا كان أساسُ دعوة الرُّسُلِ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «مفتاح الدَّعوة الإلهيَّة: معرفة الرَّبِّ تعالى»<sup>(٢)</sup>.

ثمرة معرفة الله

وَمَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ تعالى؛ سَلَكَ طريقَ معرفته، وعلى قدر معرفة الله يكون تعظيمُ الرَّبِّ في القلب، وَمَنْ عَرَفَ الله أَحَبَّهُ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ عَرَفَ الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ أَحَبَّهُ لا محالة»<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢/٤٦٣).

(٢) الصواعق المرسلة (١/١٥١).

(٣) مدارج السالكين (٣/١٨).

## وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

ومعرفة الله وإفراذه بالعبادة هو سبب السَّعادة في الدَّارين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اللَّذَّةُ، والفرحة، والسُّرور، وطيب الوقت، والنَّعيم الذي لا يمكن التَّعبير عنه، إنَّما هو في: معرفة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، والإيمان به»<sup>(١)</sup>.

(و) من العلم الواجب على المكلف تعلُّمه: (مَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ) معرفة النَّبِيِّ ﷺ  
محمَّد ﷺ؛ فَإِنَّهُ الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ رسالة الله، ومعرفته تستلزم قبول وامتنال ما جاء به من عند الله، من الهدى ودين الحق.

(و) من العلم الواجب على المكلف تعلُّمه: (مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ) من الكتاب والسُّنَّة؛ لأنه هو الدِّين الَّذِي تَعَبَّدَ الله به الخلق، ومعرفته والعمل به سبب لدخول الجنَّة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النَّار، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «كمال الإنسان مَدَارُهُ على أصلين: معرفة الحقِّ من الباطل، وإيثار الحقِّ على الباطل، وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدُّنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣١ / ٢٨).

(٢) الجواب الكافي (ص ٢٢٠).

.....

ومعرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام، أول ما يُسأل عنها العبد في القبر، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «فَيَأْتِيهِ - أي: المؤمن - مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» رواه أحمد<sup>(١)</sup>.

أول ما يُسأل عنه  
العبد في القبر

وَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الْأُصُولَ بِأَدْلَتِهَا حَرِيٌّ بِهِ أَنْ يُثَبَّتَ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَيْنِ فِي قَبْرِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: «هَاهُ، هَاهُ، لَا أَذْرِي» رواه أحمد<sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا كَانَ الْعَامِّيُّ يَعْتَقِدُ وَحْدَانِيَّةَ اللَّهِ، وَيَعْتَقِدُ بَطْلَانَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الدَّلِيلَ بِالتَّفْصِيلِ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبَا بَطِينٍ رحمته الله: «فَرَضَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَعْرِفَةَ التَّوْحِيدِ وَأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بِالدَّلِيلِ، وَلَا يَجُوزُ التَّقْلِيدُ فِي ذَلِكَ؛ لَكِنِ الْعَامِّيُّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْأَدْلَةَ إِذَا كَانَ يَعْتَقِدُ وَحْدَانِيَّةَ الرَّبِّ سَبْحَانَهُ، وَرِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الشَّرَكِيَّةَ الَّتِي تُفْعَلُ

حكم توحيد الله  
بدون معرفة  
الدليل

(١) في المسند، رقم (١٨٥٣٤).

(٢) التخریج السابق.

.....

عند هذه المشاهد باطلة وضلال، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً  
جازماً لا شكَّ فيه فهو مسلم وإن لم يترجم بالدليل؛ لأنَّ عامَّةَ  
المسلمين ولو لُقِّنُوا الدَّليل فإنَّهم لا يفهمون المعنى غالباً<sup>(١)</sup>. \*

(١) الدرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٤/٣٣٩).

.....

فضل طلب العلم

وَالسَّعْيُ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ؛ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةِ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةِ الدِّينِ، مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِهَا، قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعِلْمِ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ لِمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ»<sup>(٢)</sup>، وَالْعِلْمُ هُوَ الْمِيرَاثُ النَّبَوِيُّ، وَنُورُ الْقُلُوبِ، وَأَهْلُهُ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَحِزْبُهُ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَخْشَاهُمْ لَهُ وَأَرْفَعُهُمْ دَرَجَاتٍ.

وَهُوَ مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْعِلْمُ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ»<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ - أَيُّ: الْعِلْمُ الشَّرْعِيِّ - حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَأَنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمَتَحِيرِينَ، وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ، بِهِ يُعْرَفُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذَكَّرُ وَيُوحَّدُ، وَيُحْمَدُ وَيُمَجَّدُ، وَبِهِ اهْتَدَى إِلَيْهِ السَّالِكُونَ، وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ، وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاصِدُونَ، بِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَهُوَ إِمَامُ وَالْعَمَلُ

(١) حلية الأولياء (٣/٣٦٥).

(٢) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/٢٣٦).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٤٢).

.....

مأموم، وهو قائدُ والعملُ تابع، وهو الصَّاحِبُ في الغربِة، والمُحدِّثُ في الخلوة، والأنيسُ في الوحشة، والكاشفُ عن الشُّبهة، والغنى الذي لا فقر على مَنْ ظفر بكنزه<sup>(١)</sup>.

حاجة النَّاسِ  
إلى العلم

وحاجة النَّاسِ إلى العلم أشدُّ من حاجتهم إلى المأكَلِ والمشرب، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «النَّاسُ إلى العلم أحوج منهم إلى الطَّعامِ والشَّرابِ؛ لأنَّ الرَّجُلَ يحتاج إلى الطَّعامِ والشَّرابِ في اليوم مرَّةً أو مرَّتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه»<sup>(٢)</sup>.

طلب العلم  
أفضل من  
الجهاد

وطلب العلم مُفضَّلُ على الجهاد في سبيل الله، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الْغَدُوُّ وَالرَّوَّاحُ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ»<sup>(٣)</sup>، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «تَعَلُّمُ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمُهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام أبو حنيفة ومالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَفْضَلُ مَا تُطَوِّعَ بِهِ: الْعِلْمُ وَتَعْلِيمُهُ»<sup>(٥)</sup>، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَعْدِلُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ: إِلَّا دَمَ الشُّهَدَاءِ»<sup>(٦)</sup>. \*

(١) مدارج السالكين (٢/٤٤٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٤٠).

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٣/١٠٩)، رقم (٤٣٠٣).

(٤) الإنصاف للمرداوي (١٠/١٦).

(٥) منهاج السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ (٦/٧٥).

(٦) الفروسيَّة (ص ١٥٧).

.....

أفضل النوافل

والعلم أفضل ما عُمِرَت به الأوقات، وخير ما أنفقت فيه الأنفاس، وبُذِلَت فيه المِهَج، قال النووي رحمته الله: «اتَّفَقَ جماعات السَّلف على أَنَّ الاشتغال بالعلم، أفضل من الاشتغال بنوافل الصَّلاة والصَّوم والتَّسبيح، ونحو ذلك من أعمال البدن»<sup>(١)</sup>، قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه:

فَعِشْ بِعِلْمٍ وَلَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا

فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ<sup>(٢)</sup>

بماذا ينصح  
العلماء؟

ونصيحةُ العلماء هي: التَّزَوُّدُ من العلم، قال ابن الجوزي رحمته الله: «وما أزال أُحَرِّضُ النَّاسَ على العلم؛ لأنَّه النُّورُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ»<sup>(٣)</sup>، والسَّعادةُ إنّما هي في العلم، قال ابن القيم رحمته الله: «السَّعادةُ كُلُّها في العلم وما يقتضيه، واللَّه يوفِّق من يشاء، لا مانع لِمَا أُعْطِيَ، ولا معطي لِمَا مَنَعَ، وإنَّما رَغِبَ أَكْثَرُ الخلق عن اكتساب هذه السَّعادة وتحصيلها: لَوْعُورَةِ طريقها، ومرارة مبادئها، وتعب تحصيلها، وأنها لا تنال إلا على جسر من التَّعب، فإنَّها لا تحصل إلا بالجدِّ المَحْضِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع شرح المَهْدَب (١/٢١).

(٢) الفقيه والمتفقه (١٥١/٢).

(٣) أحكام النساء لابن الجوزي (ص ٢١).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/٢٩٨).

.....

وقد أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ ﷺ بالتَّزَوُّدِ مِنَ الْعِلْمِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَقَهَّهْ فِي الدِّينِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ عِلْمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ سَبَاقٍ وَتَحْصِيلٍ لِلْفَضَائِلِ، وَأَنَّهُ كَلَّمَاءَ عِلَّتْ مَرْتَبَتُهُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ زَادَتْ الْمَرْتَبَةُ فِي دَارِ الْجَزَاءِ؛ انْتَهَبَ الزَّمَانَ، وَلَمْ يَضِيعْ مِنْهُ لَحْظَةٌ، وَلَمْ يَتْرِكْ فَضِيلَةً تَمَكُّنُهُ إِلَّا حَصَّلَهَا، وَمَنْ وُقِّقَ لِهَذَا، فَلْيَتَكَّرْ زَمَانَهُ بِالْعِلْمِ، وَلْيَصَابِرْ كُلَّ مُحَنَةٍ وَفَقْرٍ إِلَى أَنْ يَحْصَلَ لَهُ مَا يَرِيدُ، فَالرَّاحَةُ لَا تَنَالُ بِالرَّاحَةِ، قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا

فَإِنَّمَا الرَّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ<sup>(٢)</sup>

وَلِيَكُنْ مُخْلِصًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ عَامِلًا بِهِ، حَافِظًا لَهُ، وَمَنْ فَاتَهُ الْإِخْلَاصُ فَذَلِكَ تَضْيِيعُ زَمَانٍ، وَخُسْرَانُ جَزَاءٍ، وَمَنْ فَاتَهُ الْعَمَلُ بِهِ؛ فَذَاكَ يَقْوَى الْحُجَّةُ عَلَيْهِ وَالْعِقَابُ لَهُ.

وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي يَفِيدُ مَعْرِفَتَهُ مَا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ هُوَ الْمَمْدُوحُ فِي النُّصُوصِ

(١) البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/٤٥١).

.....

يجب على المكلف من أمر دينه، الذي لا حياة له إلا به، إذ هو الجالب لخشية الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قال ابن القيم رحمه الله: «ولا عبد الله ووحد وحمد وأثنى عليه ومجد إلا بالعلم، ولا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم»<sup>(١)</sup>، ولا دليل إلى الله والجنة إلا الكتاب والسنة، ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلا بالعلم بالله.

الدليل إلى الله  
والى الجنة

وفي الجهل والغفلة عن العلم زوال النعم وحلول النقم؛ قال ابن القيم رحمه الله: «فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم، وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل الشر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد»<sup>(٢)</sup>.

أضرار الجهل

فعلى العاقل ألا يضيع أوقات عمره وساعات دهره إلا في طلب العلم النافع. \*

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٤١).

(٢) إعلام الموقعين (٣/٥٧٠).

## الثَّانِيَّةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثانية:  
العمل بالعلم

المسألة (الثَّانِيَّةُ) الواجب علينا تعلُّمها: (الْعَمَلُ بِهِ) أي: بالعلم، إذ العمل ثمرة العلم ومن أسباب رُسوخه، قال بعض السَّلف: «كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمَ حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِلْمَهُ، وَأَثَابَهُ عِلْمًا آخَرَ لَا يَعْلَمُهُ، كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «زَادَهُمْ إِيمَانًا وَعِلْمًا وَبَصِيرَةً فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>، وَالسَّعِيدُ مَنْ حَقَّقَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحِكْمَةُ: الْعِلْمُ الْمَشْتَمِلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، مَعَ نَفَازِ الْبَصِيرَةِ، وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ، وَتَحْقِيقِ الْحَقِّ لِلْعَمَلِ بِهِ، وَالْكَفِّ عَنْ ضِدِّهِ، وَالْحَكِيمُ مَنْ حَازَ ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

العالم من  
عمل بعلمه

فإذا عمل الإنسان بعلمه؛ بَأَنْ حَافِظَ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ، وَلَازَمَ النَّوَافِلَ - كَالسُّنَنِ الرَّوَاطِبِ، وَالْوَتَرَ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالِاسْتِغْفَارِ بِالْأَسْحَارِ -، وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ سَاعَةً يَجْلِسُهَا فِي الْمَسْجِدِ لِلذِّكْرِ - وَأَحْسَنَ مَا يَكُونُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ -، وَاجْتَنَبَ مَجَالِسَ اللَّغْوِ وَالْغَفْلَةِ، وَابْتَعَدَ عَنْ مَجَالِسِ أَهْلِ الْغَيْبَةِ

(١) اقتضاء العلم العمل (ص ٩٠).

(٢) فتح القدير (٤٢/٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٣٣/٢).

.....

وسَاقِطُ الكلامِ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ مِمَّا لَا يَغْنِيهِ؛ فَقَدْ تَسَبَّبَ لِلْعَمَلِ بِعِلْمِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عَلِمَ حُرِمَ لَذَّةُ الْعِلْمِ وَالْخَشْيَةِ، وَأَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَسْلِبَهُ مَا عَلِمَ، وَكَانَ فِي عِدَادِ الْجَاهِلِينَ، قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَزَالُ الْعَالَمُ جَاهِلًا حَتَّى يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا»<sup>(١)</sup>.

عدم العمل  
بما علم

وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَعِلْمُهُ حَسْرَةٌ عَلَيْهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ: عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَالَّذِي مَعَهُ عِلْمٌ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ شَرٌّ مِنَ الْجَاهِلِ، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٣)</sup>، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ رِسْلَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عِبَادِ الْوَثَنِ<sup>(٤)</sup>

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/٤٢٧).

(٢) أبواب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم (٢٤١٧)، من حديث أبي برزة الأسلمي رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٣) وهم: المقاتل، ومتعلم العلم، والمنفق ماله، الذين لم يكن قصدهم وجه الله، إِنَّمَا قَصْدُهُمْ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، رَقْمُ (١٩٠٥)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) الزيد (ص ٤).

.....

وَمَنْ عَلِمَ مَسْأَلَةً مِنَ الْمَسَائِلِ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ فِيهَا وَلَوْ لَمْ  
يَكُن مِنَ الْعُلَمَاءِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ  
أَوْ عَلَيْكَ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ عَمِلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ شَابَهُ النَّصَارَى، وَمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلِ  
فَقَدْ شَابَهُ الْيَهُودَ، وَالْعَالَمُ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ،  
وَمَقْصُودُ الشَّرِيعَةِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ هُوَ الْعَمَلُ بِهِ، مِمَّا يَجْلِبُ  
خَشْيَةَ اللَّهِ وَيُقَرِّبُ مِنَ الْخَالِقِ. \*

(١) كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك  
الأشعري رضي الله عنه.

## الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الثالثة:  
الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

المسألة (الثَّالِثَةُ) الواجب علينا تعلُّمها، والعملُ بها:  
(الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ) ﷺ، وتعليمُ النَّاسِ، وإرشادُهم، ونصيحتُهم.

والدَّعْوَةُ إِلَيْهِ سبحانه من أَجَلِ الأعمال، وهي طريقةُ الرُّسُل، قال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثَّقَلَيْنِ - الإنس والجنِّ -، أَمِراً له أَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ سَبِيلُهُ، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدَّعْوَةُ إِلَى شَهَادَةِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرةٍ من ذلك ويقينٍ وبرهان، هو وكُلُّ من اتَّبَعَهُ يدعو إلى ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ على بصيرةٍ ويقينٍ وبرهانٍ عقليٍّ وشرعيٍّ»<sup>(١)</sup>.

أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ

وقول الدَّاعِيَةِ أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ اللَّهِ، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، والمسلم إذا عرف معبوده ونبيه ﷺ ودينه، وَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بالتَّوْفِيقِ لذلك؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ السَّعْيَ إِلَى إِنْقَاذِ غَيْرِهِ بدعوته إلى الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَقْصُودُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ بَلِّغِ الْمَقْصُودَ بِخَلْقِ الْخَلْقِ، وَإِنْزَالِ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٢٢).

.....

الكتب، وإرسال الرُّسل: أن يكون الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وهو دعوة الخلائق إلى خالقهم<sup>(١)</sup>.

أعلى مراتب  
الدَّعوة

وأعلى مراتب الدَّعوة: الدَّعوةُ إلى التَّوحيد ونفي الشُّرك، فإنه ما من نبيٍّ بُعث إلى قومه إلا ودعاهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة، ونهاهم عن الشُّرك ووسائله وذرائعه، ثم يبدأ الدَّاعية بعد ذلك بالأهم فالأهم من شرائع الإسلام، مصطحباً الحكمة معه في كلِّ قولٍ وعملٍ، ممثلاً قولَ الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وَمَنْ قام بالدَّعوة إلى الله - مخلصاً لله، متبعاً هدي النَّبيِّ ﷺ -؛ كان من أتباع الرُّسل حقاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ورثة الرُّسل وخلفاء الأنبياء هم الَّذِينَ قاموا بالدِّين علماً وعملاً ودعوةً إلى الله والرَّسول، فهؤلاء أَتْبَاعُ الرَّسُولِ حقاً، وهم بمنزلة الطَّائفة الطَّيِّبة من الأرض التي زَكَتْ فَقَبِلَتْ الماءَ، فَأَنْبَتَ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ؛ فَزَكَتْ فِي نَفْسِهَا، وَزَكَى النَّاسُ بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

أجر الدَّاعي  
إلى الله

وأَجُورُ الدَّاعي إلى الله متواصلة عبر الدُّهور، قال

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/٤٦٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٩٢).

.....

النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

والسَّعْيُ إِلَى هداية الخلق خيرٌ من زخرف الحياة، قال النَّبِيُّ ﷺ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ<sup>(٢)</sup>» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

ومقصودُ الأنبياء إرشادُ النَّاسِ إِلَى معرفة الله تعالى وعبادته الموصِلَتَيْنِ إِلَى السَّعَادَةِ الْآخِرَوِيَّةِ، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فالعلماء ورثة الأنبياء، عليهم بيان ما جاء به الرِّسُولُ ﷺ وَرَدُّ مَا يُخَالِفُهُ»<sup>(٤)</sup>.

حاجة النَّاسِ  
إِلَى الدَّعْوَةِ

وحاجة الخلق إِلَى الدَّعْوَةِ والبصيرة فِي الدِّينِ أَشَدُّ مِنْ حاجتهم إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(١) كتاب العلم، باب من سَنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إِلَى هُدًى أو ضلالة، رقم

(٢٦٧٤)، من حديث أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حُمْرُ النَّعَمِ: الإبلُ الحُمْرُ، وهي أنفسُ أموال العرب، يضربون بها المثل فِي نفاسة الشَّيْءِ. شرح النووي عَلَى مسلم (١٧٨/١٥).

(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي

أبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٧٠١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من

فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣١٦/٢٧).

.....

«فَالنَّفُوسُ أَحْوَجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ وَاتَّبَاعِهِ مِنْهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ هَذَا إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْمَوْتُ فِي الدُّنْيَا، وَذَاكَ إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْعَذَابُ»<sup>(١)</sup>.

وَالدَّعْوَةُ ذَاتُ مَجَالَاتٍ وَاسِعَةٍ؛ فَالتَّعْلِيمُ، وَإِرْشَادُ الْعَاصِي، وَتَنْبِيهُ الْغَافِلِ، وَالتَّصِيحَةُ، وَالتَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادُ لِلْخَيْرِ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ وَإِرْشَادِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ؛ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْوَعِيدِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَيِّنَتِهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ بَخَلَ بِالْعِلْمِ؛ ابْتُلِيَ بِثَلَاثٍ: إِمَّا يَمُوتُ فَيَذْهَبُ عِلْمُهُ، أَوْ يَنْسَى، أَوْ يَتَّبِعُ السُّلْطَانَ - أَي: إِذَا دَعَا إِلَى بَاطِلٍ -»<sup>(٣)</sup>.

فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَنَصْحُ الْمَقْصُرِ، وَالسَّعْيُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَجْتَمَعِ، كُلٌُّّ بِحَسَبِهِ. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/١).

(٢) كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم (١٨٩٣)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، (ص ٣٥٠)، رقم (٥٨٦).

## الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

المسألة (الرَّابِعَةُ) من المسائل الواجب علينا معرفتها والعمل بها: (الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ) أي: في جنب الله ﷻ.

المسألة الرَّابِعَةُ:  
الصَّبْرُ عَلَى أَذْيَةِ  
النَّاسِ فِي الدَّعْوَةِ

فإنَّ ميدان الدَّاعِيَةِ: صدور الرِّجال، وهي متباينة ومختلفة باختلاف صورهم وأشكالهم، وَمَنْ قامَ بدين الإسلام، ودعا النَّاسَ إليه؛ فقد تحمَّلَ أمراً عظيماً، وقام مقام الرُّسل في الدَّعوة إلى الله، والدَّاعي يَحُولُ بين النَّاسِ وبين شهواتهم وأهوائهم واعتقاداتهم الباطلة، وقد يُؤْذُونَهُ، فعليه أَنْ يصبرَ ويحتسب، قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «لا تَغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يصبْهُ في هذا الأمرِ بلاءٌ»<sup>(١)</sup>.

والصَّبْرُ: ثبات القلب عند موارد الاضطراب، والدَّيْنُ كُلُّهُ يحتاج إلى صبر.

تعريف الصَّبْرِ،  
وحقيقته

وأصلُ هذه الكلمة هو: المنع والحبس، فالصَّبْرُ: حبس النَّفسِ عن الجَزَعِ، واللِّسانِ عن التَّشْكِي، والجوارحِ عن لَظْمِ الحُدودِ وشقِّ الثِّيَابِ ونحوها.

وأما حقيقته فهو: خُلُقٌ فاضل يمنع من فعل ما لا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ، وهو قوَّة من قوى النَّفسِ التي بها صلاح شأنها

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٥٠).

.....

وَقَوَامُ أَمْرِهَا، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يُنَالُ الْهَدْيُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا يُنَالُ الرَّشَادُ إِلَّا بِالصَّبْرِ»<sup>(١)</sup>.

كَيْفَ تُنَالُ  
الْإِمَامَةُ فِي  
الدِّينِ؟

وَبِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنْ أُعْطِيَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ إِمَامًا فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>.

أَذْيَةُ الدَّاعِي  
إِلَى الْخَيْرِ  
مِنْ سُنَنِ اللَّهِ

فَكُنْ سَائِرًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَإِنْ أُوذِيتَ؛ فَأَذْيَةُ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾.

وَالرُّسُلُ أُوذُوا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، بَلْ إِنَّ مِنْهُمْ مَّن تَعَرَّضَ لِلْقَتْلِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

وَمَنْ قَامَ بِمَا قَامَ بِهِ الرُّسُلُ نَالَهُ مَا نَالَهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وَبِالصَّبْرِ مَعَ التَّقْوَى لَا يَضُرُّ كَيْدَ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٠/١٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٥/٦).

.....

العدو، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

ولا مَنَاصَ من ابتلاء الدَّاعي إلى الله، «سأل رجلُ الشَّافعيَّ رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ: أَنْ يُمَكِّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟ فَقَالَ الشَّافعي: لَا يُمَكِّنَ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نُوحًا، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدًا - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ، فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُصَ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةِ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ اعْتَادَ الصَّبْرَ هَابَهُ عَدُوُّهُ، وَمَنْ عَزَّ عَلَيْهِ الصَّبْرُ طَمِعَ فِيهِ عَدُوُّهُ؛ فَلْيُؤَظِّنِ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَلِيَتَّقِ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ وَثِقَ بِالثَّوَابِ لَمْ يَضُرَّهُ مَسُّ الْأَذَى.

وَالْمُؤْمِنُ هَمَّتْهُ فَعَلَ الْمَأْمُورَ، وَتَرَكَ الْمَحْظُورَ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَقْدُورِ؛ وَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَصْبِرْ وَقَعَ فِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ تَرَكَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ. \*

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٠٨).

.....

عاقبة الصَّبر

وَالصَّبْرُ مِنْ أَهَمِّ الْمَهَمَّاتِ لِمَنْ عِلْمُ فِعْلِهِ فِدْعَا، فَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ، اسْتَخَفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الرَّسُلَ بِالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ، قَالَ ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾.

وَمِنَ الصَّبْرِ: احْتِمَالُ الْأَذَى، وَكُظْمُ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوُ عَنِ النَّاسِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ: الصَّبْرُ عَلَى تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ، وَبِذَلِّ الْمَجْهُودِ فِي الْإِخْلَاصِ لِنَفْعِهِمْ، وَإِذَا اشْتَدَّتْ الْأَذَى قُرْبَ النَّصْرِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: «الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو، وَالْقَنَاعَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُو»<sup>(٢)</sup>.

وَلَيْسَ النَّصْرُ مَخْتَصَبًا بِأَنْ يَنْتَصِرَ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ وَيَرَى أَثَرَ دَعْوَتِهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ؛ بَلِ النَّصْرُ يَكُونُ وَلَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ قَبُولًا لِمَا دَعَا إِلَيْهِ، وَأَخْذًا وَتَمَسُّكًا بِهِ.

وَالصَّابِرُ ظَافِرٌ بِعِزِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ نَالَ مِنَ اللَّهِ مَعِيَّتَهُ، مَعِيَّةُ اللَّهِ لِلصَّابِرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله: «يَثْقُلُ

(١) فِي الْمُسْنَدِ، رَقْمُ (٢٨٤٩)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) مُحَاضَرَاتُ الْأَدْبَاءِ (٢/٥٢٤).

.....

الميزانُ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَبَذْلِهِ إِذَا سُئِلَ، وَأَخْذِهِ إِذَا بُذِلَ<sup>(١)</sup>.

وَالْفَلَاحُ مُعَلَّقٌ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقد بَشَّرَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ بِثَلَاثِ، كُلُّ مِنْهَا خَيْرٌ مِمَّا يَتَنَافَسُ عَلَيْهِ أَهْلُ الدُّنْيَا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ، وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ لَا يَحْظَى بِهِ إِلَّا الصَّابِرُونَ، قَالَ ﷺ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

بشارة الله  
لِلصَّابِرِينَ

وَتَحْقِيقُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعُ - الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ - مِنْ أَعْظَمِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ لِإِصْلَاحِهَا وَصَلَاحِ غَيْرِهَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

مراتب  
جِهَادِ النَّفْسِ

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيتَ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٧١).

.....

الثالثة: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرابعة: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين<sup>(١)</sup>. \*

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٩/٣).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \*﴾ .....

دليل  
المسائل الأربع

(وَالدَّلِيلُ) على أنه يجب علينا تعلُّم الأربع مسائل - وهي:  
العلم، والعملُ به، والدَّعوة إليه، والصَّبر على الأذى فيه -:

(قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أتى بالبسملة  
مُسْتَفْتِحاً بها السُّورة.

(﴿وَالْعَصْرِ﴾) أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْعَصْرِ، وهو الدَّهر الَّذِي هو زَمَنُ  
تحصيل الأرباح والأعمال الصَّالحة للمؤمنين، وزَمَنُ الشَّقَاءِ  
للمُعْرِضِينَ، لِأَنَّهُ وَعَاءٌ يُودَع فِيهِ الْعِبَادُ أَعْمَالُهُمْ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ  
الْعِبَرِ وَالْعِبَائِبِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ  
خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الصَّادِقُ وَإِنْ لَمْ يُقْسِمِ، وَلَكِنَّهُ أَقْسَمَ لِتَأْكِيدِ  
المقام.

(﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾) أي: جنس الإنسان في هذه الحياة (﴿لَفِي  
خُسْرٍ﴾) أي: في خسران وهلاك ونقصان، والخاسر: ضد  
الرَّابِح، والخسرانُ مراتبٌ متعدِّدة متفاوِة، فقد يكونُ خَسَاراً  
مطلقاً، كحالِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَفَاتَهُ النَّعِيمُ، وَاسْتَحَقَّ  
الجحيم، وقد يكونُ خَسَاراً مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ دُونَ بَعْضٍ، وَلِهَذَا  
عَمَّمَ اللَّهُ الْخُسْرَانَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿١٠﴾

(﴿إِلَّا﴾) مَنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِمَّنْ اتَّصَفَ بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ، وَهِيَ:

دلالة الإيمان  
على العلم

الإيمانُ بالله، حيث قال سبحانه: (﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) فَوْقَ الإيمانِ في قلوبهم، ولا يكونُ الإيمانُ بدون العلم، فهو فَرْعٌ منه لا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ.

(﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾) بجوارحهم، مُكْثِرِينَ مِنْهَا، مُصْطَحِّينَ فِيهَا الْإِحْلَاصَ، مُقْتَفِينَ هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا شَامِلٌ لِأَفْعَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الْمَتَعَلِّقَةِ بِحَقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ عِبَادِهِ، الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ.

(﴿وَتَوَاصَوْا﴾) أَي: أَمَرَ وَوَصَّى وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ (﴿بِالْحَقِّ﴾) الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَي: يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، وَيَحْتِثُّ عَلَيْهِ، وَيُرَغِّبُهُ فِيهِ.

(﴿وَتَوَاصَوْا﴾) أَي: ذَكَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (﴿بِالصَّبْرِ﴾) عَلَى الْمَصَائِبِ، وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُوْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَصَبَرُوا عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنْ أَذَى، وَصَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَبَرُوا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

وَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ فَقَدْ جَانَبَ الْخُسْرَانَ، وَكَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمَفْلِحِينَ، فَبِالْأَمْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ - وَهُمَا: الْإِيمَانُ، وَالْعَمَلُ

.....

الصَّالِح - يُكْمَلُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ، وبِالْأَمْرَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ - وهما:  
التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالصَّبْر - يُكْمَلُ غَيْرَهُ، وَبِتَكْمِيلِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ  
يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْخُسْرَانِ، وَفَازَ بِالرَّبِّحِ الْعَظِيمِ.

وَالدِّينُ كُلُّهُ إِيْمَانٌ، وَعَمَلٌ، وَدَعْوَةٌ، وَصَبْرٌ، قَالَ  
ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّلَفُ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ  
يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ، وَيَعْمَلَ بِهِ، وَيَعْلَمَهُ؛ فَمَنْ عِلِمَ  
وَعَمِلَ وَعَلَّمَ: فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ»<sup>(١)</sup>. \*

الدِّينُ: إِيْمَانٌ  
وَعِلْمٌ وَعَمَلٌ  
وَصَبْرٌ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٩/٣).

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ، لَكَفَتْهُمْ».

منزلة  
سورة العصر

فسورة العصر تنبيهٌ على أَنَّ جنسَ الإنسان خاسر؛ إِلَّا مَنْ استثنى الله، وهو مَنْ كَمَلَ قُوَّتُهُ الْعِلْمِيَّةُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَقُوَّتُهُ الْعَمَلِيَّةُ بِالطَّاعَاتِ، فهذا كماله في نفسه، ثم كَمَلَ غَيْرُهُ بِوَصِيَّتِهِ لَهُ بِذَلِكَ وَأَمْرِهِ بِهِ، وَمِلَاكُ ذَلِكَ الصَّبْرُ، وهذا غايةُ الكمال، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قالت العقلاء قاطبة: النَّعِيمُ لَا يُدْرِكُ بِالنَّعِيمِ، وَالرَّاحَةُ لَا تُتَالُ بِالرَّاحَةِ، وَأَنَّ مَنْ آثَرَ اللَّذَاتِ؛ فَاتَتْهُ اللَّذَاتُ»<sup>(١)</sup>.

والعاقِلُ البصير إذا سَمِعَ هذه السُّورَةَ أَوْ قَرَأَهَا فَلَا بَدَّ أَنْ يَسْعَى إِلَى تَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ، وَذَلِكَ بِاتِّصَافِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ، فَهِيَ سُورَةٌ عَظِيمَةٌ جَمَعَتْ أَرْبَعَ قَوَاعِدَ يَسِيرُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ.

مراتب  
الكمال الإنساني

(قَالَ) الإمامُ أبو عبدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ (الشَّافِعِيُّ)<sup>(٢)</sup> - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ: «(لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) مِنَ الْقُرْآنِ (حُجَّةً) وَإِعْذَاراً وَإِنْذَاراً وَبِرْهَاناً (عَلَى خَلْقِهِ) الْمُكَلَّفِينَ، (إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ) الْعَظِيمَةَ الْجَامِعَةَ؛ (لَكَفَتْهُمْ)<sup>(٣)</sup> فِي إلْزَامِهِمْ

(١) شفاء العليل (ص ٢٥٠).

(٢) المتوفى: سنة أربع ومئتين (٢٠٤هـ).

(٣) ذكر ابن كثير في تفسيره (٢٠٣/١) عن الشَّافِعِيِّ نحوه، بلفظ: «لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ؛ لَكَفَتْهُمْ»، وذكره ابن القيم في التَّبْيَانِ فِي أَيْمَانِ الْقُرْآنِ (ص ١٣٣)، وفي مفتاح دار السعادة (١/١٥٢)، وفي الاستقامة (٢/٢٥٩)، وفي عدة الصابرين =

## وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «بَابُ : الْعِلْمُ

بِالتَّمَسُّكِ بِالْدِّينِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ؛ فَتَضَمَّنَتْ جَمِيعَ مَرَاتِبِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكَمَالُ: أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ كَامِلًا فِي نَفْسِهِ، مُكْمَلًا لغيره، فهذه السُّورَةُ عَلَى اخْتِصَارِهَا هِيَ مِنْ أَجْمَعَ سُورِ الْقُرْآنِ لِلْخَيْرِ بِحِذَافِيرِهِ»<sup>(١)</sup>.

فهذه السُّورَةُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ الْمُنْذِرَاتِ لِلْعَبْدِ، فَلْيَقِفِ الْعَبْدُ عِنْدَهَا، وَلْيَزِنْ بِهَا نَفْسَهُ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ السُّورَةُ مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ، يَزِنُ الْمُؤْمِنُ بِهَا نَفْسَهُ، فَيَبِينُ لَهُ بِهَا رِبْحَهُ مِنْ خَسِرَانِهِ»<sup>(٢)</sup>، فَهِيَ سُورَةٌ حَقِيقَةٌ بِأَنْ يُقَالَ فِيهَا مَا قَالَهُ الْأُئِمَّةُ عَنْهَا؛ لِعَظِيمِ شَأْنِهَا.

(و) لِأَهَمِّيَّةِ طَلَبِ الْعِلْمِ قَبْلَ الْعَمَلِ؛ لِثَلَا يَعْبُدَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ عَلَى ضَلَالَةٍ، (قَالَ) الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (الْبُخَارِيُّ)<sup>(٣)</sup> - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي صَحِيحِهِ<sup>(٤)</sup>: «بَابُ : الْعِلْمُ

مرتبة العلم  
قبل القول  
والعمل

= (ص ١٣٥) عَنْ الشَّافِعِيِّ - أَيْضاً - بَلْفَظٍ: «لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ لَكَفَّتْهُمْ».

(١) مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ (١/١٥٣).

(٢) لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ (ص ٥٢٢).

(٣) الْمَتَوَفَّى: سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ (٢٥٦هـ).

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، (١/٢٤).

قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

أي: الشرعي وطلبه (قَبْلَ الْقَوْلِ) دعوة إليه، (وَ) قبل (الْعَمَلِ) به.

(وَالِدَلِيلُ) على وجوب العلم قبل غيره؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ﴾) أيها الرسول ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ معبود بحق ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ بسؤال المغفرة وفعل أسبابها.

قال البخاري رحمه الله: (فَ) في هذه الآية (بَدَأَ) الله (بِالْعِلْمِ)، قال المصنّف رحمه الله: وذلك (قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)، فإذا عَلِمَ عَمَلَ على بصيرة وهدى، وكلُّ عَمَلٍ لا يَقُودُهُ الْعِلْمُ فهو ضَرْرٌ على صاحبه، قال ابن القيم رحمه الله: «الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ وقائِدُهُ له، والعملُ تابعٌ له ومؤتمُّ به، فكلُّ عَمَلٍ لا يكونُ خَلْفَ الْعِلْمِ مُقْتَدِيًّا به فهو غيرُ نافع لصاحبه، بل مُضَرٌّ عليه، كما قال بعضُ السَّلَفِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، كان ما يُفْسِدُ أَكْثَرَ ممَّا يُصْلِحُ»<sup>(١)</sup>.

فمرتبة العلم مُقَدِّمَةٌ على مرتبة العمل، والعلم شرط في صحّة القول والعمل فلا يعتدُّ بهما إلَّا به، فهو مُقَدَّمٌ عليهما؛ لأنَّه مُصَحِّحُ النِّيَّةِ الْمُصَحِّحَةِ لِلْعَمَلِ. \*

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٢٧).

\* اَعْلَمُ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
وَمُسْلِمَةٍ، تَعْلُمُ ثَلَاثَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ:

يذكرُ المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ في الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ من الرِّسَائِلِ الثَّلَاثِ  
التي صُدِّرَتْ بها «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ»؛ ثَلَاثَ مَسَائِلَ يَجِبُ عَلَيْنَا  
تَعْلُمُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا، فَقَالَ:

(اعْلَمُ - رَحِمَكَ اللَّهُ -) أَي: أَدْعُو لَكَ بِأَنْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ  
وَيُنْزِلَ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ يَقِينًا:

الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ:  
وَجُوبُ تَعْلُمِ  
ثَلَاثَ مَسَائِلَ،  
وَالْعَمَلُ بِهِنَّ

(أَنَّهُ يَجِبُ) وَجُوبًا عَيْنِيًّا (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) مُكَلَّفٍ، (وَ) عَلَى  
كُلِّ (مُسْلِمَةٍ) مُكَلَّفَةٍ (تَعْلُمُ) وَاعْتِقَادَ (ثَلَاثَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ):

الأولى: في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، والإيمانِ بالرَّسُولِ ﷺ وطاعته.  
والثَّانِيَّةُ: في توحيد الألوهيَّةِ.

والثَّالِثَةُ: في الولاءِ والبراءِ، قال عنها المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:  
«وهذا هو حقيقة دين الإسلام، ولكن قِفْ عند هذه الألفاظ،  
واطلُبْ ما تَضَمَّنَتْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يُمَكِّنُ فِي الْعِلْمِ إِلَّا  
أَنَّكَ تَقِفُ عَلَى كُلِّ مَسْمِيٍّ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

(وَالْعَمَلُ بِهِنَّ) وبما دَلَّنَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُنَّ قَاعِدَةُ الدِّينِ وَأَسَاسُ  
الاعتقاد.

(١) الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/١١٧).

الأولى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛  
بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، .....

المسألة الأولى:  
في توحيد  
الرُّبُوبِيَّةِ

المسألة (الأولى) في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، والإيمان بالرسول ﷺ وطاعته، وهي من المسائل الثلاث الواجب علينا تعلمها، وهي: (أَنَّ اللَّهَ) ﷻ (خَلَقَنَا) من عَدَمٍ، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، ثُمَّ صَوَّرَنَا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

(وَرَزَقَنَا) النعم، فَلَمْ يَتْرُكْنَا سَبْحَانَهُ عُرَاءَةً أَوْ جِياعاً، بَلْ رَزَقَ كُلَّ مَخْلُوقٍ وَتَكْفَّلَ بِذَلِكَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، فَسَبْحَانَهُ أَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ، وَرَزَقَنَا النعم؛ لِنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

(وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) سُدِّيٌّ مُهْمَلِينَ، لَا نُؤَمِّرُ وَلَا نُنْهَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.

وَلَمْ يَتْرُكْنَا سَبْحَانَهُ حَيَارَى؛ لَا نَعْلَمُ مَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَا أَيْنَ هُوَ؟ وَكَيْفَ نَصِلُ إِلَيْهِ؟ وَكَيْفَ نَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ؟ (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا) معه الْحَقُّ سَهْلًا مُبَسَّرًا يَهْدِي إِلَيْهِ؛ لِنَسْتَقِيمَ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى، وَنَعْمَلَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ.

## فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

ثواب مَنْ أطاع  
الرَّسُولَ ﷺ

(فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)؛ لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةٌ لِلَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وأفضلُ الخلق وأَعْلَاهُمْ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَتْمُهُمْ لِلَّهِ عِبَادِيَّةً، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْكَمَالُ فِي كَمَالِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا»<sup>(١)</sup>، فَالْغَايَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسْلِ طَاعَتُهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

عقوبة مَنْ عصى  
الرَّسُولَ ﷺ

(و) شَقَاءُ الْمَخْلُوقِ فِي عِصْيَانِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ (مَنْ) عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٥٤٦).

(٢) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٧٢٨٠)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

دليل رسالة نبينا  
محمد ﷺ لنا

(وَالدَّلِيلُ) على إرسال الرسول وعلى وجوب طاعته والتحذير من عصيانه؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾) يا أُمَّة مُحَمَّدٍ (﴿رَسُولًا﴾) وهو خاتم المرسلين مُحَمَّدٌ ﷺ (﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾) بأعمالكم، (﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾) موسى عليه السلام - كلِّم الرِّحْمَن - (﴿إِلَى﴾) الطَّاعِيَةِ (﴿فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾) من أفضل الرُّسُل، (﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾) الذي أرسل إليه وإلى قومه وهو موسى عليه السلام (﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾) أي: فرعون (﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾) أي: شديداً، وذلك بإغراقه وجنوده في البحر فلم يُقِلَّتْ منهم أحد، ثم بعد ذلك في عذاب القبر إلى يوم القيامة، ثم عذاب النَّار، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: في القبر، يُعَذَّبُونَ بِهَا ﴿عَذْوًا﴾، أي: أوَّل النَّهَار، ﴿وَعَشِيًّا﴾ أي: آخِرَهُ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، فهذه عاقبة العاصين للرُّسُل، وجزاء المخالفين لأمرهم.

الحذر من  
تكذيب  
الرَّسُولِ ﷺ

فَلْتَحَذَرْ أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ من تكذيب رسولها، فيصيبها ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدرٍ، قال ابن كثير رحمه الله: «وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتُم رسولكم؛ لأنَّ رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٨/٢٥٦).

.....

فالخيرُ في طاعة الرَّسول ﷺ، والبُؤسُ في معصيته، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمانُ بالله ورسوله هو جَمَاعُ السَّعَادَةِ وَأَصْلُهَا»<sup>(١)</sup>. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/١٩٣).

الثانية: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ . . . . .

المسألة الثانية:  
في توحيد  
الألوهية

ولكون المسألة الأولى في توحيد الربوبية وطاعة النبي ﷺ، ولأنَّ توحيد الربوبية دالٌّ على توحيد الألوهية ومُستلزمٌ له، ذَكَرَ تحقيق ذلك في قوله: (الثانية) وهي في توحيد الألوهية، وهي من المسائل الثلاث الواجب علينا تعلُّمها ومعرفتها واعتقادها، فكما أنَّه الخالق الرَّازِقُ الَّذِي خَلَقَكَ وَأَعْطَاكَ النِّعَمَ فاعلم: (أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى) بل يَمُقِّتُ أَشَدَّ المَقْتِ، (أَنْ يُشْرَكَ) به وَيَسَاوَى (مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ) وطاعته.

العبادة  
حق الله وحده

(لَا مَلَكٌ) من الملائكة (مُقَرَّبٌ) عند الله، (وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ) أرسله الله، فضلاً عن غيرهم من سائر المخلوقات؛ لأنَّهم لَا يَسْتَحِقُّونَ العبادة، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>، وأخبر تعالى أَنَّهُ لَا يَرْضَى لعباده الكفر، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾،

(١) كتاب الأفضية، باب النُّهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وأخبر أنه يَرْضَى لعباده الإسلام، وهو عبادةُ الله مخلصاً له الدين، قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فإذا لم يَرْضَ سبحانه بعبادة مَنْ كان قريباً منه - كالملائكة، أو الأنبياء والمرسلين؛ وهم أفضلُ الخلق -، فغيرهم بطريق الأولى؛ لأنَّ العبادة لا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وحده، فكَمَا أَنَّهُ المتفرد بالخلق والرِّزْق والتَّديب، فهو المستحقُّ للعبادة وحده دونَ من سواه.

فالمسلمُ يجمعُ بين أمرين؛ يؤْمَنُ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، ويؤْمَنُ بأنَّه سبحانه هو المستحقُّ وحده للعبادة؛ مِنْ ذَبْحٍ وصالَةٍ ونذرٍ وحلفٍ وغيرها، وأنَّ عبادة مَنْ سِوَى الله باطلة.

(وَالدَّلِيلُ) على أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه أَحَدٌ في عبادته كائناً مَنْ كَانَ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾) أي: أَمَا كُنِ الصَّلَوَاتِ، أو أعضاء السُّجود (﴿لِلَّهِ﴾) لا لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

دليل وجوب  
التَّوْحِيدِ والنَّهْيِ  
عَنِ الشُّرْكِ

(﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ﴾) لا تَسْجُدُوا فِيهَا وَلَا بِهَا لغيره، (﴿أَحَدًا﴾) لا مَلَكًا مِنَ الملائكة، ولا نَبِيًّا، ولا وَلِيًّا، ولا غَيْرَهُمْ، لا دَعَاءَ عِبَادَةٍ وَلَا دَعَاءَ مَسْأَلَةٍ؛ فِدَعَاؤُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

.....

هو الشِّرْكُ الأكبر، والذَّنْبُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، قَالَ  
تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ  
يَشَاءُ﴾، فهو سبحانه الْمُتَفَرِّدُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وهو الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ  
الْقَوِيُّ الْمَتِينُ، لَا يَرْضَى أَنْ تُصَرَفَ الْعِبَادَةُ لغيرِهِ، أَوْ أَنْ يُجْعَلَ  
الْمَخْلُوقُ الضَّعِيفُ شَرِيكاً لَهُ فِي الْعِبَادَةِ. \*

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.  
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

المسألة الثالثة:  
في الولاء والبراء

المسألة (الثالثة) في الولاء والبراء، وهي من المسائل التي يجب على المكلّف معرفتها، واعتقادها، والعمل بها، وذلك (أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ) فيما أمر به، واجتنب ما نهى عنه، (وَوَحَّدَ اللَّهَ) في عبادته؛ لا يوالي من حادّ الله، وهذا فيه شحذ الهِمَمِ للعمل بهذه المسألة وفق النصوص الشرعيّة، فكأنّه يقول لك: أَنْتَ وَحَدَّتَ رَبَّكَ، وعبدته دون سواه، وأطعت رسوله ﷺ؛ فاعمل بهذه المسألة العظيمة، وهي أنّه: (لَا يَجُوزُ لَهُ) أي: للموحد المطيع للرّسول ﷺ (مُوَالَاةٌ) ومحبةٌ (مَنْ حَادَّ) وعادى (اللَّهَ وَرَسُولَهُ)، بل يجب عليه أَنْ يَقَاطِعَهُمْ وَيُعَادِيَهُمْ (وَلَوْ كَانَ) مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (أَقْرَبَ قَرِيبٍ) سواء كان أباك أو ابنك أو أخاك، فإنّ الله قطع التّواصل والتّوادّ؛ والقُرْبُ حقيقة: إنّما هو قُرْبُ الدِّينِ، لا قُرْبُ النِّسَبِ، فالمسلم ولو كان بعيد الدّار فهو أخوك في الله، والكافر ولو كان أخاك في النّسب فهو عدوك في الدّين.

دليل  
الولاء والبراء

(وَالدَّلِيلُ) على أنّه لا تجوز موالاة من حادّ الله ورسوله؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ﴾) أيها المؤمن ﴿قَوْمًا﴾ أي: طائفةً، والحكم أيضاً يسري على الأفراد ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً حقيقياً

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا  
 آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ  
 كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ . . . . .

(﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) وبما أعدَّ الله فيه من الثواب والعقاب.

(﴿يُؤَادُّونَ﴾) يُوَالُّونَ وَيُحِبُّونَ (﴿مَنْ حَادَّ﴾) أي: عَادَى  
 (﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾) بالكفر والعصيان، أي: لا يَجْتَمِعُ هذا وهذا؛  
 فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقةً إلا إذا كان عاملاً  
 بمقتضى إيمانه ولوازمه، ومن ذلك محبة مَنْ قَامَ بالإيمانِ  
 وموالاته، وبُغْضُ مَنْ لَمْ يَقُمْ به ومعاداته.

(﴿وَلَوْ كَانُوا﴾) أي: هؤلاء المحادُّونَ لله ورسوله  
 (﴿آبَاءَهُمْ﴾) الذين أخرجهم الله من أصلابهم، (﴿أَوْ  
 أَبْنَاءَهُمْ﴾) الذين هم هبةٌ من الله لأبائهم، (﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾) في  
 النسب، (﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾) الأقربين منهم.

(﴿أُولَئِكَ﴾) الذين حقَّقوا الولاءَ والبراءَ.

(﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾) أي: أَوْجَدَ فِي قُلُوبِهِمُ  
 الإيمانَ وثبَّتَه؛ فلا يَتَرَلْزَلُ، ولا تُؤَثِّرُ فِيهِ الشُّبُهَةُ وَالشُّكُوكُ، فهي  
 مُوقِنَةٌ مُخْلِصَةٌ.

(﴿وَأَيَّدَهُمُ﴾) اللَّهُ وَقَوَّاهُم (﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾) أي: بِوَحْيِهِ  
 وَمَدَدِهِ الْإِلَهِيِّ، وإِحْسَانِهِ الرَّبَّانِيِّ، وكتبَ لَهُمُ السَّعَادَةَ، وَزَيَّنَ

وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ  
 الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾.

الإيمان في بصائرهم؛ وسمى الله نصره إياهم روحاً، لأنَّ به  
 حياتهم.

(﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ﴾) في دار القرار، فيها ما لا عين رأت،  
 ولا أذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، (﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ﴾) زيادة في نعيمهم (﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾) مُنْعَمِينَ أبد الآباد.

وزادهم بأنَّ (﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾) فأحلَّ عليهم رضوانه  
 (﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾) وأحبُّوه وشكروا إنعامه وأفضاله، فإنَّهم لما  
 أسخطوا الأقارب والعشائر في الله، عوّضهم الله بالرضا عنهم،  
 وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم.

(﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾) أي: عباد الله وأهل كرامته،  
 وأولياؤه المُقَرَّبُونَ، وأنصاره في أرضه.

(﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾) الفائزون بالظفر والسَّعادة  
 في الدنيا والآخرة.

فَمَنْ حَقَّقَ الْوَلَاءَ وَالْبِرَّاءَ؛ فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهَ أَنَّهُ يَجَازِيهِ بِأُمُورٍ:

جزاء مَنْ حَقَّقَ  
 الولاء والبراء

١ - جَمَعَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ وَثَبَاتُهُ فِيهِ ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي  
 قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾.

.....

٢ - تَأْيِيدُ اللَّهِ لَهُ بِالنُّورِ وَالْهُدَى ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾،  
وَسَمَّاهُ رُوحًا؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ - وَهَذَا الْأَمْرُ مَعَ الَّذِي  
قَبْلَهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا -.

٣ - دُخُولُ الْجَنَّةِ ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

٤ - رِضَا الرَّبِّ سُبْحَانَهُ عَنْهُ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، وَهَذَا مِنَ  
الزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

٥ - رِضَا الْعَبْدِ فِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِهِ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ  
الْكَرَامَةِ ﴿وَرِضْوَانُ عَنْهُ﴾.

٦ - إِكْرَامُ اللَّهِ لَهُمْ، بِأَنْ جَعَلَهُمْ مِنْ خَاصَّتِهِ وَحَزْبِهِ  
الْمُفْلِحِينَ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قَالَ فِي تَيْسِيرِ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنُ: «وَأَمَّا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَوْمُنُ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُوَادٌّ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ، مُحِبٌّ لِمَنْ  
نَبَذَ الْإِيمَانَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَإِنَّ هَذَا الْإِيمَانَ زَعْمِي لَا حَقِيقَةً لَهُ، فَإِنَّ  
كُلَّ أَمْرٍ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ بَرَهَانٍ يُصَدِّقُهُ، فَمَجَرَّدُ الدَّعْوَى لَا تَفِيدُ شَيْئًا  
وَلَا يُصَدِّقُ صَاحِبُهَا»<sup>(١)</sup>. \*

(١) تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ (ص ٨٤٨).

.....

والوَلَاءُ والبرَاءُ أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الدِّينِ، قال الشيخ محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «لا يستقيم للإنسانَ إسلامٌ ولو وَحَدَ اللهُ وتَرَكَ الشُّرْكَ إلا بعداوةَ المشركين، والتَّصريحُ لهم بالعداوة والبغضاء»<sup>(١)</sup>.

الوَلَاءُ والبراءُ  
أصلٌ مِنَ أصولِ  
الدِّينِ

وهو معنى كلمة التَّوْحِيدِ، وهو من الإسلام الَّذي هو الاستسلامُ لِلَّهِ بالتَّوْحِيدِ، والانقيادُ له بالطَّاعة، والبراءة من الشُّرْكَ وأهلِهِ، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «البراءةُ ضدُّ الولاية، وأصلُ البراءة: البُغْضُ، وأصلُ الولاية: الحُبُّ، وهذا لأنَّ حقيقة التَّوْحِيدِ: أَلَّا يُحَبَّ إِلَّا اللهُ، ويحَبُّ ما يحبه اللهُ وَلِلَّهِ، فلا يُحَبُّ إِلَّا لِلَّهِ، ولا يبغضُ إِلَّا لِلَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

والمسلمُ يُحِبُّ مَنْ يحبه اللهُ، ويُعَادِي مَنْ عاداه اللهُ؛ واللَّهُ يُبْغِضُ الكافرَ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، والكافرُ عدُوٌّ لِلَّهِ وللمؤمنين، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾، والوَلَاءُ والبرَاءُ من تمامِ محبةِ اللهِ، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «مِنْ تمامِ محبةِ اللهِ ورسوله: بُغْضُ مَنْ حَادَّ اللهُ ورسوله، والجهادُ في سبيله»<sup>(٣)</sup>.

الكافرُ عدُوٌّ لِلَّهِ  
وللمؤمنين

(١) الدرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٣٣١/٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٥/١٠).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٦١/٨).

.....

وَإِذَا قَوِيَ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ؛ قَوِيَ جَانِبُ الْوَلَاءِ  
لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْبَرَاءِ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ  
تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا قَوِيَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ التَّصَدِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ  
وَالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْجَبَ بُغْضَ أَعْدَاءِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، وَإِذَا أَخْلَلَ  
الْعَبْدُ بِجَانِبِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا  
يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، أَي: أَصْدِقَاءَ وَأَحْبَابًا ﴿مِنْ دُونِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، قَالَ شَيْخُ  
الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمُؤَادَّةُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ  
الْإِيمَانَ بِاللَّهِ يَسْتَلْزِمُ مَوَدَّةَ وَرَسُولِهِ، وَذَلِكَ يُنَاقِضُ مُؤَادَّةَ  
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَا نَاقِضُ الْإِيمَانَ فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الذَّمَّ  
وَالْعِقَابَ، لِأَجْلِ عَدَمِ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

حال المؤمنين  
مع الكفار

وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَشْرِكِينَ بِالْجَسَدِ لَا يَكْفِي فِي الْبَرَاءِ، بَلْ  
يَجِبُ مَعَ ذَلِكَ الْبُغْضُ بِالْقَلْبِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:  
«بَرَاءَةُ الْخَلِيلِ مِنْ قَوْمِهِ الْمَشْرِكِينَ وَمَعْبُودِيهِمْ لَيْسَتْ تَرْكَاً مَحْضاً،  
بَلْ صَادِراً عَنْ بُغْضٍ وَعَدَاوَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَمَعَ بُغْضِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ وَمِنْ مَعْبُودِيهِمْ، فَإِنَّ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٢٢/٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧٥٣/١٠).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٢٤/١٤).

.....

الإسلام حَرَّمَ قَتْلَ الْكَافِرِ الْمَعْصُومِ - وهو: الذَّمِّيُّ، وَالْمُعَاهَدُ، وَالْمُسْتَأْمَنُ<sup>(١)</sup> -، وَحَرَّمَ سَلْبَ مَالِهِ، أَوْ ظَلَمَهُ، أَوْ الْاِعْتِدَاءَ عَلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تَوَجَّدَ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

بل يجبُ مع بُغْضِهِ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْبَصِيرَةِ، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْمُشْرِكِينَ.

وَدِينُ الْإِسْلَامِ وَسَطٌ فِي مُعْتَقَدِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ؛ لَا إِفْرَاطَ فِيهِ بِقَتْلِ الْكَفَّارِ الْمَعْصُومِينَ، وَلَا تَفْرِيطَ فِيهِ بِالْمَوَالَةِ الْمُحَرَّمَةِ أَوْ التَّوَلِّيِ الْمُخْرَجِ مِنَ الْمِلَّةِ.

وجوب العدل  
في الولاء والبراء

وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ عَدْلًا فِي أَدَاءِ تِلْكَ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ بِهَا مَبْنِيًّا عَلَى عِلْمٍ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ. \*

(١) الذَّمِّيُّ هُوَ: الْكَافِرُ الَّذِي أُقِرَّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ عَلَى كُفْرِهِ بِالتَّزَامِ الْجِزْيَةِ وَنَفُوذِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ فِيهِ.

وَالْمُعَاهَدُ هُوَ: الْكَافِرُ الْمَقِيمُ فِي بِلَدِهِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَهْدٌ أَنَّهُ لَا يُحَارِبُنَا وَلَا نُحَارِبُهُ. وَالْمُسْتَأْمَنُ هُوَ: الْكَافِرُ يَدْخُلُ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمَانٍ.

مَجْمَعُ الْأَنْهَرِ (١/٦٥٥)، رَدُ الْمُحْتَارِ (٤/١٦٦)، نَيْلُ الْأَوْطَارِ (٧/١٨)، غِذَاءُ الْأَلْبَابِ (١/٢٣٧).

(٢) كِتَابُ الْجِزْيَةِ، بَابُ إِثْمٍ مِنْ قَتْلِ مُعَاهِدٍ بِغَيْرِ جَرَمٍ، رَقْمُ (٣١٦٦)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه.

.....

محبةُ المشركين  
تنقسمُ إلى:  
التَّوَلَّى والمُؤَالاة

واعلم أنَّ الوَلَاءَ والْبَرَاءَ مع المشركين ينقسمُ قسمين :

- التَّوَلَّى، ومعناه: محبةُ الشُّركِ وأهله، أو نصرَةُ الكفَّارِ على المؤمنين، أو الفرح بذلك، أو مظاهرتهم ومعاونتهم على المسلمين، وهذا كفرٌ أكبر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «إِيْمَانُ الْمُؤْمِنِ يَفْسُدُ بِمُؤَادَّةِ الْكُفَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ أنَّ هذا من نواقض الإسلام، قال رَحِمَهُ اللهُ: «الثَّامِنُ - أي: مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ - : مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾»<sup>(٢)</sup>.

- المُؤَالَاة، وهي: المُؤَادَّةُ والصَّدَاقَةُ، ضد المُعَادَاة والمُحَادَّة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّ الْوَلَايَةَ ضِدُّ الْعِدَاوَةِ، وَالْوَلَايَةُ تَتَضَمَّنُ الْمَحَبَّةَ وَالْمُوَافَقَةَ، وَالْعِدَاوَةُ تَتَضَمَّنُ الْبَغْضَ وَالْمُخَالَفَةَ»<sup>(٣)</sup>، وضابطُها: أن تكون محبةُ أهل الشُّركِ لأجل الدُّنيا، ولا تكون معه نصرَة، وهذه كبيرةٌ من الكبائر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ

(١) تفسير البغوي (٥/٥٠).

(٢) نواقض الإسلام - ضمن متون طالب العلم -، نسخة الحواشي بتحقيقنا (ص ١٨٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/٥١٠).

.....

بِالْمَوَدَّةِ ﴿١﴾ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ تَحَصَّلَ لِلرَّجُلِ مُوَادَّتُهُمْ لِرَحِمٍ أَوْ حَاجَةٍ، فَتَكُونُ ذَنْبًا يَنْقُصُ بِهِ إِيمَانَهُ، وَلَا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا؛ كَمَا حَصَلَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

الفرق بين  
التَّوَلَّى والمُؤَالَاة

والفرق بين التَّوَلَّى والمُؤَالَاة: أَنَّ التَّوَلَّى كَفْرٌ أَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْمُؤَالَاةُ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَقَدْ سَأَلَ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّطِيفِ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> عَنِ الْفَرْقِ بَيْنِ الْمُؤَالَاةِ وَالتَّوَلَّى، فَأَجَابَ: «التَّوَلَّى كَفْرٌ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَهُوَ كَالذَّبِّ عَنْهُمْ وَإِعَانَتِهِمْ بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ وَالرَّأْيِ، وَالْمُؤَالَاةُ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، كَبَلِّ الدَّوَاةِ<sup>(٣)</sup>، أَوْ بَرِي الْقَلَمِ، أَوْ التَّبَشُّشِ لَهُمْ، أَوْ رَفْعِ السَّوْطِ لَهُمْ»<sup>(٤)</sup>. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٢٣/٧).

(٢) مفتي الديار في زمانه، وهو عمُّ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٣) الدَّوَاةُ هِيَ: الْمَحْبَرَةُ.

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٤٢٢/٨).

.....

صُورٌ مِنْ مُوَالَاةٍ  
وَتَوَلَّى الْمَشْرِكِينَ

وَلِلْمُوَالَاةِ وَالتَّوَلَّى صُورٌ عَدِيدَةٌ ذَكَرَهَا الشَّيْخُ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «قَدْ نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ: (الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(١)</sup>.

وَيُفْهِمُ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ عَنِ السَّلَفِ<sup>(٢)</sup> أُمُورٌ مَنْ فَعَلَهَا دَخَلَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ، وَتَعَرَّضَ لِلْوَعِيدِ بِمَسِيسِ النَّارِ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ - :

أَحَدُهَا: التَّوَلَّى الْعَامَ.

الثَّانِي: الْمُوَادَّةُ وَالْمَحَبَّةُ الْخَاصَّةُ.

الثَّلَاثُ: الرُّكُونُ الْقَلِيلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخَطَابُ لِأَشْرَفِ مَخْلُوقٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فَكَيْفَ بغيره؟! :

الرَّابِعُ: مَدَاهِنَتُهُمْ وَمِدَارَاتُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ

فَيُدْهِنُونَ﴾.

(١) كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ عِلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ ﷻ، رَقْمُ (٦١٦٨).

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ مَفْصَلًا فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ هَذِهِ.

.....

الخامس: طاعتُهم فيما يتولَّون وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾.

السادس: تَقْرِيبُهم في الجلوس، والدُّخُولُ على أمراء الإسلام.

السابع: مشاورَتُهم في الأمور.

الثامن: استعمالُهم في أمرٍ من أمور المسلمين، أيَّ أمرٍ كان - إمارة أو عَمَالَة أو كتابة، أو غير ذلك -.

التاسع: اتِّخَاذُهم بِطَانَة من دون المؤمنين.

العاشر: مُجَالَسَتُهم ومُزَاوَرَتُهم والدُّخُولُ عليهم.

الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة.

الثاني عشر: الإكرام العام.

الثالث عشر: استئمانُهم وقد خونهم الله.

الرابع عشر: معاونتُهم في أمورهم ولو بشيء قليل - كَبْرِي القلم، وتقريبِ الدَّوَاة، ليكتبوا ظلمهم -.

الخامس عشر: مناصحتُهم<sup>(١)</sup>.

(١) أي: أَنْ يَطْلُبَ منهم أَنْ يَنْصَحُوهُ بالباطل.

.....

السادس عشر: اتَّبَاعُ أَهْوَائِهِمْ.

السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم.

الثامن عشر: الرضا بأعمالهم، والتَّشَبُّهُ بهم والتَّزَيُّ بِزِيَّهِمْ.

التاسع عشر: ذكرُ ما فيه تعظيم لهم كَتَسْمِيَتِهِمْ سَادَاتٍ وَحُكَمَاءَ، كما يُقَالُ لِلطَّوَاعِيتِ: السَّيِّدُ فُلَانٌ، أو يُقَالُ لِمَنْ يَدَّعِي عِلْمَ الطَّبِّ «الحَكِيمُ»، ونحو ذلك.

العشرون: السُّكْنَى معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: (مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ) رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

إذا تبيَّن هذا، فلا فَرْقَ في هذه الأمور بين أَنْ يَفْعَلَهَا مع أَقْرَبَائِهِ مِنْهُمْ، أو مع غيرهم، كما في آية المجادلة<sup>(٢)</sup>.

المُشَابَهَةُ فِي  
الظَّاهِرِ

والتَّشَبُّهُ بِهِمْ فِي الظَّاهِرِ يُورِثُ مَوَدَّتَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ فِي الْبَاطِنِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «المُشَابَهَةُ فِي الظَّاهِرِ؛ تُورِثُ نَوْعَ مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةٍ وَمُؤَالَاةٍ فِي الْبَاطِنِ، كما أَنَّ الْمَحَبَّةَ فِي الْبَاطِنِ؛ تُورِثُ الْمُشَابَهَةَ فِي الظَّاهِرِ، وهذا أَمْرٌ يَشْهَدُ بِهِ الْحِسُّ وَالتَّجَرُّبَةُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الجهاد، بابٌ في الإقامة بأرض الشرك، رقم (٢٧٨٧)، من حديث سَمُرَةَ بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (٨/١٥٤).

(٣) اقتضاء الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (١/٥٤٩).

.....

والكافر يعامل معاملةً ظاهرةً دونَ ميلٍ ومحبةٍ في القلب أو تشبُّهٍ في الظاهر، فالإيمانُ الواجبُ يُوجبُ مُعاداةً مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورسوله، كما أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ محبةً مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ ورسوله وموالاته، فَمَنْ وَالَى الكافرين فقد تَرَكَ واجباً من واجبات الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا بُدَّ في الإيمان من محبة القلبِ لِلَّهِ ولرسوله، وَمِنْ بُغْضٍ مَنْ يُحَادُّ اللَّهَ ورسوله»<sup>(١)</sup>.

الولاء والبراء  
مع أهل الفسق

وكما أَنَّ الكَفَّارَ يَجِبُ بُغْضُهُمْ؛ فكذلك الفاسق يُبْغَضُ لفسقه، ولكن يُعْطَى مِنَ الْمُوَالاةِ بِقَدْرِ إيمانه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والواجبُ مُوَالاةُ أولياءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ، وَبُغْضُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ، وَالْفَاسِقُ الْمَلِيٌّ يُعْطَى مِنَ الْمُوَالاةِ بِقَدْرِ إيمانه، وَيُعْطَى مِنَ الْمُعَادَاةِ بِقَدْرِ فِسْقِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فالواجبُ على المؤمنِ مُعاداةً مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورسوله وَبُغْضَهُ؛ ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته إلى الحق، فالمؤمنُ يُحِبُّ أولياءَ اللَّهِ ويتعاونُ معهم على الخير، وَيَكْرَهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَبِغْضَهُمْ ويعاديهم في اللَّهِ حتى وهو يدعوهم إلى اللَّهِ.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤٧/٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٧٨/٢٨).

.....

عاقبة  
مَنْ حَقَّقَ الْبِرَّاءَ

وَمَنْ عَادَى مَنْ يُبْغِضُهُ اللَّهُ؛ عَوَّضَهُ اللَّهُ مَوَدَّةً عَظِيمَةً لغيره،  
فِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا اعْتَزَلَ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ لَكُفْرِهِمْ؛ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ  
بِإِسْمَاعِيلَ ثُمَّ إِسْحَاقَ، فَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَّا مِنْ  
سُلَالَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ  
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. \*

\* اَعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ - : أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ . . . .

الرَّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ:  
بيان الحنيفية

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ فِي الرَّسَالَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الرَّسَائِلِ الثَّلَاثِ  
الَّتِي صُدِّرَتْ بِهَا «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ» فِي بَيَانِ الْحَنِيفِيَّةِ: (اعْلَمْ  
- أَرْشَدَكَ اللَّهُ) وَهَذَاكَ وَوَقَّفَكَ (لِبَطَاعَتِهِ -)، وَالِدُّعَاءُ بِالرَّشَادِ إِلَى  
الطَّاعَةِ هُوَ مِنْ خَيْرِ الْأَدْعِيَةِ وَأَجْمَعِهَا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ  
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَا عَلِيُّ! قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ  
بِالْهُدَى: هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ: سَدَادَ السَّهْمِ» رَوَاهُ  
مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>، وَإِذَا نَالَ الْعَبْدُ طَاعَةَ اللَّهِ فَقَدْ نَالَ الْخَيْرَ كُلَّهُ.

معنى الحنيفية،  
والحنيف

وَلَكِي تَظْفَرَ بِالْخَيْرِ: اَعْلَمْ (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ) وَهِيَ: إِفْرَادُ اللَّهِ  
بِالْعِبَادَةِ - بِأَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، فَلَا تَصْرِفَ أَيَّ  
نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ -، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ  
الْمُسْلِمُ الْحَنِيفُ الْمُقْتَفِي أَثَرِ الْمُرْسَلِينَ.

وَالْحَنِيفُ: مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَنْفِ، وَهُوَ الْمَيْلُ، فَالْحَنِيفُ: هُوَ  
الْمَائِلُ عَنِ الشَّرِكِ قَصْدًا إِلَى التَّوْحِيدِ، الْمُسْتَقِيمُ الْمُسْتَمْسِكُ  
بِالْإِسْلَامِ، الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ، الْمُعْرِضُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَنْ  
كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ حَنِيفٌ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ  
ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فَالدِّينُ الْحَنِيفُ هُوَ: الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ،  
وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، رَقْمُ  
(٢٧٢٥)، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ (٣١٩/٩).

## - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ - : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ،

مِلَّةُ جميع  
المرسلين

(مِلَّةٌ) إمام الحنفاء (إِبْرَاهِيمَ) ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وهي أيضاً مِلَّةٌ ودين جميع المرسلين، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِلَّا مِنْ نَسْلِهِ، لذا قال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ فهو أبو الأنبياء ﷺ، ودينُ جميع الأنبياء هو الإسلام، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وكلُّ دينٍ سِوَى الإسلام فهو باطل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

حقيقة دين  
الحنفاء

والْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ هي: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ) وتوَحَّدَه (وَحْدَهُ) دون ما سِوَاهُ (مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) أي: مُفْرِداً له العبادة، ومُتَبَرِّئاً من عبادة مَنْ سِوَاهُ ومُعْتَقِداً بطلانها، وبذلك أَمَرَ الأنبياء، قال اللَّهُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾، وأَمَرَ به جميع النَّاسِ، قال ﷺ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾.

صلاح النَّفْسِ  
بالتَّوْحِيدِ

وَلَا صَلَاحَ لِلنَّفْسِ فِي دُنْيَاهَا وَآخِرَتِهَا إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ والإِخْلَاصِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ، وَلَا أَضَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ»<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٥٢/١٠).

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوحِّدُونِ.

(وَبِذَلِكَ) أي: بالعبادة الخالصة لله (أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ) من ذكرٍ وأنثى (وَخَلَقَهُمْ لَهَا) أي: للحنيفية ملّة إبراهيم، وهي الأمر بإخلاص العبادة لله وحده، (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾) أي: إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا احتياجي إليهم، (وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ») أي: (يُوحِّدُونِ) بأن يوحّدوا الله ويفرّدوه في جميع العبادات وفي قصد القلب بها.

صلاح القلب في  
الإخلاص لله

والقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يطيب ولا يطمئن إلا بالإخلاص في عبادة الله، ولو حصل له كل ما تتلذذ به المخلوقات، وإذا قوي إخلاص دين العبد لله كملت عبوديته واستغناؤه عن الخلق، وعبادته سبحانه تكون بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ، وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ فَسَبَبُهُ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَكُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ وَقَحْطٍ وَتَسْلِيْطِ عَدُوٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَالدَّعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا حَقَّ التَّدَبُّرِ وَجَدَ هَذَا الْأَمْرَ كَذَلِكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَفِي غَيْرِهِ عَمُومًا وَخُصُوصًا»<sup>(١)</sup>، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٥/١٥).

.....

الْقَلْبُ عَنِ الْخَلْقِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ، فَلَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ،  
وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ. \*

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، . . . . .

التَّوْحِيدُ أعظم  
الفروض  
علماً وعملاً

(وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ) في كتابه، وأعظم ما أَمَرَتْ به الرُّسُلُ أُمَمَهُمْ هو: (التَّوْحِيدُ) بإفرادِ اللَّهِ وحدَه بالعبادة مخلصاً له الدِّينَ، وهو أعظمُ فريضةٍ فَرَضَهَا اللَّهُ على العباد، علماً وعملاً، ولأجله أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وبه تُكَفَّرُ الذُّنُوبُ، ولأجله خُلِقَتِ الْجَنَّةُ، وبه النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ لَمْ يَمَثَلْ لهذا الأمرِ العظيمِ فجميعُ أعماله لا تُقْبَلُ عندَ اللَّهِ، قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

أَهْمِيَّةُ التَّوْحِيدِ

ولأهميَّةِ التَّوْحِيدِ جاء القرآنُ كُلُّهُ مُتَضَمِّناً له، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «غالبُ سُورِ الْقُرْآنِ، بل كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فهي مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعِي التَّوْحِيدِ، بل نَقُولُ قَوْلًا كُلِّيًّا: إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فهي مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ شَاهِدَةٌ به، داعيةٌ إليه.

القرآنُ كُلُّهُ  
في التَّوْحِيدِ

فإنَّ الْقُرْآنَ إمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ فهو التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ.

وإمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَلَعَ كُلِّ مَا يَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ؛ فهو التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلْبِيُّ.

وإمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ؛ فهي حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمَكْمَلَاتُهُ.

وإمَّا خَبَرٌ عَنِ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وما فعل

.....

بهم في الدُّنْيَا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاءٌ توحيدِهِ.

وإِذَا خَبِرَ عَنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، وما فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّكَالِ، وما يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ؛ فهو خبرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحَقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ، فَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيدٌ، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيدٌ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيدٌ، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ توحيدٌ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيدٌ<sup>(١)</sup>.

والتَّوْحِيدُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ الدِّينُ كُلُّهُ، وَهُوَ أَعْظَمُ سَبَبٍ لَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَهُوَ مَلَجَأُ الطَّالِبِينَ، وَمَفْزَعُ الْهَارِبِينَ، وَنَجَاةُ الْمَكْرُوبِينَ، وَغِيَاثُ الْمَلْهُوفِينَ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا دُفِعَتْ شِدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ، وَلِذَلِكَ كَانَ دَعَاءُ الْكَرْبِ بِالتَّوْحِيدِ، وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ، فَلَا يُلْقَى فِي الْكَرْبِ الْعِظَامُ إِلَّا الشَّرْكَ، وَلَا يُنْجَى مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ، فَهُوَ مَفْزَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلَجَأُهَا وَحِصْنُهَا وَغِيَاثُهَا»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٣/٤١٨).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٥٣).

## وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

والتَّوْحِيدُ الذي وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ بين الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ هُوَ:  
تَوْحِيدُ الْأُلُوْهِيَّةِ، (وَ) تَعْرِيفُهُ: (هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ) كَالدُّعَاءِ  
وَالذَّبْحِ وَالنَّذْرِ؛ فَلَا يُصْرَفُ أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ.  
والتَّوْحِيدُ يَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامًا:

الخصومة في  
توحيد الألوهية

أقسام التوحيد

- ١ - توحيد الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَفْعَالِهِ.
- ٢ - توحيد الْأُلُوْهِيَّةِ؛ وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ.
- ٣ - توحيد الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ وَهُوَ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا  
وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ  
تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.  
وَمَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ بِأَقْسَامِهِ الثَّلَاثَةِ؛ فَهُوَ الْمَوْحِدُ حَقًّا. \*

## وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، . . . . .

أَعْظَمُ ذَنْبٍ  
فِي الْأَرْضِ

(و) على العبدِ أَنْ يَعْلَمَ أَشَدَّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ؛ فَنَبَّهَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (أَعْظَمُ مَا نَهَى) اللَّهُ (عَنْهُ) فِي كِتَابِهِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَتْ عَنْهُ الرُّسُلُ هُوَ: (الشِّرْكُ) وَهُوَ صَرْفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَالشِّرْكُ بِاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ وَمِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالسَّرْقَةِ، وَهُوَ أَعْظَمُ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا نَجَاةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَبِالْجُمْلَةِ: فَالشِّرْكُ وَالِدَعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَإِقَامَةُ مَعْبُودٍ غَيْرِهِ، أَوْ مُطَاعٍ مُتَّبَعٍ غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ؛ هُوَ أَعْظَمُ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا وَلَا أَهْلِيهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالِدَعْوَةُ لَهُ لَا لِغَيْرِهِ، وَالطَّاعَةُ وَالِاتِّبَاعُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وَأَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ: الشِّرْكُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟» قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/١٥).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، رقم (٦٠٠١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ، وبيان أعظمها بعده، رقم (٨٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

## وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

قبائح الشرك

والشُّرْكُ هَضْمٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَتَنْقُصٌ لِلْأُلُوهِيَّةِ، وَسُوءٌ ظَنٌّ بربِّ العالمين، وهو أَقْبَحُ المعاصي؛ لَأَنَّهُ تَسْوِيَةٌ لِلْمَخْلُوقِ النَّاْقِصِ بِالْخَالِقِ الْكَامِلِ فِي صفاته ﷻ.

وَمَنْ أَشْرَكَ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَإِنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ رَجُلًا يُقَرُّ إِقْرَارًا كَامِلًا بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَلَكِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ فَيَدْعُو صَاحِبَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَنْذِرُ لَهُ قَرْبَانًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ هَذَا قَدْ وَقَعَ فِي الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ.

تعريف الشرك

(و) تعريفُ الشُّرْكِ (هُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)، أَي: دَعْوَةُ غَيْرِ اللَّهِ مَعَهُ سُبْحَانَهُ، بَأَن يَطْلُبَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَسْأَلَ مَعَ اللَّهِ آخَرَ، أَوْ يَجْعَلَ أَحَدًا وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ - مِنْ قَبْرِ أَوْ وَلِيِّ - بِالْدُّعَاءِ أَوْ الْإِسْتِعَانَةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: الشُّرْكُ: هُوَ مُسَاوَاةُ غَيْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خِصَائِصِ اللَّهِ.

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم (٥٩٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٧)، من حديث أبي بكره رضي الله عنه.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

عاقبة الشرك وَمَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ؛ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ، وَحُرِمَ دُخُولَ الْجَنَّةِ، قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً؛ دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

(وَالدَّلِيلُ) عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدَ، وَأَنَّ أَعْظَمَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الشِّرْكَ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾) أَي: أَفْرَدُوهُ ﷻ بِالْعِبَادَةِ، (﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾) فَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ أَنْدَادًا وَلَا نُظْرَاءَ وَلَا أَشْبَاهَ لَا فِي قَلِيلِ الشِّرْكِ وَلَا فِي كَثِيرِهِ، وَاحْذَرُوا الشِّرْكَ وَعَوَائِلَهُ وَأَسْبَابَهُ.

أَوْجِبَ الْوَاجِبَاتِ، وَأَعْظَمَ الْمَحْرَمَاتِ فعلى العبد أن يحقق الإيمان به سبحانه، وأن يكفر بضده من الأنداد والشركاء، فأول أمر أمر به العباد: الأمر بعبادته وتوحيده، وأول نهي هو: النهي عن ضده، ثم أعقب تعالى ببقية الواجبات فقال: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ

كُحِبِّ اللَّهِ ﷻ، رقم (٤٤٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

.....

وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ  
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ

وتصديرُ الآية بالتَّوْحِيدِ والنَّهْيِ عَنِ الشُّرْكِ؛ يدلُّ على عظمة  
التَّوْحِيدِ وَقُبْحِ الشُّرْكِ. \*

\* فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟  
فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، . . . . .

الأصول الثلاثة  
الواجب معرفتها،  
والعمل بها

يجبُ على كلِّ مُكَلَّفٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، أَنْ يَعْرِفَ ثَلَاثَةَ  
أُصُولٍ عَظِيمَةٍ، هِيَ أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ، فَإِنْ ثَبَتَ  
عِنْدَ السُّؤَالِ؛ كَانَ مِنَ النَّاجِينَ، وَإِنْ ضَلَّ عَنْ جَوَابِ تِلْكَ  
الْأُصُولِ؛ كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

(فَإِذَا) <sup>(١)</sup> سُئِلَتْ عَنْهَا وَ(قِيلَ لَكَ: مَا) هِيَ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ  
الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ) الْمُكَلَّفِ (مَعْرِفَتُهَا) وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهَا؟

أَهْمِيَّةُ  
مَعْرِفَةِ اللَّهِ

(فَقُلْ) لَهُ: الْأُصْلُ الْأَوَّلُ: (مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ) وَهَذَا أُصْلُ  
الْأُصُولِ، لِتَعْبُدَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَقِينُ، فَتَعْرِفُهُ سَبْحَانَهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ  
نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، مِنْ وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَفْعَالِهِ  
وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

أَهْمِيَّةُ  
مَعْرِفَةِ الدِّينِ

(وَقُلْ) لَهُ: الْأُصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ (دِينَهُ) الَّذِي تُعْبَدُنَا  
بِهِ، وَهُوَ: مَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَاَنَا عَنْهُ.

(وَقُلْ) لَهُ: الْأُصْلُ الثَّلَاثُ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهُ هُوَ: مَعْرِفَةُ

(١) هذه بداية رسالة «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ»، وما سبقها هي رسائل مُتَفَرِّقَةٌ لِلشَّيْخِ  
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَضَعَهَا بَعْضُ تَلَامِذَتِهِ قَبْلَ «ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» كَالْتَقَدِّمَةِ  
لَهَا، كَمَا حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْوَالِدُ وَالشَّيْخُ صَالِحُ ابْنِ غَصُون رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

## وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

العبد (نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)، فَإِنَّهُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَلَا طَرِيقَ لَنَا إِلَى مَا تَعَبَّدْنَا بِهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

أَهْمِيَّةُ مَعْرِفَةِ  
النَّبِيِّ ﷺ

وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ ﷺ هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ مُجْمَلَةً، ثُمَّ ذَكَرَهَا بَعْدُ مَفْصَلَةً أَصْلًا أَصْلًا، تَتِمِيمًا لِلْفَائِدَةِ، وَتَنْشِيطًا لِلْقَارِئِ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَهَا مُجْمَلَةً وَعَرَفَ أَلْفَاظَهَا وَأَتَقْنَهَا؛ بَقِيَ مَتَشَوِّفًا إِلَى مَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا.

فَائِدَةُ إِجْمَالِ  
الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ تَجْمَعُ الدِّينَ كُلَّهُ؛ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ هُوَ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ، وَمَعْرِفَتُهَا فَقَطْ دُونَ اعْتِقَادِهَا وَالْعَمَلِ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ لَا تَنْجِي الْعَبْدَ مِنَ الْعَذَابِ، وَإِنَّمَا يَنْجِيهِ مَعْرِفَتُهَا وَاعْتِقَادُهَا مَعَ الْعَمَلِ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَلَا يَثْبِتُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ السُّؤَالِ فِي قَبْرِهِ إِلَّا بِذَلِكَ.

أَهْمِيَّةُ  
الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَرَدَ ذِكْرُهَا مُجْتَمِعَةً فِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

(١) كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا»، رَقْمُ (٣٤).

.....

ومن رضي بهذه الأصول الثلاثة وقالها عن يقينٍ بعد قول المؤذن: «أشهد أن محمداً رسول الله»؛ غفر له ما تقدم من ذنبه، قال النبي ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيته بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غفر له ذنبه» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد اللطيف<sup>(٢)</sup> بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «الرضا بهذه الأصول الثلاثة قُطِبَ رَحَى الدِّينِ، وعليه تدور حقائق العلم واليقين»<sup>(٣)</sup>. \*

(١) كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، رقم (٣٨٦)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) هو جد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣٥٥).

## [الأصلُ الأولُ]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ

بِنِعْمِهِ، .....

ثُمَّ شَرَعَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْصِيلِ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ أَصْلًا  
أَصْلًا، الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، فَقَالَ لَكَ:

الأصل الأول:  
معرفة العبد ربه

(فَإِذَا) سُئِلْتَ وَ(قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟)، أَي: مَنْ مَعْبُودُكَ  
وخالقك ورازقك الذي ليس لك معبود سواه؟

(فَقُلْ) لَهُ: (رَبِّي) وَمَعْبُودِي هُوَ (اللَّهُ) لَا أَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا  
أَصْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لغيره، فَلَا أَرْكَعُ، وَلَا أَنْحَرُ، وَلَا  
أَنْذِرُ، وَلَا أَطُوفُ؛ إِلَّا لِلَّهِ.

كَيْفَ أَكْفَرُ بِهِ وَأَعْبُدُ غَيْرَهُ؟! وَهُوَ (الَّذِي) أَوْجَدَنِي مِنَ  
الْعَدَمِ، وَ(رَبَّنِي) بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَفَرَّجَ كُرُوبِي، وَأَغْدَقَ  
عَلَيَّ النِّعَمَ، وَأَسْبَغَ عَلَيَّ الْخَيْرَاتِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا  
نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

بَلْ (وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ)، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِمْ جَزِيلَ  
آلَائِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾،  
قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالرَّبُّ هُوَ: الْمُرَبِّي الْخَالِقُ

وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.....

الرَّازِقُ النَّاصِرُ الهادي، وهذا الاسمُ أَحَقُّ باسمِ الاستِئانةِ  
والمَسْأَلَةِ<sup>(١)</sup>.

وقد مضى على الإنسان زمنٌ طويلٌ من العصور والدُّهور لم  
يكن فيها شيئاً مذكوراً، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ  
الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ أي: موجوداً، بل كان معدوماً غير  
موجود، ثمَّ أَوْجَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَرَزَقَهُ النِّعَمَ؛ لِيَعْبُدَهُ وحده.

(وَهُوَ مَعْبُودِي) الَّذِي أَصْرَفُ إِلَيْهِ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ،  
(لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ) أَتَذَلُّ لَهُ أَوْ أَصْرَفُ لَهُ شَيْئاً مِّنَ  
الْعِبَادَاتِ، فَكَفَى بَرَّبِي مَعْبُوداً فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ.

دليل  
الأصل الأول

(وَالِدَّلِيلُ) عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّبُّ الْمُنْعِمُ وحده؛ (قَوْلُهُ  
تَعَالَى) فِي أَوَّلِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿الْحَمْدُ﴾ وَهُوَ الثَّنَاءُ  
عَلَى الْمَحْمُودِ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِ مَعَ حُبِّهِ وَإِجْلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَالْأَلْفُ  
وَاللَّامُ فِي ﴿الْحَمْدُ﴾ لِلِاسْتِغْرَاقِ؛ أَي: جَمِيعُ الْمَحَامِدِ ﴿لِلَّهِ﴾  
الْمَالُوهِ الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ، فَجَمِيعُ الْمَحَامِدِ لَهُ لَا لِغَيْرِهِ، ﴿رَبِّ﴾  
وَخَالِقِ وَرَازِقِ وَمَالِكِ وَمُدَبِّرِ جَمِيعِ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ  
وَمَلَائِكَةٍ وَغَيْرِهِمْ.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/١٤).

وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

(وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ) مِمَّا فِي الْكَوْنِ - مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،  
وَالْجِبَالِ، وَالْأَشْجَارِ -، فَهُوَ (عَالَمٌ)، وَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ، وَسُمِّيَ  
الْعَالَمُ عَالَمًا؛ لِأَنَّهُ عَلَامَةٌ عَلَى خَالِقِهِ وَمُوجِدِهِ وَمَالِكِهِ.

(وَأَنَا) وَأَنْتَ وَجَمِيعُ الْخَلْقِ (وَاحِدٌ مِنْ) جُمْلَةِ (ذَلِكَ الْعَالَمِ)  
وَتِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَكُنَّا مُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ فِي قَضَاءِ  
حَاجَاتِنَا وَتَفْرِيجِ كُرْبَاتِنَا، فَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ،  
وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ بِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، وَهَذَا مَدْلُولُ كَلِمَةِ  
الْإِخْلَاصِ. \*

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟  
فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

دلائل معرفة  
الله: الآيات،  
والمخلوقات

(فَإِذَا) سُئِلْتَ و(قِيلَ لَكَ: بِمَ) أي: بأيّ شيءٍ (عَرَفْتَ) به  
(رَبَّكَ؟) وخالقك الذي تعبّده؟

(فَقُلْ) له: عَرَفْتُهُ (بِآيَاتِهِ) أي: علاماته ودلائله التي نصّبها  
دلالةً على وحدانيّته وتفرّده بالرّبوبيّة والألوهيّة.

دلالة الآيات  
والمخلوقات  
على وحدانيّة  
الله تعالى

(وَ) عَرَفْتُهُ بـ(مَخْلُوقَاتِهِ) الباهرة التي أوجدّها بعدَ العدم،  
وجعلها دالّةً عليه؛ فكلُّ شيءٍ في الكون - وإنّ دَقَّ - فهو دالٌّ  
على وحدانيّته:

تَأَمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا

مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ

وَقَدْ خَطَّ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا

أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ<sup>(١)</sup>

والتّفكّر في الكون يزيّد الإيمان ويعلّق القلبَ بالله،  
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأحسن ما أُنفِقت فيه الأنفاس: التّفكّر في  
آيات الله وعجائب صنّعه، والانتقال منها إلى تعلّق القلب والهيمّة  
به دون شيءٍ من مخلوقاته»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٣/٣٣٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٦٠٨).

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

من أعظم آيات  
الله الكونية  
المشاهدة  
بالأبصار

(وَمِنْ) أعظم (آيَاتِهِ) المشاهدة بالأبصار الدالة على وحدانيته: (اللَّيْلُ) إذا أقبل، (وَالنَّهَارُ) إذا أدبر، وعدم اجتماعهما في زمن واحد؛ بل كلُّ منهما يطلب الآخر طلباً سريعاً لا يفصل بينهما شيء، هذا يُقبل وذاك يُدبر، وهما يتعاقبان علينا مُسَخَّرين لنا.

(وَ) مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ: (الشَّمْسُ) المُشْرِقة، وهي سراج الكون، (وَالْقَمَرُ) المُضِيء في الدَّهْمَاءِ، آيتان تجريان على مَسَارٍ دَقِيقٍ لَمْ يَرَ الْخَلْقُ لَهُ نَظِيراً، هذه تشرق وذاك يغرب، ووقفوا أمام سيرهما مُنْدهِشِينَ، جَرِيٌّ مُنَظَّمٌ، وَسَيْرٌ مُتَقَنٌ، لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَلَا يُدْرِكُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وَلَا يَتَغَيَّرُ مَسَارُ أَحَدِهِمَا إِلَى غَيْرِ مَا قَدَّرَ اللَّهُ ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

وهذه الشَّمْسُ على كِبَرِ حَجْمِهَا إِذَا غَرَبَتْ تَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟! قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي

## وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ،

لِمُسْتَقَرِّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ رواه البخاري<sup>(١)</sup>،  
وَتَسْتَأْذِنُ رَبَّهَا فِي الْإِشْرَاقِ مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:  
«دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ  
قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟! قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ  
لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ  
مَغْرِبِهَا» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

وفي الآخرة تُكْوَرُ وتُجَمَّعُ، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ  
- في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ -: «أي: جُمِعَ  
بعضُها إلى بعض، ثُمَّ لَفَّتْ فَرَمِيَّ بِهَا، وَإِذَا فُعِلَ بِهَا ذَلِكَ ذَهَبَ  
ضَوْوُهَا»<sup>(٣)</sup>.

من أعظم  
مخلوقات  
الله تعالى

(وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ) العظيمة: (السَّمَوَاتُ السَّبْعُ) الواسعة  
المرتفعة، (وَمِنْ فِيهِنَّ) من الكواكب الزَّاهرات، والآيات  
الباهرات.

(١) كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، رقم (٤٨٠٢).

(٢) كتاب التوحيد، بَابُ ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، رقم (٧٤٢٤)، من حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تفسير الطبري (١٣١/٢٤).

## وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

(وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ) وامتدادها، وسعة أرجائها، وتقدير أوقاتها.

(وَمَنْ فِيهِنَّ) من الجبال والبحار، وأصناف المخلوقات من الحيوانات والنباتات، وسائر الموجودات.

(وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: ما بين السموات والأرض من الهواء وغيره، وما بدا لهم من سيرهم من موطن إلى موطن في جو السماء، وما ظهر لهم من منافع من نقل ما يتحدثون به وهم في بلد وغيرهم في بلد آخر، فسبحان الله رب العرش العظيم.

فحري بكل مسلم التفكر في آيات الله ومخلوقاته، قال ابن جزي المالكي رحمته الله: «التفكر هو ينبوع كل حال ومقام، فمن تفكر في عظمة الله اكتسب التعظيم، ومن تفكر في قدرته استفاد التوكل، ومن تفكر في عذابه استفاد الخوف، ومن تفكر في رحمته استفاد الرجاء، ومن تفكر في الموت وما بعده استفاد قصر الأمل، ومن تفكر في ذنوبه اشتد خوفه، وصغرت عنده نفسه»<sup>(١)</sup>. \*

(١) القوانين الفقهية (ص ٢٨٤).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ  
الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

الدليل  
على بعض  
آيات الله تعالى

(وَالدَّلِيلُ) على أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ  
اللَّهِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾) الدَّالَّةُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ،  
وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ، وَسِعَةِ سُلْطَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ:  
(﴿الَّيْلُ﴾) بِمَنْفَعَةِ ظِلْمَتِهِ، وَسُكُونِ الْخَلْقِ فِيهِ، (﴿وَالنَّهَارُ﴾)  
بِمَنْفَعَةِ ضِيَائِهِ، وَتَصَرُّفِ الْعِبَادِ فِيهِ، (﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾) اللَّذَانِ  
لَا تَسْتَقِيمُ مَعَاشِ الْعِبَادِ إِلَّا بِهِمَا.

(﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾) فَإِنَّهُمَا مُدَبَّرَانِ مُسَخَّرَانِ  
مَخْلُوقَانِ، لَا يَسْتَحِقُّانِ السُّجُودَ لَهُمَا.

(﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾) لَا لِغَيْرِهِ، وَوَحْدُوهُ، فَهُوَ (﴿الَّذِي  
خَلَقَهُنَّ﴾)، فَإِنَّهُمَا وَإِنْ كَبُرَ حَجْمُهُمَا فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْهُمَا،  
وَأِنَّمَا هُوَ مِنْ خَالِقِهِمَا.

(﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ﴾) وَحْدَهُ ﷻ (﴿تَعْبُدُونَ﴾) فَخُصُّوهُ  
بِالْعِبَادَةِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ  
يَطْلُبُهُ حَيْثُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ... .

دليل المخلوقات

(و) الدليل على أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، والأَرْضِينَ السَّبْعَ، من  
مخلوقات الله الدالة عليه ﷻ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾) وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَتَقَنَ خَلْقَهُمَا، وَأَحْكَمَ  
بِنِيَانَهُمَا (﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) أَوَّلُهَا يَوْمُ الْأَحَدِ، وَآخِرُهَا يَوْمُ  
الْجُمُعَةِ، (﴿ثُمَّ﴾) لَمَّا قَضَاهَا وَأَوْدَعَ فِيهَا مِنْ أَمْرِ مَا أَوْدَعَ  
(﴿اسْتَوَى﴾) ﷻ (﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾) الْعَظِيمِ الَّذِي وَسِعَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، استواءً يليقُ بجلاله وعظمته.

وهو سبحانه (﴿يُغْشَى اللَّيْلَ﴾) أي: يجعل اللَّيْلَ الْمُظْلِمَ  
يُغْطِي (﴿النَّهَارَ﴾) المضيء، فيُعْمُ الظَّلَامُ وَجْهَ الْأَرْضِ وَيَبْقَى كُلُّ  
مَنْ عَلَيْهَا فِي ظِلَامٍ، وَيَسْكُنُ الْآدَمِيُّونَ، وَتَأْوِي المخلوقات إلى  
مساكنها.

(﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُا﴾) أي: سريعاً، كُلَّمَا جَاء اللَّيْلُ ذَهَبَ  
النَّهَارُ، وَكُلَّمَا جَاء النَّهَارُ ذَهَبَ اللَّيْلُ، طَلَباً لَا فُتُورَ فِيهِ وَلَا  
تَأْخِيرَ، حَتَّى يَطْوِيَ اللَّهُ هَذَا الْعَالَمَ وَيَتَّقِلَ الْعِبَادُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ.

(﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾) الثَّابِتَةُ وَالسَّائِرَةُ (﴿مُسَخَّرَاتٍ  
بِأَمْرِهِ﴾) وَتَدْبِيرِهِ، وَعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ.

أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

تفرد الله  
بالخلق والأمر

(﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾)؟ بلى، إِنَّ لَهُ الخلق الَّذي صدرت عنه جميع المخلوقات، ويتضمن أحكامه الكونية القدرية.

(﴿و﴾) أَلَا لَهُ (﴿الْأَمْرُ﴾)؟ بلى، إِنَّ لَهُ الأمر المتضمن للشرائع والنبوات، وهذا يتضمن جميع أحكامه الدينية الشرعية.

(﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾) أي: بلغ في البركة النهاية، وهي صيغة لا تصلح إلا لله، فهو سبحانه عظيم وتعالى وكثر خيرُه، فتبارك في نفسه؛ لعظمته أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل، والبر الكثير، وهو سبحانه (﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾) المُنعم عليهم بخيراته، وسابغ فضله. \*

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا  
النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ  
\* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً . . . . .

الرَّبُّ هو المعبود

(وَالرَّبُّ) الخالق لتلك المخلوقات العظيمة - من السموات  
السَّبع، وَمَنْ فِيهِنَّ وما بينهما - هو المالكُ الْمُتَصَرِّفُ، الْمُتَّصِفُ  
بصفات الكمال، و(هُوَ الْمَعْبُودُ) المُسْتَحَقُّ للعبادة وحده دون من  
سواه، وما سواه مخلوقٌ مَرْبُوبٌ ضَعِيفٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا  
ضَرًّا.

(وَالِدَلِيلُ) على أَنَّ الرَّبَّ هو المعبود وحده؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾) من ذِكْرٍ وَأَنْشَى ﴿أَعْبُدُوا﴾ وَوَحَّدُوا ﴿رَبَّكُمْ﴾  
فهو الْمُنْعِمُ عليكم بِالنَّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وهو ﴿الَّذِي  
خَلَقَكُمْ﴾ وَأَوْجَدَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كذلك  
خلقهم اللَّهُ بعد أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا، وَذَكَرَكُمْ اللَّهُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ  
العظيمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ خَالِقَكُمْ، وَتَأْتِمُرُونَ بِأَوَامِرِهِ، وَتَجْتَنِبُونَ  
نَوَاهِيهِ.

فهو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ بِسَاطًا مُمَهَّدًا لَكُمْ  
تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا، وَتَقْضُونَ عَلَيْهَا مَعَايِشَكُمْ.

من أفعال  
الرَّبِّ تعالى

(وَالسَّمَاءَ) جَعَلَهَا ﴿بِنَاءً﴾ لَكُمْ، وَقَبَّةً مَضْرُوبَةً عَلَيْكُمْ،  
وَسَقْفًا مَحْفُوظًا مُزِينًا بِالْمَصَابِيحِ وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي تَهْتَدُونَ بِهَا فِي

وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

ظلمات البرّ والبحر، أرض تُقْلِكُمْ، وسماء تُظْلِكُمْ، لا غنى لكم عن إحداهما.

(﴿وَأَنْزَلَ مِنْ﴾) السَّحَابِ الَّذِي فِي (﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾) عَذْبًا مباركًا، (﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾) المتنوعة من نخيل وفواكه وزروع وغيرها (﴿رِزْقًا﴾) طيبًا (﴿لَكُمْ﴾) لِيَسْتَمْتِعُوا بِالطَّيِّبَاتِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ نِعْمَهُ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، فَاشْكُرُوا نِعْمَهُ، وَمِنْ شُكْرِهَا: (﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾) وشركاء ونظائر معه في العبادة.

(﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) بطلان ذلك وأنها لا تستحق العبادة، فكيف تعبدون مع الله آلهة أخرى مع علمكم ببطلان ذلك؟! وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الله وبطلان الشرك.

تقرير الألوهية  
بالرُّبوبيّة،  
والاحتجاج بما  
أقروا على ما  
أنكروا

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وقد احتج عليهم تعالى في هذه الآية بما أقروا به وعلموه من توحيد الرُّبوبيّة، على ما جحدوه وأنكروه من توحيد الألوهيّة، فإنه تعالى كثيراً ما يُقرّر في كتابه توحيد ألوهيته بتوحيد ربوبيّته، فإنّ توحيد الرُّبوبيّة هو الدليل الأوضح والبرهان الأعظم على توحيد الألوهيّة.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «الْخَالِقُ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءِ، هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ».

وَفَعَلَ الْعِبَادَةَ مِنْ غَيْرِ تَوْحِيدٍ لَيْسَتْ بِعِبَادَةٍ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ تَارَةً وَأَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ فَلَيْسَ بِعَابِدٍ لِلَّهِ، يَدُلُّ لَذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ سَمَّى الَّذِينَ يُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ فِي الشَّدَائِدِ، وَعِنْدَ رُكُوبِ الْبَحَارِ وَتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ يَفْزَعُونَ وَيُلْجِئُونَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَيَعْرِفُونَ فِي كَرْبَتِهِمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَلْهَةَ لَيْسَتْ شَيْئاً وَأَنَّهَا لَا تَنْفَعُهُمْ عِنْدَ الْكَرُوبِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَمَّاهُمُ اللَّهُ مُشْرِكِينَ، بَلْ نَفَى عَنْهُمْ تِلْكَ الْعِبَادَةَ بِالْكَلِّيَّةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

مَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ  
غَيْرَهُ فَلَيْسَ  
بِعَابِدٍ لِلَّهِ

فَالْتَّوْحِيدُ لَا يُسَمَّى تَوْحِيداً إِلَّا بِأَفْرَادِ اللَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْهَا، وَلَمْ يَصْرِفْ أَيَّ شَيْءٍ مِنْهَا لغيره؛ فَقَدْ وَحَّدَهُ، وَإِلَّا فَلَا.

(قَالَ) الْإِمَامُ أَبُو الْفِدَاءِ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمَرَ (ابْنُ كَثِيرٍ<sup>(١)</sup>) - صَاحِبُ التَّبْسِيرِ - (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) وَأَسْكَنَهُ جَنَّاتِهِ: «الْخَالِقُ» الْمَوْجِدُ (لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ) مِنَ الْعَدَمِ، مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالثَّمَارِ (هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ)<sup>(٢)</sup>، وَغَيْرِهِ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ لَا يَسْتَحِقُّهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ:

مَدْلُولُ تَفَرُّدِ  
اللَّهِ بِالْخَلْقِ

(١) المتوفى: سنة أربع وسبعين وسبع مئة (٧٧٤هـ).

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٩٤)، ونصّه: «ومضمونه: أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ مَالِكُ الدَّارِ وَسَاكِنُهَا وَرَازِقُهُمْ، فَبِهَذَا يَسْتَحَقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ».

.....

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.  
 قال ابن القيم رحمته الله: «كلُّ مَنْ يَمْلِكُ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ فَإِنَّهُ هُوَ  
 المعبودُ حقًّا، والمَعْبُودُ لا بدَّ وأنَّ يكونَ مالكَ للنَّفْعِ والضَّرِّ،  
 ولهذا أنكر الله تعالى على مَنْ عَبَدَ مِنْ دُونِهِ مَا لا يملك ضراً  
 ولا نفعاً»<sup>(١)</sup>. \*

(١) بدائع الفوائد (١/٣).

.....

فضل  
تنوع العبادات

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ أَنْوَاعاً عَدِيدَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَيْهِ، وَالْمَرْءُ لَا يَعْلَمُ بِأَيِّهَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَنَوَّعَتْ أَعْمَالُهُ الْمَرْضِيَّةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ: تَنَوَّعَتْ الْأَقْسَامُ الَّتِي يَتَلَذَّذُ بِهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ، وَتَكَثَّرَتْ لَهُ بِحَسَبِ تَكَثُّرِ أَعْمَالِهِ هُنَا، وَكَانَ مَزِيدُهُ بِتَنَوُّعِهَا وَالِابْتِهَاجِ بِهَا وَالِالْتِذَاذِ هُنَاكَ؛ عَلَى حَسَبِ مَزِيدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَتَنَوُّعِهِ فِيهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِكُلِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ وَالْمَسْخُوطَةِ أَثَرًا وَجَزَاءً وَلَذَّةً وَأَلْمًا يَخُصُّهُ، لَا يُشَبِّهُ أَثَرَ الْآخَرِ وَجَزَاءَهُ، وَلِهَذَا تَنَوَّعَتْ لَذَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَآلَامُ أَهْلِ النَّارِ، وَتَنَوَّعَ مَا فِيهِمَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالْعَقُوبَاتِ، فَلَيْسَتْ لَذَّةٌ مِنْ ضَرْبٍ فِي كُلِّ مَرْضَاةٍ لِلَّهِ بِسَهْمٍ وَأَخَذَ مِنْهَا بِنَصِيبٍ، كَلَذَّةٌ مِنْ أَنْمَى سَهْمِهِ وَنَصِيبِهِ فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَلَا أَلَمٌ مِنْ ضَرْبٍ فِي كُلِّ مَسْخُوطٍ لِلَّهِ بِنَصِيبٍ وَعَقُوبَتُهُ، كَأَلَمٍ مِنْ ضَرْبٍ بِسَهْمٍ وَاحِدٍ فِي مَسَاخِطِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَالْعَبْدُ تَعْلُو دَرَجَتُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِذَا زَادَتْ عِبُودِيَّتُهُ لَهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَمَالُ الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِ عِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ، وَكَلِمَا زَادَ الْعَبْدُ تَحْقِيقًا لِلْعِبُودِيَّةِ؛ زَادَ كَمَالُهُ، وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٦٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧٦/١٠).

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا : - مِثْلُ : الْإِسْلَامِ ،  
وَالْإِيمَانِ ، وَالْإِحْسَانِ ؛ .....

ولَمَّا بَيَّنَّ الْمُصَنِّفُ أَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ؛ ذَكَرَ  
شَيْئاً مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ ، فَقَالَ : ( وَأَنْوَاعُ ) وَأَصْنَافُ ( الْعِبَادَةِ الَّتِي  
أَمَرَ اللَّهُ بِهَا ) عِبَادَهُ وَتَعَبَّدَهُمْ بِهَا كَثِيرَةٌ جَدًّا ، ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ  
مِنْهَا سَبْعَةَ عَشَرَ مِثَالاً لِأَنْوَاعِهَا ، فَقَالَ :

أَجَلُ أَنْوَاعِ  
الْعِبَادَاتِ

( مِثْلُ : الْإِسْلَامِ ، وَالْإِيمَانِ ، وَالْإِحْسَانِ ) ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ أَعْلَى  
مَرَاتِبِ الدِّينِ ، وَأَهَمُّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ ، لِذَلِكَ بَدَأَ الْمُصَنِّفُ بِهَا ،  
فَالْإِسْلَامَ بِأَرْكَانِهِ - مِنْ صَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ - عِبَادَةٍ ، وَكَذَا الْإِيمَانَ  
بَأَعْمَالِهِ الْبَاطِنَةِ - كَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَرَسُولِهِ ،  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَكَذَلِكَ الْخَوْفُ  
وَالْمَحَبَّةُ وَالرَّجَاءُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ - ، فَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُلُوبِ  
دَاخِلٌ فِي الْعِبَادَةِ ، بَلْ هُوَ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَأَعْظَمُهَا .

وَمَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ هِيَ أَوْسَعُ دَوَائِرِ الدِّينِ ، يَلِيهَا مَرْتَبَةُ الْإِيمَانِ ،  
وَهِيَ أَضْيَقُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ دَائِرَةُ الْإِحْسَانِ وَهِيَ أَضْيَقُ  
تِلْكَ الدَّوَائِرِ ، وَالِدَّاخِلُونَ فِي دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ هُمُ الْأَقْلُ مِنْ عِبَادِ  
اللَّهِ ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ زَاكِيَّةٌ عَالِيَةٌ لَا يَنَالُهَا إِلَّا مَنْ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ ، قَالَ  
شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « أَحْوَالُ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالُهَا - مِثْلُ :  
مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ،  
وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ،  
وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ  
أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا . . . . .

حِكْمِهِ، وَالشُّكْرَ لَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَإِخْلَاصَ الْعَمَلِ لَهُ - مِمَّا  
يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِيهِ تَفَاضُلًا، لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ<sup>(١)</sup>.

أنواع من  
العبادات

(وَمِنْهَا) أي: ومن أنواع العبادات أيضاً التي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا:  
(الدُّعَاءُ) وإنزال الحوائج به سبحانه، (وَالْخَوْفُ) منه ﷻ،  
(وَالرَّجَاءُ) والطَّمَعُ بما عند الله، (وَالتَّوَكُّلُ) وتفويض الأمور إليه،  
(وَالرَّغْبَةُ) فيما عند الله، (وَالرَّهْبَةُ) منه ﷻ، (وَالْخُشُوعُ) لِلَّهِ،  
(وَالْخَشْيَةُ) منه، (وَالْإِنَابَةُ) إلى الله والرُّجُوعُ إليه، (وَالِاسْتِعَانَةُ) به  
سبحانه، (وَالِاسْتِعَاذَةُ) بالله من كلِّ شرٍّ، (وَالِاسْتِغَاثَةُ) به ﷻ من  
كلِّ كرب، (وَالذَّبْحُ) له وحده، (و) كذلك (النَّذْرُ) لا يكون إلا  
له وحده.

(وَعَبَّرَ ذَلِكَ عَنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ) الْمُتَنَوِّعَةِ (الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا)  
كَبَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَإِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَحَسَنِ الْخُلُقِ،  
وَكُلِّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ  
وَالْبَاطِنَةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/٤٠٩).

.....

لكلِّ ما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة»<sup>(١)</sup>، فالعبادةُ تشمل جميع أنواع الطَّاعات، وتتضمَّن كمال الحبِّ، وكمال التَّعظيم، وكمال الرِّجاء والخشية، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الْعُبُودِيَّةُ تَجْمَعُ كَمَالَ الْحَبِّ، فِي كَمَالِ الذُّلِّ، وَكَمَالَ الانْقِيَادِ لِمَرَاضِي الْمَحْبُوبِ وَأَوَامِرِهِ، فَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ»<sup>(٢)</sup>. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٤٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٠٩).

كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ (كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى) لَا يَصْلَحُ مِنْهَا شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ.

العبادة  
حقُّ الله وحده

(وَالِدَّلِيلُ) عَلَى ذَلِكَ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ﴾) أَيِ: أَمَاكِنِ الصَّلَوَاتِ أَوْ أَعْضَاءِ السُّجُودِ كُلِّهَا مُلْكُ (لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا) وَلَا تَسْجُدُوا بِهَا لِغَيْرِهِ، وَلَا تَشْرِكُوا فِي الْأَرْضِ (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَإِنَّ الْأَرْضَ جَمِيعَهَا مُلْكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَأَفْرَدُوهُ فِيهَا بِالْعِبَادَةِ.

(فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا) أَيِ: مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ أَوْ غَيْرَهَا، وَلَوْ (شَيْئًا) يَسِيرًا (لِغَيْرِ اللَّهِ) مِثْلُ: لَوْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ - أَوْ مِنَ الْأَمْوَاتِ، أَوْ الْغَائِبِينَ، أَوْ الْأَصْنَامِ، أَوْ الْأَشْجَارِ - أَوْ رَجَاهُمْ، أَوْ خَافَهُمْ، أَوْ سَأَلَهُمْ قِضَاءَ الْحَاجَاتِ، أَوْ تَفْرِيجَ الْكَرْبَاتِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ (فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ) أَيِ: الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَالْكَفَرُ الْمَخْرَجُ عَنِ الْمِلَّةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ مَتَّفِقُونَ عَلَى مَا عَلِمُوهُ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْبُدَ وَلَا يَدْعُوَ وَلَا يَسْتَغِيثَ وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ،

حَكَمَ مَنْ  
صَرَفَ أَيَّ عِبَادَةٍ  
لِغَيْرِ اللَّهِ

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾

وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ مَلَكًا مَقْرَبًا، أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا، أَوْ دَعَاهُ، أَوْ اسْتَغَاثَ بِهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ<sup>(١)</sup>.

الفرق بين  
الشرك والكفر

والفرق بين الشرك والكفر: أَنَّ الْكُفْرَ أَعَمُّ، فَكُلُّ مُشْرِكٍ كَافِرٌ وَلَا عَكْسَ، فَمَنْ طَافَ عَلَى قَبْرِ، أَوْ دَعَاهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَيُسَمَّى كَافِرًا، وَمَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنَ الدِّينِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ وَلَا يُسَمَّى مُشْرِكًا؛ بَلْ اسْتَهْزَأُوهُ كُفْرًا، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَالَ الْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ سَوَاءٌ، فَكِلَاهُمَا مَخْلَدٌ فِي النَّارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، قَالَ تَعَالَى - فِي حَقِّ الْكَافِرِ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَاعْدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾، وَقَالَ - فِي حَقِّ الْمُشْرِكِ -: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

الدليل على كفر  
من صرف شيئاً  
من العبادات  
لغير الله

(وَالدَّلِيلُ) عَلَى أَنَّ مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ﴾) وَمَنْ يَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ كَأَنْ يَدْعُو (مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) مِنْ الْأَمْوَاتِ، أَوْ الْأَوْثَانِ، أَوْ الْأَحْجَارِ، أَوْ غَيْرِهَا، (لَهُ) أَيُّ: لَا حُجَّةَ وَلَا دَلِيلَ لَهُ (بِهِ) أَيُّ: بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَشْرَكَ فِيهَا مَعَ اللَّهِ، وَهَذَا الْقَيْدُ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَعْبُدُ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٢٧٢).

فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠﴾.

غير الله بحجة، وإنما أتي به ليبين لهم أنه لا حجة لأحد في دعوى الشرك، فليست عبادتهم عن دليل، إنما عن ضلالة وأهواء، لا عن هداية ووحى، فمن فعل ذلك فقد توعدّه الله بقوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾ وعقابه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ يوم القيامة بخلوده في النار.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: مَنْ أَشْرَكَ معه غيره ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك هم ﴿الْكَافِرُونَ﴾ الخارجون عن ملة الإسلام، وفي الآية أوضح برهان على كفر مَنْ دعا مع الله غيره، سواء كان المدعو ملكاً، أو نبياً، أو قبراً، أو غير ذلك. \*

## وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» .. . . . .

ولما ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أَنْوَاعاً مِنَ الْعِبَادَةِ مجملة؛ شَرَعَ فِي ذِكْرِ أَدَلَّتِهَا، أَمَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ؛ فَسَيَذْكُرُ أَدَلَّتِهَا مُفَصَّلَةً فِي الْأَصْلِ الثَّانِي.

فبدأ بالدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ وَأَسَاسُهَا، فَقَالَ: الدُّعَاءُ: عِبَادَةٌ (وَفِي الْحَدِيثِ) الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(١)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «(الدُّعَاءُ)» وَسَوَّالُ اللَّهِ الْحَوَائِجِ (مُخُّ) أَي: لُبُّ وَخَالِصُ (الْعِبَادَةِ) الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا الْخَلْقَ، كَمَا يَفْسِّرُهُ الْحَدِيثُ الْآخِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ<sup>(٢)</sup>، فَجَعَلَ الدُّعَاءَ هُوَ عَيْنَ الْعِبَادَةِ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ جَاءَتْ لَتَتَوَجَّهَ الْقُلُوبُ لِسَوَّالِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

ودُعَاءٌ وَسَوَّالٌ غَيْرُ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرْكَ الْأَكْبَرِ الْمُحِبِّطِ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ، جَاءَ فِي الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ: «اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ، عَلَى أَنَّ مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْأَلُهُمْ؛ فَقَدْ كَفَرَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أبواب الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم (٣٣٧١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٧٩)، من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/١٩٦).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

والدُّعَاءُ من أكثر أنواع الشُّرْكِ وقوعاً بين الخلق، جاء في الدَّرَرِ السَّنِيَّةِ: «مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِهِ - أَي: الشُّرْكِ -، وَأَكْثَرِهِ وَقُوعاً فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ: طَلْبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا أَصْلُ شُرْكِ الْعَالَمِ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ»<sup>(١)</sup>.

(وَالدَّلِيلُ) على أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، وَأَنَّ صَرْفَهُ لغيرِ اللَّهِ شُرْكَ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ﴾) وخالقكم (﴿ادْعُونِي﴾) وَأَنْزِلُوا بِي حَوَائِجَكُمْ (﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾) وَأَعْطِكُمْ سُؤْلَكُمْ، (﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾) ويعرضون (﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾) ودُعَائِي (﴿سَيَدْخُلُونَ﴾) نَارَ (﴿جَهَنَّمَ﴾) والعياذ بالله (﴿دَاخِرِينَ﴾) ذليلين حَقِيرِينَ، يَجْتَمِعُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْإِهَانَةُ، عَقُوبَةُ لَهُمْ عَلَى مَا تَرَكُوهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ، وَالْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْكَرُوبَ لَا يَكْشِفُهَا إِلَّا اللَّهُ، لِأَنَّهُ الْقَدِيرُ عَلَى كَشْفِهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

دليل من القرآن  
على أَنَّ الدُّعَاءَ  
عبادة

وَالْمَخْلُوقُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُدْعَى أَوْ يُسْتَغَاثَ بِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ عَبْدٌ ضَعِيفٌ يَمْرُضُ وَيَمُوتُ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ دَفْعَ ضَرٍّ وَلَا

(١) الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/١٩٩).

.....

جلب نفع، فكيف يجلبها لغيره؟! قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، فالجأ إلى الله وحده، وأنزل به حوائجك، وسله أعطك، واستغفره يغفر لك، وادع به بقلب خاشع خاضع يستجب لك، ومن أنزل حوائجه بالله والتجأ إليه، وتعلق قلبه بربه، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ فهو الموحد. \*

.....

الخوفُ  
من الله: عبادة

والخوفُ من الله من أَجَلِّ العباداتِ القَلْبِيَّةِ، وهو فرضٌ على كلِّ أحدٍ، وهو ركنُ العبادةِ الأعظمِ، ولا يستقيمُ إخلاصُ الدينِ لله إلاَّ به.

والخوفُ: «هو تألُّمُ القلبِ وحَرَكَتُهُ؛ بسببِ توقُّعِ مكروهٍ في المستقبلِ»<sup>(١)</sup>.

والخوفُ المحمود: ما حَجَزَكَ عن مَحَارِمِ الله.

وهناك فرقٌ بينه وبين الوَجَلِ، والخَشْيَةِ، والرَّهْبَةِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الْوَجَلُ، والخوفُ، والخَشْيَةُ، والرَّهْبَةُ، ألفاظٌ مُتَقَارِبَةٌ غيرُ مُتَرَادِفَةٍ»<sup>(٢)</sup> أي: معانيها مختلفة.

والفرقُ بين الخوفِ والوَجَلِ:

الفرقُ بين  
الخوفِ والوَجَلِ

أَنَّ الخوفَ: تألُّمُ القلبِ على شيءٍ يخاف منه في المستقبلِ، كرجلٍ يَخَافُ من مَجَاعَةٍ يَتَوَقَّعُ أَنْ تُصِيبَهُ بعد شهرٍ.

وَأَمَّا الوَجَلُ: فهو رَجَفَانُ القلبِ وحَرَكَتُهُ على شيءٍ مَخُوفٍ واقعٍ عليه الآن، كرجلٍ رَأَى أسدًا فَرَجَفَ قلبُهُ من مُشَاهَدَتِهِ، فَرَجَفَانُ القلبِ حالُ المشاهدةِ يُسَمَّى وَجَلًا.

(١) مدارج السالكين (١/٥٠٨)، وبلغت السالك لأقرب المسالك (٤/٤٣٨).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٠٧).

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فتألم القلب على أمرٍ مخوفٍ مُتَوَقَّعٍ في المستقبل يُسَمَّى خوفاً، وتألمه من أمرٍ واقعٍ عليه الآن يُسَمَّى وَجَلاً، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الْوَجَلُ: فَرجفان القلب وانصداعه لِذِكْرِ مَنْ يَخَافُ سُلْطَانَهُ وَعُقُوبَتَهُ، أَوْ لِرُؤْيَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

دليل أن الخوف  
عبادة

(وَدَلِيلُ الْخَوْفِ) على أنه عبادة من العبادات لا يُصَرَفُ إِلَّا لِلَّهِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾) أي: المشركين، فإن نواصيهم بيدي، (﴿وَخَافُونَ﴾) فأنا ربكم الذي ينصُرُ أوليائه الخائفين منه (﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾) بي.

والخوف منه سبحانه من أسباب صلاح القلب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَمَا حَفِظَتْ حُدُودَ اللَّهِ وَمَحَارِمَهُ، وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ، بِمِثْلِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَمَتَى خَلَا الْقَلْبُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ؛ فَسَدَ فَسَاداً لَا يُرْجَى صِلَا حُهُ أَبَداً، وَمَتَى ضَعَفَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ؛ ضَعَفَ إِيمَانُهُ بِحَسَبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

خوف الأنبياء  
من الله تعالى

وقد كان الأنبياء أشدَّ الخلق خوفاً من الله، قال نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وقال شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) مدارج السالكين (١/٥٠٨)، وسيأتي الفرق بين الخشية والرَّهبة عند ذكرهما مع أدلتهما.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١/١٥).

.....

لقومه: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾، وقال الله لِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يصلي «وَلِصَدْرِهِ أَزِيْزٌ كَأَزِيْزِ الْمِرْجَلِ»<sup>(١)</sup>؛ مِنْ الْبُكَاءِ رواه أحمد<sup>(٢)</sup>.

وكَلَّمَا كان العبدُ بالله أعلم كان منه أَخَوْفٌ، ونُقْصَانٌ الخوفِ من الله إِنَّمَا هو لِنُقْصَانِ معرفةِ العبدِ رَبَّهُ، فأَعْرِفُ النَّاسِ أَخْشَاهُمْ لِلَّهِ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ اشْتَدَّ حَيَاؤُهُ مِنْهُ وَخَوْفُهُ وَحُبُّهُ لَهُ، وكَلَّمَا ازداد معرفةً ازداد حياءً وخوفاً وحباً.

وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوفُ والخشية، قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً» متفق عليه<sup>(٣)</sup>، وقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ» رواه أحمد<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: صوت كصوت الإناء إذا غلا فيه الماء.

(٢) في المسند، رقم (١٦٣١٧)، من حديث أبي مطرّف، عبد الله بن الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ لَمْ يُوَاجِهْ النَّاسَ بِالْعِتَابِ، رقم (٦١٠١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى، وشدة خشيته، رقم (٢٣٥٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولفظ مسلم: «لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

(٤) في المسند، رقم (٢١٩١٦)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

فضل الخوف  
من الله تعالى

والخوف من الله ﷻ هو الطريق إلى طاعته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الخوف من الله يستلزم العلم به، والعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته»<sup>(١)</sup>، ولا صلاح للقلب إلا بالخوف من الله، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرَبَ»<sup>(٢)</sup>، وهو المانع من اتباع الشهوات، قال إبراهيم بن سفيان رحمه الله: «إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا، وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا»<sup>(٣)</sup>، وإذا فارق الخوف القلب ضلَّ عن الاستقامة، قال ذو النون رحمه الله: «النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقِ مَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُمْ الْخَوْفُ، فَإِذَا زَالَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ؛ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ»<sup>(٤)</sup>.

والخائف من ربه يمنحه التبصّر في آياته ونذره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾، وفي الآخرة تُفَتَّحُ لَهُ الْجَنَانُ ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾، ومن عظم وقار الله في قلبه؛ عظم الله وقاره في قلوب الخلق، ومنعهم أن يذلوه.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/٧).

(٢) مدارج السالكين (٥٠٩/١).

(٣) مدارج السالكين (٥٠٩/١).

(٤) مدارج السالكين (٥٠٩/١).

.....

#### أركان العبادة

وأركانُ العبادة: الخوف، والرَّجاء، والمحبة، وكلُّ هذه الأركان الثلاثة يجب على العبد الإتيانُ بها جميعاً، قال ابن القيم رحمته الله: «قال بعضُ السَّلف: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ تعالى بِالْحُبِّ وحده فهو زَنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبْدُهُ بالخوف وحده فهو حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبْدُهُ بِالرَّجَاءِ وحده فهو مُرْجِيٌّ، وَمَنْ عَبْدُهُ بِالْحُبِّ والخوفِ والرَّجَاءِ فهو مُؤْمِنٌ، وقد جَمَعَ اللَّهُ تعالى هذه المَقَامَاتِ الثلاثة بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ﴿١﴾ فابْتِغَاءُ الوسيلة هو محبته الدَّاعِيَةُ إلى التَّقَرُّبِ إليه، ثُمَّ ذكر بعدها الرَّجَاءَ والخوف، فهذه طريقة عِبَادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ»<sup>(١)</sup>.

والمَحَبَّةُ تَجَلِبُ الخوفَ والرَّجَاءَ، قال ابن القيم رحمته الله: «كلُّ مَحَبَّةٍ فِيهَا مَصْحُوبَةٌ بالخوف والرَّجَاءِ، وعلى قدر تَمَكُّنِهَا من قلب الْمُحِبِّ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ»<sup>(٢)</sup>. \*

(١) بدائع الفوائد (١١/٣).

(٢) مدارج السالكين (٤٣/٢).

.....

أقسام الخوف

والخوف من حيث هو ينقسم ثلاثة أقسام:

الخوف الذي هو شرك أكبر

**القسم الأول:** خوف السرّ، وهو أن يخاف من غير الله بسره - من وثن، أو طاغوت، أو غيره - أن يصيبه بما يكره، وهذا شرك أكبر، كأن يخاف من صاحب القبر أن يضربه أو يحلّ عليه عقوبة إذا لم يلجأ إليه، أو يخاف من صاحب القبر أن يصيبه بشيء إذا تنقّص ذلك الميت، كما قال ﷺ إخباراً عن قوم هود أنهم قالوا لنبيهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾، وهذا الواقع من عبّاد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد، فكما أنه إذا دعا غير الله أو سأل غير الله انتفى عنه الإيمان؛ فكذلك إذا خاف غير الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن سوى بين الخالق والمخلوق في الحب له، أو الخوف منه، والرجاء له؛ فهو مُشْرِك»<sup>(١)</sup>.

الخوف الذي هو شرك أصغر

**القسم الثاني:** أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، قال في فتح المجيد: «فهذا حرام، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٧/٣٣٩).

.....

ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾»،  
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ كَيْدِ عَدُوِّ اللَّهِ: أَنْ يَخَوْفَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ  
جُنْدِهِ وَأَوْلِيَآئِهِمْ؛ لِئَلَّا يُجَاهِدُوهُمْ، وَلَا يَأْمُرُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا  
يَنْهَوْهُمْ عَنِ مَنكَرٍ، وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ  
وَتَخْوِيفِهِ، وَنَهَانَا أَنْ نَخَافَهُ» (٢).

القسم الثالث: الخوف الطبيعي، كخوف الإنسان من  
السَّبع، والنَّار، والغرق، فهذا لا يُلَامُ عليه العبد، كما قال  
تعالى - في قصّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.  
وأما خوف وعيد الله الَّذِي تَوَعَّدُ بِهِ الْعُصَاةَ فَهُوَ الَّذِي قَالَ  
اللَّهُ فِيهِ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ونحو ذلك، فهو  
أَعْلَى مراتب الإيمان.

والاستسلامُ لِلَّهِ وتفويض الأمور إليه مِمَّا يَنْزِعُ الخوفَ من  
البشر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَالَّذِي يَحْسِمُ مَادَّةَ الخوفِ هو:  
التَّسْلِيمُ لِلَّهِ، فَإِنَّ مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ، وَاسْتَسَلَّمَ لَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ  
لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يَصِيبَهُ  
إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ؛ لَمْ يَبْقَ لَخَوْفِ المَخْلُوقِينَ فِي قَلْبِهِ  
مَوْضِعٌ» (٣).

كيف تنزع خوفك  
من البشر؟

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٤٤).

(٢) إغاثة اللّهفان في مصايد الشيطان (١/١٩٣).

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٢).

.....

وَمَنْ خَافَ رَبَّهُ فِي الدُّنْيَا؛ أَمِنَ يَوْمَ الْفَرَجِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ  
أَمِنَ فِي الدُّنْيَا؛ فَزَعَ فِي الْآخِرَةِ.

وَاللَّهُ لَا يَجْمَعُ لِعِبَادِهِ بَيْنَ خَوْفَيْنِ، إِمَّا خَوْفٌ فِي الدُّنْيَا مِنْ  
اللَّهِ، وَإِمَّا خَوْفٌ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ لَمْ يَخَفْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ  
خَافَ رَبَّهُ لَمْ يَفْزَعْهُ أَحَدٌ، بَلْ هُوَ مَطْمَئِنُّ الْقَلْبِ، سَاكِنُ  
الْجَوَارِحِ، وَمَنْ صَحَّ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ هَرَبَ إِلَيْهِ، وَأَنْعَمَ بِنَفْسٍ لَا  
تَأْنِسُ إِلَّا مَعَ اللَّهِ!

وَلَا يَعُدُّ خَائِفًا مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلذُّنُوبِ تَارِكًا، وَكُلُّ عَاصٍ لِلَّهِ  
فَهُوَ جَاهِلٌ، وَكُلُّ خَائِفٍ مِنْهُ فَهُوَ عَالِمٌ مَطِيعٌ لِلَّهِ.

فِرَاقُ رَبِّكَ فِي أَحْوَالِكَ وَخَفُّ مِنْ عِقَابِهِ، تَسْعِدُ فِي دُنْيَاكَ  
وَأُخْرَاكَ، وَالْمَخْلُوقُ إِذَا خِفْتَهُ اسْتَوْحِشْتَ مِنْهُ وَهَرَبْتَ مِنْهُ،  
وَالرَّبُّ تَعَالَى إِذَا خِفْتَهُ أَنْسَتْ بِهِ وَقَرَبَتْ إِلَيْهِ. \*

.....

والرَّجَاءُ عِبَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ، وهو: الرَّغْبَةُ وَالطَّمَعُ فِي الْحَصُولِ عَلَى شَيْءٍ مَرْجُوءٍ، وهو يَتَضَمَّنُ التَّذَلُّلَ وَالْخُضُوعَ.

الرَّجَاءُ: عِبَادَةٌ

والفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّيِّ: أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجَهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

الْفَرْقُ بَيْنَ  
الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّيِّ

وَالتَّمَنِّيُّ يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ.

وَالرَّجَاءُ هُوَ الْحَادِي لِلْأَعْمَالِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ! لَعَطَلْتُ عِبُودِيَّةَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، وَهَدَمْتُ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا»<sup>(١)</sup>.

وَحَقِيقَةُ الرَّجَاءِ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ مَعًا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَقِيقَةُ الرَّجَاءِ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، فَيَفْعَلُ مَا أُمِرَ بِهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ رَاجِيًا لِلثَّوَابِ، وَيَتْرَكُ مَا نُهِيَ عَنْهُ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ خَائِفًا مِنَ الْعِقَابِ»<sup>(٢)</sup>.

حَقِيقَةُ الرَّجَاءِ

وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ؛ نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ، وَنَوْعٌ غَرُورٌ مَذْمُومٌ.

أَنْوَاعُ الرَّجَاءِ

فَالْأَوَّلَانِ: رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ،

(١) مدارج السالكين (٢/٤٣).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٩٧).

.....

فهو راج ثوابه؛ ورجل أذنب ذنوباً، ثم تاب منها، فهو راجٍ  
لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجلٌ مُتَمَادٍ في التَّفْرِيطِ والخطايا، يَرْجُو رحمة  
الله بلا عمل، فهذا هو الغُرُورُ والتَّمَنِّي والرجاء الكاذب<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ قَوِيَ رجاؤه ازداد عمله الصالح، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **ثمرة الرجاء**  
«كلما قَوِيَ الرَّجَاءُ جَدَّ في العمل، كما أَنَّ الباذِرَ كُلَّمَا قَوِيَ طَمَعُهُ  
في المَعْلِ<sup>(٢)</sup>، غَلَقَ<sup>(٣)</sup> أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قَصَرَ في  
البذر<sup>(٤)</sup>».

والرَّجَاءُ يَحْدُو بالعبد في سيره إلى الله، وَيُطَيِّبُ له المسير،  
وَيَحْتُمُّ عليه، وَيَبْعَثُهُ على ملازمته، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولولا  
الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ، فَإِنَّ الخوفَ وحده لا يُحَرِّكُ العبد، وَإِنَّمَا  
يُحَرِّكُهُ الحُبُّ، وَيُزْعِجُهُ<sup>(٥)</sup> الخوف، وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ<sup>(٦)</sup>».

والعبدُ يَجْمَعُ بين المحبة والرَّجَاءِ والخوف، ولا تَحْصُلُ محركات القلوب

(١) مدارج السالكين (٢/٣٧).

(٢) أي: نتاج الأرض.

(٣) أي: ملاً.

(٤) الفوائد لابن القيم (ص ٦٩).

(٥) أي: يزجره.

(٦) مدارج السالكين (٢/٥١).

.....

العبودية لله إلا بهذه الثلاثة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أَنَّ مُحَرِّكَاتِ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ ﷻ ثَلَاثَةٌ: الْمَحَبَّةُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَأَقْوَاهَا: الْمَحَبَّةُ، وَهِيَ مَقْصُودَةٌ تُرَادُّ لِدَاتِهَا، لِأَنَّهَا تُرَادُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِخِلَافِ الْخَوْفِ فَإِنَّهُ يَزُولُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وَالْخَوْفُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ: الزَّجْرُ وَالْمَنْعُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَالْمَحَبَّةُ تُلْقِي الْعَبْدَ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، وَعَلَى قَدْرِ ضَعْفِهَا وَقَوَّتِهَا يَكُونُ سَيْرُهُ إِلَيْهِ، وَالْخَوْفُ يَمْنَعُهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ طَرِيقِ الْمَحْبُوبِ، وَالرَّجَاءُ يَقُودُهُ.

فهذا أصلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَتَنَبَّهُ لَهُ، فَإِنَّهُ لَا تَحْصُلُ لَهُ الْعِبَادَةُ بِدُونِهِ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ لَا لغيره.

فإن قيل: فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تَبَعُّهُ عَلَى طَلَبِ مَحْبُوبِهِ، فَأَيُّ شَيْءٍ يُحَرِّكُ الْقُلُوبَ؟  
قلنا: يُحَرِّكُهَا شَيْئَانِ:

أحدهما: كثرة الذكر للمحسوب؛ لأنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِهِ تُعَلِّقُ الْقُلُوبَ بِهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

.....

والثاني: مُطَالَعَةُ آيَاتِهِ وَنِعَمَائِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا  
ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ  
اللَّهِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾، وَقَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ مَا  
أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ تَسْخِيرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ  
الْأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانِ، وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ مِنَ الْإِيمَانِ  
وغيره، فَلَا بَدَّ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بَاعْثًا، وَكَذَلِكَ الْخَوْفُ تَحَرُّكُهُ  
مُطَالَعَةُ آيَاتِ الْوَعِيدِ وَالزَّجْرِ وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهِ، وَكَذَلِكَ  
الرَّجَاءُ يُحَرِّكُهُ مُطَالَعَةُ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ»<sup>(١)</sup>.

متى يَقْوَى  
الرجاء؟

وَيَقْوَى الرَّجَاءُ كُلَّمَا قَوِيَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَالرَّجَاءُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ رَبِّهِ،  
فَرَجَاءُ الْعَبْدِ ثَوَابَ اللَّهِ، وَاسْتِسْلَامُهُ لِرَبِّهِ بَانْطِرَاحِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ،  
وَرِضَاُهُ بِمَوَاقِعِ حُكْمِهِ فِيهِ، مَا ذَاكَ إِلَّا رَجَاءٌ مِنْهُ أَنْ يَرْحَمَهُ،  
وَيَقِيلَهُ عَثْرَتَهُ، وَيَعْفُوَ عَنْهُ، وَيَقْبَلَ حَسَنَاتِهِ مَعَ عَيُوبِ أَعْمَالِهِ  
وَأَفَاتِهَا، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، فَقُوَّةُ رَجَائِهِ أَوْجَبَتْ لَهُ هَذَا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩٥/١).

(٢) مدارج السالكين (٤٣/٢).

.....

الاستسلام والانقياد والانطراح بالباب، ولا يتصور هذا بدون  
الرجاء البتّة، فالرجاء حياة الطلب، وهو سبحانه يحبُّ من  
عباده أن يؤمّلوه ويرجّوه ويسألوه من فضله، لأنّه الملك الحقُّ  
الكريم، أكرم من سُئِلَ، وأوسع من أعطى، وأحبُّ شيءٍ إلى  
الكريم أن يُرَجَى ويُؤمَّلَ ويُسألَ، وكلّما قويَّ رجاءُ العبد وطمّعه  
في فضل الله ورحمته وتيسيرِ أموره؛ قويّت عبوديته لله، فهو  
عبادةٌ عظيمة. \*

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

دليل أن  
الرجاء عبادة

(وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ) على أنه عبادة لا يُصَرَفُ لغير الله؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾) وَيَأْمُلُ (﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾) وَمَوْعُودُهُ وَثَوَابِهِ (﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾) وهو الموافق لشرع الله، (﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾) لا رياء ولا سمعة، ولا يصرف العبادة لغير خالقه؛ بل يجعل أعماله كلها خالصة لوجه الله، فمن جَمَعَ بين الإخلاص والمتابعة نَالَ ما يرجو ويطلب، ومن عَدِمَ ذلك فَإِنَّهُ خاسر، وفاته القرب من مولاه ونيل رضاه.

وقد أَمَرَ اللَّهُ بتعليق الرجاء به فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، والمسلم يعلّق آماله وأطماعه ورجاءه بالله، قال سبحانه: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

والطامع في رجاء الله يَحْدُو به إلى التَّأَسِّي بنبِيِّهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، ومن لَمْ يَرْجُ فضلَ الله عَرَضَ نفسه للوعيد، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايِنِنَا غَافِلُونَ \* أُولَٰئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

.....

وَمَنْ رَجَا غَيْرَ اللَّهِ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ - كمغفرة ذنوبه، أو شفاء مريضه - فقد صَرَفَ تلك العبادة لغير الله، ووقع في الشُّرْكِ الأكبر؛ لأنَّ هذا طَمَعٌ في شيء لا يملكه إِلَّا الله، وصرف عبادة الرَّجَاءِ إلى غير الله، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الرَّجَاءُ ينبغي أَنْ يتعلَّقَ بالله، ولا يتعلَّقَ بمخلوق، ولا بقوة العبد ولا عمله، فإنَّ تعليق الرَّجَاءِ بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسباباً فالسَّبَب لا يستقل بنفسه؛ بل لا بدَّ له من مُعَاوَن، ولا بدَّ أَنْ يَمْنَعَ العارض المعوق له، وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

رجاء غير الله  
فيما لا يقدر  
عليه إلا الله

وَمَنْ رَجَا مخلوقاً أو تعلَّق به انصرف قلبه عن العبودية لله، وصار عبداً لغيره بقدر ما قام في قلبه من التَّعلُّق والرَّجَاء، فذلَّ لغير الله وخضع، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ما علَّقَ العبدُ رجاءه وتوكله بغير الله إِلَّا خَابَ من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إِلَّا خُذِلَ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾»<sup>(٢)</sup>.

رجاء غير  
الله مذلة

وَمَنْ علَّق رجاءه بالبشر خُذِلَ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكلُّ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٥٦/١٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٩/١).

.....

مَنْ خَافَ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ سُلِّطَ عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَحَبَّ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ عَذِّبَ بِهِ، وَمَنْ رَجَا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ خُذِلَ مِنْ جِهَتِهِ، وَهَذِهِ أُمُورٌ تَجَرَّبَتْهَا تَكْفِي عَنْ أَدَلَّتْهَا»<sup>(١)</sup>.

فِيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُعَلِّقَ رَجَاءَهُ بِاللَّهِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، فَالْخَلْقُ مُجْبُولُونَ عَلَى الضَّعْفِ، عَاجِزُونَ عَنْ جَلْبِ النِّفْعِ لِأَنْفُسِهِمْ وَدَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُمْ، وَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ أَعْجَزُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>، وَلَنْ يَجْنِيَ مِنْ وَرَائِهِمْ سِوَى الدَّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا تَعَلَّقَ بِالْمَخْلُوقِينَ وَرَجَاهُمْ وَطَمَعَ فِيهِمْ أَنْ يَجْلِبُوا لَهُ مَنْفَعَةً، أَوْ يَدْفَعُوا عَنْهُ مَضَرَّةً، فَإِنَّهُ يُخْذَلُ مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُحْصَلُ مَقْصُودُهُ، بَلْ قَدْ يَبْذُلُ لَهُمْ مِنَ الْخِدْمَةِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَرْجُو أَنْ يَنْفَعُوهُ وَقَدْ حَاجَّتْهُ إِلَيْهِمْ فَلَا يَنْفَعُونَهُ؛ إِمَّا لِعَجْزِهِمْ، وَإِمَّا لِانْصِرَافِ قُلُوبِهِمْ عَنْهُ، وَإِذَا تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ بِصَدَقِ الْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَاسْتَغَاثَ بِهِ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَجَابَ دَعَاءَهُ، وَأَزَالَ ضَرَرَهُ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مفتاح دار السعادة (٣/١٥٥٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٢٥٧).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٦٥٠).

.....

فلا تُعَلِّقْ أَطْمَاعَكَ وَأَمَلَكَ بغير الله، فلَنْ تَجْنِيَ إِنْ فَعَلْتَ  
 سوى العَدَمِ وَذُلِّ الْمَسْأَلَةِ وَالتَّفْرِيطِ فِي عِبَادَةٍ جَلِيلَةٍ، وَارْجُ كَرَمَ  
 الله وَعَطَاءَهُ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ كَشْفَ الْحَاجَاتِ  
 وَالْمُلِمَّاتِ، فَذَلِكَ أَرْفَعُ لِلدَّرَجَاتِ، وَأَعَزُّ لِلنَّفْسِ، وَفِيهِ تَحْقِيقُ  
 لِلْمَأْمُولِ، وَأَدَاءُ عِبَادَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ الرَّجَاءُ. \*

.....

والتَّوَكُّلُ: هو صدق التَّفْوِيض، والاعتماد على الله في جميع الأمور، وإظهار العجز والاستسلام له.

وهو عبادة من العبادات، بل هو من أَجَلِّ أنواع العبادة، وأعلى مقامات التَّوْحِيد، قال الشَّيْخُ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّوَكُّلُ فَرِيضَةٌ يَجِبُ إِخْلَاصُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَأَعْلَى مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ؛ بَلْ لَا يَقُومُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ إِلَّا خَوَاصُ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا فِي صِفَةِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَعْظَمَ مِمَّا أُمِرَ بِالْوُضوءِ وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ؛ بَلْ جَعَلَهُ شَرْطًا فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَفْهُومُ ذَلِكَ انْتِفَاءُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ عِنْدَ انْتِفَائِهِ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّوَكُّلُ نِصْفُ الدِّينِ، وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ، فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ، فَالتَّوَكُّلُ هُوَ الْاسْتِعَانَةُ، وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ، وَمَنْزِلَتُهُ أَوْسَعُ الْمَنَازِلِ وَأَجْمَعُهَا»<sup>(٢)</sup>.

ومنزلة التَّوَكُّلِ قَبْلَ مَنْزِلَةِ الْإِنَابَةِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْزِلَةُ التَّوَكُّلِ قَبْلَ مَنْزِلَةِ الْإِنَابَةِ؛ لَأَنَّهُ يُتَوَكَّلُ فِي حَصُولِهَا، فَالتَّوَكُّلُ

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ٤٢٧).

(٢) مدارج السالكين (١١٤/٢).

.....

وسيلة، والإنابة غاية»<sup>(١)</sup>، وقد جعل الله التَّوَكُّلَ سبباً لنيل محبته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وهو دليل على صحة إسلام المتوكل، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُكُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

حقيقة التَّوَكُّل

وحقيقته: تعلُّق القلب بالله، والأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها، قال ابن القيم رحمه الله: «وَسِرُّ التَّوَكُّلِ وَحَقِيقَتُهُ: هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ مَبَاشِرَةُ الْأَسْبَابِ مَعَ خُلُوقِ الْقَلْبِ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا، كَمَا لَا يَنْفَعُهُ قَوْلُهُ: «تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ» مَعَ اعْتِمَادِهِ عَلَى غَيْرِهِ وَرُكُونِهِ إِلَيْهِ وَثِقَتِهِ بِهِ، فَتَوَكَّلِ اللِّسَانَ شَيْءً، وَتَوَكَّلِ الْقَلْبَ شَيْءً آخَرَ»<sup>(٢)</sup>.

كمال التَّوَكُّل

والتَّوَكُّلُ محلُّه السَّبَب، وكماله بالتَّوَكُّل، قال ابن القيم رحمه الله: «التَّوَكُّلُ محلُّه الأسباب، وكماله بالتَّوَكُّل على الله، وهذا كتوَكُّلِ الْحَرَاثِ الَّذِي شَقَّ الْأَرْضَ وَأَلْقَى فِيهَا الْبَذَرَ؛ فَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي زَرْعِهِ وَإِنْبَاتِهِ، فَهَذَا قَدْ أُعْطِيَ التَّوَكُّلَ حَقَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

ويجبُ فعل الأسباب مع التَّوَكُّل ولكن مع عدم الرُّكُون

(١) مدارج السالكين (١/١٥٤).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٨٧).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/٣٣١).

.....

إليها، قال ابن القيم رحمته الله: «من أنكر الأسباب لم يستقم منه التَّوَكُّلُ، ولكن من تمام التَّوَكُّلِ عدم الرُّكُونِ إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها»<sup>(١)</sup>. \*

(١) مدارج السالكين (٢/١٢٠).

.....

أنواع التَّوَكُّلِ

والتَّوَكُّلُ من حيث نوعه ينقسم قسمين:

توَكُّلُ الاضطرار

توَكُّلُ اضطرار - وهذا لا يتخلَّف عنه الفرج بإذن الله - ،  
وتوَكُّلُ اختيار، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوَكُّلُ تارة يكون: توكل  
اضطرار وإلجاء، بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وَزَرَ<sup>(١)</sup> إلا  
التَّوَكُّلَ، كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظنَّ  
ألا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلَّف عنه الفرج والتَّيسير  
الberte.

توَكُّلُ الاختيار

وتارة يكون توَكُّلُ اختيار، وذلك التَّوَكُّلُ مع وجود السَّبب  
المفضي إلى المراد، فإن كان السَّببُ مأموراً به دُمَّ على تركه،  
وإن قام بالسَّبب وترك التَّوَكُّلَ دُمَّ على تركه أيضاً، فإنه واجب  
باتفاق الأئمة ونص القرآن، والواجب: القيام بهما والجمع  
بينهما.

وإن كان السَّببُ محرماً حَرُمَ عليه مباشرته، وتوَحَّدَ السَّببُ  
في حقِّه في التَّوَكُّلَ، فلم يَبْقَ سبب سواه، فإن التَّوَكُّلَ من أقوى  
الأسباب في حصول المراد، ودفع المكروه؛ بل هو أقوى  
الأسباب على الإطلاق.

(١) الوَزَرُ: الملجأ، وأصل الوَزَرِ: الجبل المنيع، وكلُّ مَعْقِلٍ وَزَرٌ، وفي التنزيل  
العزیز: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾، وكلُّ ما التجأت إليه وتَحَصَّنْتَ به فهو: وَزَرٌ، والوَزَرُ:  
الحِملُ الثَّقِيلُ، والوَزَرُ: الذَّنْبُ؛ لثقله. لسان العرب (٥/٢٨٢).

.....

وإن كان السبب مباحاً نظرت: هل يُضعِفُ قيامك به التَّوَكُّلُ  
أو لا يُضعِفُهُ؟ فإن أضعِفَهُ وفرَّقَ عليك قلبك، وشتَّت همك؛  
فتركه أولى، وإن لم يُضعِفُهُ؛ فمباشرة أولى، لأنَّ حِكْمَةَ أحكم  
الحاكمين اقتضت ربط المسبب به، فلا تعطل حكمته»<sup>(١)</sup>.

وينقسم التَّوَكُّلُ إلى: توَكُّلٍ في الأمور الدُّنيويَّة، وتوَكُّلٍ في  
الأمور الدِّينيَّة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوَكُّلُ على الله نوعان:

أحدهما: توَكُّلٌ عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه  
الدُّنيويَّة، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدُّنيويَّة.

والثاني: التَّوَكُّلُ عليه في حصول ما يحبه ويرضاه، من  
الإيمان واليقين والجهاد والدَّعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله.

فمَتَى توَكَّلَ عليه العبدُ في النوع الثاني حقَّ توَكُّله كفاه النوع  
الأوَّل تمام الكفاية، ومَتَى توَكَّلَ عليه في النوع الأوَّل دون الثاني  
كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوَكِّل فيما يحبه ويرضاه.

فأعظمُ التَّوَكُّلِ عليه: التَّوَكُّلُ في الهداية، وتجريد التَّوْحِيد،  
ومتابعة الرِّسول ﷺ، وجهادِ أهل الباطل، فهذا توَكُّلُ الرُّسُلِ

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٨٦).

.....

عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَخَاصَّةً أَتْبَاعَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا قَوِيَ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ قَوِيَ تَوَكُّلُهُ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَسْتَقِيمُ تَوَكُّلُ الْعَبْدِ حَتَّى يَصِحَّ لَهُ تَوْحِيدُهُ؛ بَلْ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: تَوْحِيدُ الْقَلْبِ، فَمَا دَامَتْ فِيهِ عِلَاقُ الشُّرْكِ فَتَوَكُّلُهُ مَعْلُولٌ مَدْخُولٌ، وَعَلَى قَدَرِ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ تَكُونُ صِحَّةُ التَّوَكُّلِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مَتَى التَّفَتَّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ أَخَذَ ذَلِكَ الْإِلْتِفَاتِ شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ قَلْبِهِ، فَنَقَصَ مِنْ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ بِقَدَرِ ذَهَابِ تِلْكَ الشُّعْبَةِ، وَمِنْ هَاهُنَا ظَنٌّ مِنْ ظَنٍّ أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِرَفْضِ الْأَسْبَابِ، وَهَذَا حَقٌّ، لَكِنْ رَفْضُهَا عَنِ الْقَلْبِ لَا عَنِ الْجَوَارِحِ، فَالتَّوَكُّلُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِرَفْضِ الْأَسْبَابِ عَنِ الْقَلْبِ وَتَعَلُّقِ الْجَوَارِحِ بِهَا، فَيَكُونُ مُنْقَطِعًا مِنْهَا مُتَصِلًا بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

مَتَى يَفُوقِ  
التَّوَكُّلُ؟

فَالْتَّوَكُّلُ عِبَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ، فَإِنْ اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَذَلِكَ هُوَ الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ.

التَّوَكُّلُ عِبَادَةٌ  
قَلْبِيَّةٌ

وَإِنْ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَحْيَاءِ الْحَاضِرِينَ - مِنَ السَّلَاطِينِ، وَنَحْوِهِمْ - فِيمَا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ - مِنْ رِزْقٍ، أَوْ دَفْعِ أَدَى، وَنَحْوِهِ - فَهُوَ نَوْعُ شُرْكِ أَصْغَرٍ. \*

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٨٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢٠).

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

(وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ) على أنه عبادة لا يُصَرَفُ إِلَّا لِلَّهِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾) لا على غيره (﴿فَتَوَكَّلُوا﴾) وفوضوا أموركم إليه (﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾) به، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُعَلَّقُ على الشَّرْطِ يُعَدُّ عند عدمه، وهذا يدلُّ على انتفاء الإيمان عند انتفاء التَّوَكُّلِ، فَمَنْ لَا تَوَكُّلَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وهذا يدلُّ على انحصار المؤمنين فيمن كان بهذه الصِّفة»<sup>(١)</sup>.

(و) مَنْ يَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ فِي أُمُورِهِ فَهُوَ كَافِيهِ، وَمِنْ الْأَدَلَّةِ جِزَاءُ الْمُتَوَكَّلِ على ذلك؛ (قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾) ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه (﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾) وكافيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيَهُ وَوَاقِيَهُ، فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِعَدُوٍّ، وَلَا يَضُرُّهُ إِلَّا أذى لَا بَدَّ مِنْهُ، كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَأَمَّا أَنْ يَضُرَّهُ بِمَا يَبْلُغُ بِهِ مَرَادَهُ فَلَا يَكُونُ أَبَدًا، وَفَرَقَ بَيْنَ الْأذى الَّذِي هُوَ فِي

(١) مدارج السالكين (٢/١٢٩).

.....

الظَّاهِرُ إِذَاءً وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ وَإِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ، وَبَيْنَ الضَّرِّ الَّذِي يَتَشْفَى بِهِ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيَهُ تَيْسَّرَتْ أُمُورُهُ وَلَمْ يَطْمَعْ فِيهِ أَحَدٌ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستعانةُ بالله، والتَّوَكُّلُ عليه، واللَّجَأُ إِلَيْهِ، والدُّعَاءُ لَهُ، هِيَ الَّتِي تُقَوِّي الْعَبْدَ وَتَيْسِرُ عَلَيْهِ الْأُمُورَ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَلَمْ يَذْكُرْ تَعَالَى لِلتَّوَكُّلِ جِزَاءً غَيْرَ تَوَلَّى كِفَايَةَ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَأْتِ فِي أَيِّ عِبَادَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِلَّا فِي مَقَامِ التَّوَكُّلِ؛ فَدَلٌّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ التَّوَكُّلِ وَفُضِيلَتِهِ، وَأَنَّهُ أَجَلُّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُ أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ﴾، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ: فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالثَّقَّةُ بِكَفَايَتِهِ، وَحَسَنُ الظَّنِّ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُهْتَمِّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ أَنْ يَلْجَأَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ»<sup>(٣)</sup>.

جزاء نفيس لم  
يأت في شيء من  
العبادات إلا في  
التَّوَكُّلِ

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٣٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٣٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٦٦٢).

.....

وراحة النفس في تفويض أمرها لخالقها، ويزداد تعلّقها ببارئها إذا تذكّرت أنّ الرّبّ علیمٌ بحالها، رحیمٌ بأمرها، قديرٌ على كشف ضرّها، كريمٌ يأجرها على مصيبتها ويخلف لها عوضاً خيراً ممّا فات عنها، وإذا صدّق التّوكلُّ على الله؛ تحقّقت المني بأمر الله، قال ابن القيم رحمه الله: «ومن صدّق توكلّه على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوباً له مرصياً كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطةً مبعوضاً كان ما حصل له بتوكلّه مضرةً عليه، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التّوكلُّ دون مصلحة ما توكلّ فيه، إن لم يستعن به على طاعته»<sup>(١)</sup>.

فعلّق قلبك بالله عند طلب السلامة من الشرور، والعافية من الفتن، وحصول الرّزق، ودخول الجنّة، والنّجاة من النّار، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وإيّاك والتّعلّق بالمخلوق، فإنّه عاجزٌ عن كشف الضّرّ، فتورّ في العطاء، والمخلوق وإن كان له نوعٌ قدرة فلا يُعتمدُ عليه ولو فيما أقدره الله عليه؛ بل يُعتمدُ على الله وحده، فإنّ من اعتمدَ على حسبه ذلّ، ومن اعتمدَ على عقله ضلّ، ومن اعتمدَ على ماله قلّ، ومن اعتمدَ على الناس ملّ.

(١) مدارج السالكين (٢/١١٤).

.....

فَاعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ كَافٍكَ جَمِيعِ أُمُورِكَ، وَهُوَ مُتَوَلِّئُهَا  
 إِنَّ أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ حَاجَاتَكَ، وَسَلَّمْتَ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ أُمُورِكَ، وَأَحْسِنِ الظَّنَّ  
 بِهِ تَعَالَى، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ تَحَقُّقَ عِبَادَةٍ مِنْ أَجَلِّ  
 الْعِبَادَاتِ، فَلَا ذِلَّةَ وَلَا قِلَّةَ فَيَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ. \*

.....

معنى الرُّغْبَة

والرَّغْبَةُ هي: طلبُ الوصول إلى الشَّيْءِ المحبوب.

الفرق بين  
الرُّغْبَة والرَّجَاء

والفرق بين الرُّغْبَة والرَّجَاء:

أَنَّ الرَّجَاءَ طَمَعٌ، والرَّغْبَةُ طَلَبٌ، فَمَنْ طَمَعَ فِي دخولِ الْجَنَّةِ - مثلاً - فَطَمَعُهُ هَذَا يُسَمَّى رَجَاءً.

وَمَنْ طَلَبَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ طَلَبَهُ لَهَا وَسَعْيَهُ إِلَيْهَا يُسَمَّى رَغْبَةً، فَكُلُّ رَغْبَةٍ رَجَاءٌ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والفرق بين الرُّغْبَة والرَّجَاء: أَنَّ الرَّجَاءَ طَمَعٌ، والرَّغْبَةُ طَلَبٌ، فهي ثَمَرَةُ الرَّجَاءِ، فَإِنَّهُ إِذَا رَجَا الشَّيْءَ طَلَبَهُ، والرَّغْبَة من الرَّجَاءِ كَالهَرَبِ مِنَ الْخَوْفِ»<sup>(١)</sup>.

وقد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَرْغَبَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ ﷻ فقال: ﴿وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾.

معنى الرُّهْبَة

والرُّهْبَةُ: هي الخوفُ والْفَزَعُ الْمُثْمِرُ لِلْهَرَبِ مِنَ الْمَخَوْفِ،

فهي خوفٌ مقرونٌ بعملٍ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الرُّهْبَة: فهي الْإِمْعَانُ فِي الْهَرَبِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وهي ضِدُّ الرَّغْبَة الَّتِي هِيَ سَفَرُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢/٥٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٠٨).

.....

وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ لَا تَقُومَانِ إِلَّا عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ، فَرَهْبَتُهُ تَحْمِلُهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَرَغْبَتُهُ تَقُودُهُ إِلَى الشُّكْرِ، وَعِبَادَتَا الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ تَنْحَسِرَانِ عَنِ الْعَبْدِ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَتَزِيدَانِ بِزِيَادَةِ إِيْمَانِهِ، وَالْعَبْدُ يَنَالُ التَّوْفِيقَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - بِقَدْرِ تِلْكَ الْعِبَادَةِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَرَادَ بَعْدَهُ خَيْرًا وَقَفَّهَ لِمَا اسْتَفْرَاغَ وَسْعِهِ وَبَذَلَ جَهْدِهِ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُمَا مَادَّتَا التَّوْفِيقَ، فَبَقَدْرِ قِيَامِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي الْقَلْبِ يَحْصُلُ التَّوْفِيقُ»<sup>(١)</sup>.

معنى الخشوع

وَالْخُشُوعُ هُوَ: الذُّلُّ لِعِظَمَةِ اللَّهِ، وَيَكُونُ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخُشُوعُ: الْخُضُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالسُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخُشُوعُ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ وَهِيَ تُظَاهِرُهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَكَلَّمَا خَشَعَ الْقَلْبُ لِلَّهِ؛ كَانَ أَكْمَلَ لَهُ عِبُودِيَّةً، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ عِبُودِيَّةً أَكْمَلُهُمْ ذِلًّا لِلَّهِ وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً»<sup>(٤)</sup>.

(١) شفاء العليل (ص ١٠٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣١ / ٢٨).

(٣) مدارج السالكين (١ / ٥١٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢ / ٨٢٠).

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا  
وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾.

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنَّ مَنْ رَغِبَ وَطَمَعَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ  
أَجْرًا، وَمَنْ رَهَبَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَمَّنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ  
وَجَوَّارَحُهُ لِلَّهِ عَاشَ عَزِيزًا فِي الْحَيَاةِ، وَلَمْ يَخْضَعْ لِأَحَدٍ مِنَ  
الْخَلْقِ.

دليل أن الرغبة  
والرهبة  
والخشوع عبادة

(وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ) فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، (وَقَوْلُهُ) دَلِيلُ (الرَّهْبَةِ) مِنْ عَذَابِهِ،  
(وَقَوْلُهُ) دَلِيلُ (الْخُشُوعِ) وَالْخُضُوعِ لَهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ،  
مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي مَعْرِضِ الثَّنَاءِ  
عَلَيْهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾)  
وَيُسَابِقُونَ (﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾) وَالطَّاعَاتِ وَعَمَلِ الْقُرْبَاتِ،  
(﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾) وَحَدَّثَنَا وَيَسْأَلُونَنَا الْأُمُورَ الْمُرْغُوبَ فِيهَا (﴿رَغَبًا﴾)  
فِيمَا عِنْدَنَا مِنَ الثَّوَابِ (﴿وَرَهَبًا﴾) مِنَّا وَمِمَّا عِنْدَنَا مِنَ الْعِقَابِ،  
(﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾) خَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ مُتَضَرِّعِينَ، وَذَلِكَ  
لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَنْوَاعَ - الرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَ  
اللَّهِ، وَالرَّهْبَةَ مِنَ اللَّهِ، وَالْخُشُوعَ لِلَّهِ - عِبَادَةٌ مِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ  
الْعِبَادَاتِ؛ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لغيرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ. \*

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

معنى الخشية

والخشية: بمعنى الخوف، إِلَّا أَنَّ الْخَشْيَةَ أَخْصَّ مِنَ الْخَوْفِ؛ لِأَنَّ الْخَشْيَةَ: مَقْرُونَةٌ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَشْيَتُهُ تَعَالَى مَقْرُونَةٌ بِمَعْرِفَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ تَكُونُ الْخَشْيَةُ»<sup>(١)</sup>.

والخشية متضمنة للرجاء، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخَشْيَةُ أَبَدًا مُتَضَمِّنَةٌ لِلرَّجَاءِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَتْ قُنُوطًا، كَمَا أَنَّ الرَّجَاءَ يَسْتَلْزِمُ الْخَوْفَ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ أَمْنًا، فَأَهْلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ وَالرَّجَاءِ لَهُ هُمُ أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

دليل أن  
الخشية عبادة

والخشية عبادة عظيمة لَا تُصَرَفُ إِلَّا لِلَّهِ، (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ) عَلَى أَنَّهَا عِبَادَةٌ مِنَ الْعِبَادَاتِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾) فليسوا أهلاً للخشية، (﴿وَاخْشَوْنِ﴾) وحدي فأنا ربكم.

وَاللَّهُ أَمَرَ بِخَشْيَتِهِ؛ لِأَنَّ خَشْيَتَهُ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَخْشَ اللَّهَ لَمْ يَنْكَفِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ قَطُّ أَنْ يَصِلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِوَصْلِهِ إِلَّا بِخَشْيَتِهِ، وَمَتَى تَرَحَّلَتِ الْخَشْيَةُ مِنَ الْقَلْبِ انْقَطَعَتْ هَذِهِ الْوُصْلُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) التبيان في إيمان القرآن (ص ٢٢٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٢١).

(٣) عدة الصابرين (ص ٥٢).

.....

وَمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ رَزَقَهُ اللَّهُ حَيَاةَ الْقَلْبِ، وَانْتَفَعَ مِنَ الْمَوَاعِظِ  
وَالْعِبَرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، وَآثَارُ الْخُضُوعِ لِلَّهِ بَادِيَةٌ عَلَى مَنْ يَخْشَاهُ،  
قَالَ تَعَالَى: ﴿نَقْشَعُرٌ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ  
وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وَالْهَدَايَةُ إِنَّمَا هِيَ وَسِيلَةٌ إِلَى الْخَشْيَةِ،  
قَالَ ﷺ: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخْشَى﴾، وَهِيَ مُوجِبَةٌ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ  
وَفَضْلِهِ الْعَظِيمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وَمُوجِبَةٌ لَجَنَّاتِ النَّعِيمِ، قَالَ ﷺ: ﴿جَزَاؤُهُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

وَأَخْشَى النَّاسَ لِلَّهِ أَعْرَفُهُمْ بِهِ، وَالْعَالِمُ حَقًّا هُوَ: مَنْ خَشِيَ  
اللَّهَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قَالَ  
شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ فَهُوَ عَالِمٌ»<sup>(١)</sup>،  
وَحَسْبُكَ بِالْخَشْيَةِ عِلْمًا، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ  
عِلْمًا، وَكَفَى بِالْإِغْتِرَارِ بِهِ جَهْلًا»<sup>(٢)</sup>، وَكُلُّ مَنْ خَشِيَهُ فَطَاعَهُ بِفِعْلِ  
أَوَامِرِهِ وَتَرَكَ نَوَاهِيَهُ فَهُوَ عَالِمٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧/٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، زهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٧٢٥٢).

.....

ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ ﴿١٠٠﴾

العزّة في الخشية

وَمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ عَاشَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَزِيزًا، وَفِي حَيَاتِهِ سَعِيدًا؛ فَاجْعَلْ رَبَّكَ بَيْنَ نَاطِرَيْكَ، وَاخْشِ الْأَمْنَ مِنْ مَكْرِهِ وَحُلُولِ عَقُوبَتِهِ، وَأَكْثِرْ مِنَ الطَّاعَاتِ لِتَنَالَ خَشْيَتَهُ تَعَالَى، وَهُوَ سَبْحَانَهُ أَهْلٌ أَنْ يُخْشَى، وَقَدْ أَمَرَ بِخَشْيَتِهِ وَحْدَهُ، وَنَهَى عَنْ خَشْيَةِ مَنْ سِوَاهُ، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمَا نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ۚ ﴿١٠١﴾

وَخَشْيَةُ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْمَخْلُوقِ ذُلٌّ وَخُضُوعٌ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْخُضُوعَ، فَلَا تَخْشَ إِلَّا رَبَّكَ، فَالْخَشْيَةُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ، وَصَرَفُهَا لِعِوَضِ اللَّهِ شُرْكَ. \*

.....

وتَوَجَّهَ القلبُ إلى الله بالإنابة والرجوع إليه عبادةً جليَّةً  
يُثَابُ عليها العبد.

والإنابة هي: الرجوع إلى الله، وأصلها: محبة القلب  
وخضوعه وذله للمحبوب المراد، قال ابن القيم رحمته الله: «الإنابة  
هي: عكوف القلب على الله ﷻ، كاعتكاف البدن في المسجد  
لا يفارقه، وحقيقة ذلك: عكوف القلب على محبته وذكره  
بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له  
والمتابعة لرسوله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

الفرق بين  
الإنابة والتوبة

والإنابة بمعنى التوبة، ولكنها أعلى من التوبة؛ لأنَّ التوبة  
إقلاعٌ، وعزمٌ على ألا يعود، وندمٌ على ما مضى، فإن استمرَّ  
على ما هو عليه من عباداته فهو تائب، فإذا أقبلَ على الطاعات  
بعد توبته - كقراءة القرآن، والصَّدقة - فهذه إنابة إلى الله؛ فَمَنْ  
تاب من السرقة - مثلاً - كان تائباً، فإذا أقبلَ بعد التوبة على  
الطاعات - كالاستغفار، والذكر، ونحوهما - كان مُنيباً، فالإنابة  
تدلُّ على التوبة، وتدلُّ على الإقبال على الله بالعبادات.

والمُصنَّف اقتصر على ذِكْرِ الإنابة ولم يذكر التوبة مِنْ أنواع  
العبادة؛ لأنَّ صورة العبادة بالنسبة للإنابة أوضح من صورتها

(١) الفوائد لابن القيم (ص ١٩٦).

.....

بالنسبة إلى التَّوْبَةِ، بسبب زيادة الإقبال على العبادة، ولأنَّ الإنابة أعمُّ من التَّوْبَةِ.

والمنيبُ إلى الله هو: المُسْرِعُ إلى مرضاته، العائدُ إلى الله في كلِّ وقت، السَّابِقُ إلى محابه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إنابةُ أوليائه: إنابةٌ لإلهيته إنابةً عبوديَّةً ومحبةً، وهي تتضمَّن أربعة أمور: محبته، والخضوعَ له، والإقبالَ عليه، والإعراضَ عمَّا سواه، فالمنيبُ إلى الله: المُسْرِعُ إلى مرضاته، الرَّاجِعُ إليه كلَّ وقت، المُتَقَدِّمُ إلى محابه، لأنَّ لفظَ الإنابة فيه معنى الإسراعِ والرُّجوعِ والتَّقدُّمِ»<sup>(١)</sup>.

والإنابةُ إلى الله دأْبُ الأنبياء والمرسلين عليهم الصَّلَاة والسَّلَام، قال سبحانه عن داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، وقال عن سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، وقال شعيبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، وقال نبينا محمدٌ ﷺ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، وأثنى الله على خليله إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تصافه بالإنابة إليه والرُّجوع إليه في كلِّ أمر، قال سبحانه: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾.

الإنابةُ  
دأْبُ الأنبياء

.....

ثمرات الإنابة

والبشارة لأهل الإنابة، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، ولا يعتبر بالآيات ولا يتعظ بالعبر إلا المنيب إلى ربه، قال ﷺ: ﴿بَصْرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾، قال ابن القيم رحمه الله: «العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الآيات والعبر، فاستدل بها على ما هي آيات له»<sup>(١)</sup>.

والإنابة إلى الله مانعة من عذاب الله، قال ﷺ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾، والجنة أعدت نزلاً للقلب الخاشع المنيب، قال ﷺ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ خَيْرَ بَعِيدٍ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِظٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾، وأمر الله جميع الخلق بالإنابة إليه والرجوع إليه، قال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ومنزلة التوكل قبل منزلة الإنابة؛ لأنه يتوكل في حصولها، فالتوكل وسيلة، والإنابة غاية.

والإنابة من أسباب سعادة العبد في الدارين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبد إنما خلق لعبادة ربه، فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه ويُنِيبَ إليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (١/٤٤١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٢/١٤).

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾.

ولكونِ الإنابة منزلة عالية عند الله؛ فإنَّ الشَّيْطَانَ يسعى لصدِّ العبد عنها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الشَّيْطَانُ يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربِّه، والتَّقَرُّبُ إليه والاتِّصَالُ به»<sup>(١)</sup>.

تفاوت العباد  
في الإنابة

والإنابة عبادةٌ يتفاوت العباد فيها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَالنَّاسُ فِي إِنْابَتِهِمْ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ، فَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَخَالَفَاتِ وَالْمَعَاصِي، وَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَيْهِ بِالذُّخُولِ فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالرَّغْبَةِ وَسُؤَالِ الْحَاجَاتِ كُلِّهَا مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

والفطرة دالةٌ على الإنابة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الفطرة تتضمنُ الإقرارَ باللهِ والإنابةَ إليه»<sup>(٣)</sup>.

دليل الإنابة

(وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ) على أنَّها عبادةٌ عظيمةٌ؛ أَمَرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾) بِقُلُوبِكُمْ (﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾) بِجَوَارِحِكُمْ، فَهُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهَا عِبَادَةٌ وَأَنَّهُ يَحِبُّهَا شَرْعاً وَدِيناً، فَصَرَّفَهَا لغيرِ اللَّهِ شَرْكَ. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٢٨١).

(٢) طريق الهجرتين (١/ ٣٧٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٢).

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ﴾، .....

والاستعانة: طلبُ العَوْنِ، وهي تجمعُ الثِّقَةَ باللهِ والاعتمادَ عليه، مع كمالِ الذُّلِّ له، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والاستعانة تجمع أصْلَيْنِ: الثِّقَةَ باللهِ، والاعتمادَ على اللهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَثِقُ بِالوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ مَعَ ثِقَتِهِ بِهِ؛ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَعَ عَدَمِ ثِقَتِهِ بِهِ؛ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَى اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

دليل الاستعانة

(وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَانَةِ) على أَنَّهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾) أَي: نَخْصُصُكَ وَحَدَّكَ بِالْعِبَادَةِ، (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) نُفَرِّدُكَ بِالِاسْتِعَانَةِ دُونَ خَلْقِكَ.

وَذَكَرَ الْإِسْتِعَانَةَ بَعْدَ الْعِبَادَةِ مَعَ دَخُولِهَا فِيهَا؛ لِاحْتِيَاجِ الْعَبْدِ فِي جَمِيعِ عِبَادَاتِهِ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُعِثْهُ اللَّهُ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَا يَرِيدُهُ مِنْ فِعْلِ الْأَوْامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

فَالْأَوَّلُ: تَبَرُّؤُ مِنَ الشُّرْكِ، وَالثَّانِي: تَبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ.

مدارُ الدين

وَمَدَارُ الدِّينِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالْقِيَامُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ هُمَا الْوَسِيلَةُ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُورِ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى النَّجَاةِ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِهِمَا، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الدِّينُ: أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُسْتَعَانَ إِلَّا بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (١/٩٦). (٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/٥٢٤).

.....

والعبادة من مقتضيات ألوهيته، والاستعانة من مقتضيات ربوبيته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»: إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته - من المحبة، والخوف، والرجاء، والأمر، والنهي -، «وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»: إشارة إلى ما اقتضته الربوبية - من التوكل، والتفويض، والتسليم -<sup>(١)</sup>.

والاستعانة تكون على أمور المستقبل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فَإِنَّ الاستعانة والتوكل إنما يتعلّق بالمستقبل، فأما ما وقع فإنما فيه الصبر والتسليم والرضا»<sup>(٢)</sup>.

والاستعانة عبادة عظيمة، ومما يُعِينُ عليها قول: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقول: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) يوجب الإعانة؛ ولهذا سنّها النبي صلّى الله عليه وآله إذا قال المؤذن: (حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ)، فيقول المُجِيب: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)»<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً: «إِنَّ هذه الكلمة - أي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جَزَعًا لَا صَبْرًا»<sup>(٤)</sup>.

ما يُعِينُ على  
الاستعانة

- (١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٨٩).
- (٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/٣٢١).
- (٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/٣٢١).
- (٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٦٨٦).

## وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

وأنفع الأدعية: طلبُ العونِ على الطَّاعة، قال ابن القيم رحمته الله:  
«قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تأملتُ أنفعَ الدُّعاء، فإذا هو سؤالُ  
اللهِ العونَ على مرضاته، ثم رأيتُه في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»<sup>(١)</sup>.

وبالاستعانة بالله تستغني عن الاستعانة بالخلق، وكمالُ غنى  
العبد في تعلُّقه بربه، ومن ترك الاستعانة بالله واستعانَ بغيره  
وكَلَهُ اللهُ إلى من استعان به فصار مَحْذُولاً.

وقد أمرَ الأنبياءُ أقوامَهُم بالاستعانة بالله وحده، قال  
سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾، (و) أمرَ  
النَّبِيُّ ﷺ بالاستعانة بالله، فقال (في الحديث) الذي رواه  
الترمذي<sup>(٢)</sup>: «(إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)»، قال ابن دقيق  
العِيد رحمته الله: «بِقَدْرِ ما يَرَكُنُ الشَّخْصُ إلى غير الله تعالى بطلبه، أو  
بقلبه، أو بِأَمَلِهِ، فقد أَعْرَضَ عن ربه إلى مَنْ لا يَضُرُّهُ ولا يَنْفَعُهُ،  
وكذلك الخوف من غير الله»<sup>(٣)</sup>.

ولا بأس بالاستعانة بالمخلوق الحيّ على أمرٍ قادرٍ عليه، الاستعانة بالمخلوق  
فيما يقدر عليه

(١) مدارج السالكين (١/١٠٠).

(٢) أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، رقم (٢٥١٦)، من  
حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٧٧).

.....

فَإِنْ كَانَتْ عَلَى بَرٍّ وَخَيْرٍ فَهِيَ إِحْسَانٌ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى  
الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى إِثْمٍ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ ﷺ: ﴿وَلَا  
تُعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وَأَمَّا الاستعانةُ بالأَمْوَاتِ، أَوْ بِالْأَحْيَاءِ الْغَائِبِينَ، أَوْ بِالْأَحْيَاءِ  
الْحَاضِرِينَ عَلَى أَمْرٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَهَذَا شَرْكَ.

الاستعانة  
بالمخلوق فيما لا  
يقدر عليه

وَالْعَبْدُ ضَعِيفٌ بِنَفْسِهِ لَا غِنَى لَهُ عَنْ عَوْنِ الرَّبِّ، وَمَنْ سَعَى  
فِي تَحْقِيقِ مَطْلُوبِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، مُتَوَكِّلًا  
عَلَيْهِ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ فِي حَصُولِهِ، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ مَنْ  
تَعَلَّقَ بِهِ مِنْهُمْ أَعَانَهُ اللَّهُ، فَالاستعانةُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهَا مَدَارُ  
الدِّينِ، فَعَلَى الْعَبْدِ تَحْقِيقُهَا وَعَدَمُ التَّفْرِيطِ فِيهَا. \*

.....

والاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام والتَّحَرُّز، وحقيقتها: معنى الاستعاذة الهَرَبُ مِنْ شَيْءٍ تخافُهُ إِلَى مَنْ يَعِصُكَ مِنْهُ.

والاستعاذة بالله هي: الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، واعتقاد كفايته، وتمام حمايته من كل شرٍّ.

وهي عبادة من العبادات الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِهَا، كما قال تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، قال في فتح المجيد: «وقد أجمع العلماء على أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الاستعاذة بغير الله»<sup>(١)</sup>.

ولا عَاصِمَ في تفريج الكروب ورفَعِ الخُطوبِ سوى رَبِّ العالمين، والحياءُ مَلِيئَةٌ بالآفات والمكَّارِ، ولكلِّ مخلوقٍ أعداء من الجنِّ والإنس، وعلى مقدِّمتِهِم إبليس - لعنه الله -، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، وأخبر الله أَنَّ لكلِّ نبيٍّ أعداء من الجنِّ والإنس، قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وكذلك أَتْبَاعُ الرُّسُلِ يَتَعَرَّضُونَ لِلْإِبتلاءِ.

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ١٦٣).

الحياءُ مَلِيئَةٌ  
بالآفات والمكَّارِ

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

ولا غنى لأيِّ مخلوقٍ من الاحتماء بِجَنَابِ اللَّهِ والاعتصامِ  
بِحِمَاةٍ من شرورِ الإنسِ والجنِّ، ومن مكارهِ الحياة وآفاتِها، وَمَنْ  
طَلَبَ العوذَ من الله فقد رَامَ عِبَادَةً جَلِيلَةً أَمَرَ اللَّهُ بِهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ  
مَوْضِعٍ فِي كِتَابِهِ.

دليل أن  
الاستعاذة عبادة

(وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ) على أَنَّهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ (قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مُتَعَوِّذًا - وَالْخَطَابُ أَيْضًا لْجَمِيعِ  
أُمَّتِهِ -: (﴿أَعُوذُ﴾) أَي: أَعْتَصِمُ وَأَلْتَجِيءُ (﴿بِرَبِّ﴾) وَخَالِقِ  
(﴿الْفَلَقِ﴾) وَهُوَ الصُّبْحُ، (و) قَوْلُهُ: (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ﴾) وَخَالِقِ  
(﴿النَّاسِ﴾)، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ لِعُقْبَةَ بْنِ  
عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ  
أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

الاستعاذة أهمُّ  
من النَّفْسِ  
وَالطَّعَامِ

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى الْإِسْتِعَاذَةِ بِهِمَا فِي صَبَاحِهِ  
وَمَسَائِهِ، فَهِيَ سَبَبٌ فِي تَحْصِينِهِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْآفَاتِ فِي يَوْمِهِ  
وَلَيْلَتِهِ، وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِمَا وَقَالَ لَهُ:  
«يَا عُقْبَةُ! تَعَوِّذُ بِهِمَا، فَمَا تَعَوِّذُ مُتَعَوِّذُ بِمِثْلِهِمَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ<sup>(٢)</sup>،

(١) كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصَرِهَا، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، رَقْمُ (٨١٤).

(٢) كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ، رَقْمُ (١٤٦٣)، مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

قال ابن القيم رحمه الله: «حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس»<sup>(١)</sup>.

والربُّ سبحانه مُتَّصِفٌ بالقُوَّة والعِزَّة، مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ لَمْ يَصِلْهُ أَذَى أَحَدٍ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ الضَّرَرُ وَلَوْ مَعَ وجود أسبابه، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>، قال القرطبي رحمه الله: «هذا خبرٌ صحيحٌ، وقولٌ صادقٌ، عَلِمْنَا صِدْقَهُ دليلاً وَتَجَرِبَةً؛ فَإِنِّي مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا الْخَبَرَ عَمِلْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَضُرَّنِي شَيْءٌ إِلَى أَنْ تَرَكْتُهُ، فَلَدَغَنَنِي عَقْرَبٌ بِالْمَهْدِيَّةِ<sup>(٣)</sup> لَيْلًا، فَتَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَإِذَا بِي قَدْ نَسِيتُ أَنْ أَتَعَوَّذَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ»<sup>(٤)</sup>.

والمخلوقُ ضعيفٌ يتعرَّضُ للأذى، لَا يَهْنَأُ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا بِالْإِعْتِصَامِ وَاللُّؤْذِ بِاللَّهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الضَّرَرَ وَالنَّفْعَ بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَنْ سَعَى لِلْإِضْرَارِ بِكَ لَا يَتَحَقَّقُ لَهُ مِنْهُ مَا

(١) بدائع الفوائد (٢/١٩٩).

(٢) كتاب الذكر والدُّعاء، بابٌ في التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ، رَقْم (٢٧٠٨)، مِنْ حَدِيثِ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيم رضي الله عنها.

(٣) المهديَّة: مَدِينَةُ عَامِرَةِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ.

(٤) الْمُفْهِمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمَ (٧/٣٦)، لِأَبِي الْعَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطُبِيِّ.

.....

لم يشأ الله ذلك، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الله ما ضرره ظاهر متحقق في رأي العبد وهو السَّحر، ومع ذلك قد يتخلف فيه الضَّرر، قال سبحانه: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فالاستعاذة بالله عبادة من أجلِّ العبادات، أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يستعيز بفالق الإصباح من شرِّ جميع المخلوقات، ومن شرِّ الغاسق والسَّاحر والحاسد، والقادر على إزالة هذه الظُّلْمة عن العالم قادر أن يدفع عن المستعيز ما يخافه ويخشاه.

ولا بأس بالاستعاذة بالمخلوق الحيِّ الحاضر فيما يقدر عليه؛ لحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَاللَّهِ! لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا؛ فَقُطِعَتْ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>، قال في تيسير العزيز الحميد: «المخلوق يُطَلَبُ

الاستعاذة  
بالمخلوق الحيِّ  
الحاضر فيما  
يقدر عليه

(١) أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٢٥١٦)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كتاب الحدود، باب قطع السَّارق الشَّرِيف وغيره، رقم (١٦٨٩).

.....

منه ما يَقْدِرُ عليه وَيُسْتَعَاذُ به فيه، بخلاف ما لا يَقْدِرُ عليه إِلَّا  
الله، فلا يُسْتَعَاذُ فيه إِلَّا بالله»<sup>(١)</sup>.

الاستعاذة  
بالمخلوق فيما  
لا يَقْدِرُ عليه

أَمَّا الاستعاذةُ بالأَمْواتِ، أو بالغائبين الأحياء، أو بالأحياء  
الحاضرين على أمرٍ لا يَقْدِرُونَ عليه، فهذا شركٌ أكبر، كما قال  
تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.  
فاجعلْ مسألتَكَ واستعاذتك بالله وحده، فلا عاصِمَ من  
المَهَالِكِ سواه، ولا جَالِبَ للنَّفْعِ غيره. \*

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ١٧٢).

.....

والاستغاثة: هي طلبُ الإغاثة والعَوْث، وهو طلبُ الإنقاذِ من الضيْقِ والشَّدَّةِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الاستغاثَةُ لا تكونُ إلا بعد الدُّعْرِ»<sup>(١)</sup>.

معنى الاستغاثَة

والفرقُ بين الدُّعاء والاستغاثَة:

الفرقُ بين  
الدُّعاء  
والاستغاثَة

أَنَّ الاستغاثَة لا تكونُ إلا من المكروب.

وَأَمَّا الدُّعاءُ فهو أعمُّ، يكون من المكروب ومن غيره، فهي أخصُّ من الدُّعاء، فَإِنَّ دُعَاءَ الْمَكْرُوبِ يُقَالُ لَهُ: استغاثَة.

والفرقُ بين الاستغاثَة والاستعاذَة:

الفرقُ بين  
الاستغاثَة  
والاستعاذَة

أَنَّ الاستعاذَة: أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَعْصِمَكَ وَأَنْ يَمْنَعَكَ وَأَنْ يُحَصِّنَكَ.

وَأَمَّا الاستغاثَة فهي: أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ شَدَّةٍ.

والاستغاثَة تتضمنُ كمالَ الافتقارِ إلى الله، واعتقادَ كِفَايَتِهِ، وهي من أفضلِ الأعمالِ وأكملِها، والمرءُ في هذه الحياة عُرْضَةٌ للكروب والكوارث، فَمَنْ استغاثَ بِرَبِّهِ فِي كَشْفِ مُلِمَّاتِهِ؛ فَقَدْ أَدَّى عِبَادَةً عَظِيمَةً فَزَعَ إِلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَفَرَّجَ اللَّهُ كُرُوبَهُمْ.

وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

دليل أن  
الاستغاثة عبادة

(وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ) في الجميع أنها عبادة؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِذْ﴾) أي: اذكروا نعمة الله عليكم لَمَّا قَارَبَ التَّقَاؤُكُمْ بَعْدُوكُمْ فَقُمْتُمْ ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ وَتَطْلُبُونَ مِنْهُ الْمَدَدَ وَالْعَوْنَ وَالنَّصَرَ ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وذلك يوم بدر حين نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كَثَرَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ وَيُنَاشِدُهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْعَوْتَ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ عَلَى عَدُوِّهِ، فَكَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسْرَوْا، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ، وَسُمِّيَ يَوْمَ الْفُرْقَانِ.

استغاثة شركية

فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِغَاثَةَ عِبَادَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ، وَأَنَّ صَرْفَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ - كَأَنَّ يُسْتَغَاثَ بِالْأَصْنَامِ، أَوْ الْأَمْوَاتِ، أَوْ الْغَائِبِينَ، أَوْ نَحْوِهِمْ - شِرْكٌ بِهِ تَعَالَى، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ أَنْوَاعِهِ - أَيِ: الشِّرْكِ - طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالْإِسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ؛ وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضْلًا عَمَّنْ اسْتَغَاثَ بِهِ وَسَأَلَهُ قِضَاءَ حَاجَتِهِ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، وَهَذِهِ الْإِسْتِغَاثَةُ لَا نَفْعَ مِنْهَا سِوَى الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، وَصَاحِبُهَا يَجْرِي خَلْفَ سَرَابٍ لَنْ يَتَحَقَّقَ لَهُ مُبْتَغَاهُ، فِي الدُّنْيَا

(١) مدارج السالكين (١/٣٥٣).

.....

خاسر، وفي الآخرة هالك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يقول أبو يزيد رَحِمَهُ اللهُ: استغاثَةُ المخلوقِ بالمخلوقِ كاستغاثَةِ الغريقِ بالغريق»<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ وَالتَّجَأَ إِلَيْهِ؛ مِنَ الْأَمْوَاتِ، أَوْ الْأَحْيَاءِ الْغَائِبِينَ، فَلَنْ يُحَقِّقَ لَهُ مَطْلُوبَهُ - وَلَوْ عَكَفَ عَلَى اسْتِغَاثَتِهِ سِنِينَ -، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.

استغاثَة جائزة

والاستغاثَةُ بالأحياء الحاضرين القادرين على الإغاثة؛ جائزة فيما يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾.

أَمَّا إِنْزَالُ وَطْلُبُ الْحَوَائِجِ مِنْهُمْ وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ، أَوْ مِنَ الْأَمْوَاتِ، أَوْ الْغَائِبِينَ؛ فَهِيَ شَرْكَ بِاللَّهِ.

فَإِذَا حَلَّتْ بِكَ الْخُطُوبُ، وَاشْتَدَّتْ بِكَ الْكُرُوبُ، فَاسْتَعِثْ بِعَلَامِ الْغُيُوبِ؛ فَبِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٩/١٤).

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي . . . . .

الذَّبْحُ: عبادة

والذَّبْحُ لِلَّهِ مِنْ أَجْلِ الطَّاعَاتِ، وَمِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَأَمَارَةٌ عَلَى صَدَقِ الْإِيمَانِ، وَسُمُو النَّفْسِ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ الْحَيَوَانَ الْمَذْبُوحَ مَحْبُوبٌ لِأَرْبَابِهِ، فَإِذَا بَذَلَهُ لِلَّهِ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَسَمَحَتْ نَفْسُهُ بِإِذَاقَةِ الْحَيَوَانَ الْمَوْتِ، صَارَ أَفْضَلَ مِنْ مُطْلَقِ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا يَجْتَمِعُ فِي النَّحْرِ إِذَا قَارَنَهُ الْإِيمَانُ وَالْإِخْلَاصُ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ»<sup>(١)</sup>؛ مِنْ ظُهُورِ حُلَاوَةِ الْإِيمَانِ عَلَى الْقَلْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

دليل الذَّبْحِ

(وَدَلِيلُ الذَّبْحِ) عَلَى أَنَّهُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لِلَّهِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾) بِ(صَلَاتِي) أَي: صَلَوَاتِي، (وَنُسُكِي) بِالذَّبْحِ الَّذِي هُوَ بَذْلُ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَالِ، لِمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهَا وَهُوَ اللَّهُ، وَخَصَّ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ؛ لِشَرَفِهِمَا وَفَضْلِهِمَا، وَدَلَالَتِهِمَا عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، فَالصَّلَاةُ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالنَّحْرُ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَمَنْ أَخْلَصَ فِي صَلَاتِهِ وَنُسُكِهِ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ إِخْلَاصَهُ لِلَّهِ فِي سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

(وَمَحْيَايَ) أَي: مَا أَعْمَلُهُ فِي حَيَاتِي، (وَمَمَاتِي) أَي: مَا أَدَّخِرُهُ عِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ مَمَاتِي.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٦/٥٣٢).

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ ﷻ ، وَمِنَ السُّنَّةِ : «لَعَنَ اللَّهُ . . . . .»

كُلُّ ذَلِكَ (لِلَّهِ ﷻ) وحده (رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ) ومعبودهم (لَا شَرِيكَ لَهُ ﷻ) في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير.

﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: بإخلاص تلك الأعمال لِلَّهِ ﴿أُمِرْتُ﴾ أمرَ حَتْمٍ يَجِبُ عَلَيَّ امْتِثَالُهُ، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

فَإِنَّ مَنْ سَخَّرَ جَسَدَهُ بِالتَّعَبُّدِ لِلَّهِ، وَمَالَهُ بِذَبْحِ الْقَرَايِينِ لِرَبِّهِ؛ فَهُوَ الْمُسْلِمُ حَقًّا، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِإِخْلَاصِ تِلْكَ الْعِبَادَتَيْنِ لَهُ؛ لِفَضْلِهِمَا، فَقَالَ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَ﴾ أي: صَلِّ وَاذْبَحْ لِلَّهِ لَا لغيره، فَكَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا يَجُوزُ أَنْ تُؤَدَّى لِغَيْرِ اللَّهِ، فَكَذَلِكَ الذَّبْحُ لَا يَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، فَصَرَفَ عِبَادَتَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ - بِأَنْ ذَبَحَ لِلْأَصْنَامِ، أَوْ لِلْقُبُورِ، تَعْظِيمًا لَهَا، أَوْ خَوْفًا مِنْهَا، أَوْ التَّيْمَاسًا لشفاعة أَرْبَابِهَا، أَوْ فِي طَرِيقِ قُدُومِ سُلْطَانٍ، أَوْ لِنَحْوِ ذَلِكَ -؛ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ، وَلَوْ كَانَ الْمَذْبُوحُ بَعِيرًا، أَوْ بَقْرَةً، أَوْ شَاةً، أَوْ دَجَاجَةً، أَوْ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ.

صور من  
الذَّبْحِ الشِّرْكِيِّ

(و) قد جاء الوعيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ (مِنَ السُّنَّةِ) فِي قَوْلِهِ ﷺ: (لَعَنَ اللَّهُ) وَاللَّعْنُ هُوَ: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،

دليل آخر  
على الذَّبْحِ

## مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ.

(مَنْ ذَبَحَ) وَأَرَاقَ أَيِّ دَمٍ (لِغَيْرِ اللَّهِ) رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ اسْتَحَوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَقَدَّمَ الْقَرَابِينَ لِغَيْرِ خَالِقِهِ فَقَدْ كَفَرَ النِّعْمَةَ، وَهَضَمَ جَنَابَ رَبوبِيَّةِ اللَّهِ، وَتَنَقَّصَ أُلُوهِيَّتَهُ، وَعَظَّمَ غَيْرَ خَالِقِهِ، وَتَعَرَّضَ لَوْعِيدِ اللَّهِ بِلَعْنِهِ وَطَرَدَهُ، لِجُرْمٍ مَا ارْتَكَبَهُ مِنْ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ بِالذَّبْحِ لِمَخْلُوقٍ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَصْرِفَ لَهُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ. \*

(١) كتاب الأضاحي، بَابُ بَابِ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَعْنِ فَاعِلِهِ، رَقْم (١٩٧٨)، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَتَمَامُهُ: «وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

وَالنَّذْرُ: إِجَابُ الْمُكَلَّفِ عَلَى نَفْسِهِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا عَلَيْهِ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، وَهُوَ عِبَادَةٌ يَجِبُ إِخْلَاصُهَا لِلَّهِ.

معنى النذر

(وَدَلِيلُ النَّذْرِ) عَلَى أَنَّهُ عِبَادَةٌ لَا يَصْرَفُ إِلَّا لِلَّهِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى) فِي مَعْرِضِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ وَفَّى بِالنَّذْرِ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ بِمَا أَلْزَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ النُّذُورِ، وَإِذَا كَانُوا يُوفُونَ بِمَا هُوَ غَيْرُ وَاجِبٍ فِي الْأَصْلِ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِإِجَابِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ففَعَلَهُمْ وَقِيَامَهُمْ بِالْفُرُوضِ الْأَصْلِيَّةِ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُثْنِي إِلَّا عَلَى فَاعِلٍ عِبَادَةٍ، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ عَسِيرًا، ﴿كَانَ شَرُّهُ﴾ أَي: مَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ وَامْتِشْرًا وَقَاسِيًا عَلَى النَّاسِ إِلَّا مِنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَالْمُسْلِمُ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِاللَّهِ، لَا يَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ بَلْ يُؤَدِّي جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا، وَإِنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا بِالنَّذْرِ فِيمَا لَمْ يُوجِبِ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَيْهِ لَمْ يَنْذَرْ إِلَّا لِلَّهِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِيهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(١)</sup>.

دليل النذر ووجه الدلالة

وَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ صَرَفَ عِبَادَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ،

النذر لغير الله شرك

(١) كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ النَّذْرِ فِي الطَّاعَةِ، رَقْمُ (٦٦٩٦)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

.....

ووقع في الشُّرك، وهو أعظم من الحَلِف بغير الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَمَنْ نَذَرَ لغير الله؛ فهو مشركٌ أعظم من شرك الحَلِف بغير الله»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ نَذَرَ لمخلوقٍ لم يَنْعَقِدْ نَذْرَهُ، وَيَحْرُمُ عليه الوفاء به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «النَّذْرُ للقبور أو لأحدٍ من أهل القبور - كالنَّذْر لإبراهيم الخليل، أو للشَّيخ فلان، أو فلان، أو لبعض أهل البيت، أو غيرهم -؛ نَذْرٌ معصية لا يجبُ الوفاء به باتِّفاق أئمة الدين، بل ولا يجوزُ الوفاء به، فإنه قد ثَبَتَ في الصَّحِيح عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ) رواه البخاري»<sup>(٢)</sup>.

وكيف تُصَرَّفُ العبادة لمخلوقٍ لا يملك نفعاً ولا يَدْفَعُ ضرراً؟! هذا من أعظم البهتان!

والنَّذْرُ لا يُصَرَّفُ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنْ نَذَرَ لِلَّهِ في طاعة وجب الوفاء به.

وَعَقْدُ النَّذْرِ لِلَّهِ ابتداءً مكروه، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ «أَنَّهُ لَا يَرُدُّ حَكَمُ النَّذْرِ لِلَّهِ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢٣/٣٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤٦/٢٧).

.....

شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ «متفق عليه»<sup>(١)</sup>، ولكنْ إِنَّ نَذَرَ  
لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنْذَرَ إِلَّا لِلَّهِ فَحَسَبْ؛ لِأَنَّ النَّذَرَ عِبَادَةٌ. \*

(١) البخاري، كتاب القدر، باب إلقاء النَّذْرِ الْعَبْدَ إِلَى الْقَدْرِ، رقم (٦٦٠٨)، ومسلم،  
كتاب النذر، باب النهي عن النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، رقم (١٦٣٩)، من حديث  
ابن عمر رضي الله عنهما.

## الأصل الثاني

مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ، . . . . .

يجبُ على الإنسان معرفة ثلاثة أصول؛ الأصل الأول: معرفة العبد ربّه - وقد تقدّم -، وقد بيّن المصنّف رَحِمَهُ اللهُ فِيهِ: أَنَّ رَبَّنَا هُوَ اللهُ، وهو معبودنا وحده، وعرفناه بآياته ومخلوقاته، وذكر بعض أنواع العبادة، وأنها لا تُصَرَفُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنَّ صَرَفَ أَيِّ شَيْءٍ مِنْهَا لِغَيْرِهِ شَرَكٌ بِهِ تَعَالَى.

الأصل الثاني:  
معرفة دين  
الإسلام بالأدلة

ثُمَّ قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (الأصل الثاني) من أصول الدين التي ينبغي عليها: (مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ) العظيم الذي خلقنا الله لندِين به، وَتَعَبَّدْنَا بِالْقِيَامِ بِهِ.

ويجبُ معرفة هذا الدين مع أصوله التي يبنى عليها (بِالْأَدِلَّةِ) من الكتاب والسنة، ليكون الإنسان على نورٍ وبرهانٍ وبصيرةٍ من دينه، فإن لم يكن على حقيقة من دينه فإنه يُخْشَى عليه في حياته وَيُخْشَى عليه بعد مماته عند سؤال المَلَكَيْنِ إذا سَأَلَاهُ فِي الْقَبْرِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الشَّكُّ، فيجيب بالجواب السيِّء، كما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: «فَتَعَادَ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي.

.....

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي.

فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَحْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ.

وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسْوُوكُ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ.

فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْشَّرِّ.

فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَيِّثُ.

فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ» رواه أحمد<sup>(١)</sup>.

بخلاف مَنْ يَعْرِفُ أدْلَةً دِينَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَانَ عَلَى الْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيَا، عَامِلاً بِالْدِّينِ؛ فَإِنَّهُ حَرِيٌّ بِهِ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمِ، وَفِيهِ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ.

(١) فِي الْمُسْنَدِ، رَقْمُ (١٨٨٣٢).

وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ، . . . . .

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ؛ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ.

فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ.

قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.

قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ.

فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ.

فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ؛ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

فَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الثَّبَاتِ عِنْدَ السُّؤَالِ: مَعْرِفَةُ الدِّينِ بِالْحَجِجِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعَمَلِ بِهِ.

(و) دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي تَدِينُ اللَّهُ بِهِ (هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ) تعريف الإسلام

## بِالتَّوْحِيدِ .....

بالذَّلِّ والخُضُوعِ له تعالى؛ بإفراذه بالرُّبُوبِيَّةِ والخلقِ والتَّدْبِيرِ، وإفراذه تعالى **(بِالتَّوْحِيدِ)** بجميع أنواع العبادَةِ.

وحقيقة دين الإسلام: هو أَنَّ يُسَلِّمَ الْعَبْدُ أَعْمَالَهُ لِلَّهِ لَا لغيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ: أَنَّ يَسْتَسَلِّمَ لِلَّهِ لَا لغيره، وَهُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)»<sup>(١)</sup>.

والمسلمُ سُمِّيَ مُسْلِمًا؛ لِخُضُوعِ جَوَارِحِهِ لَطَاعَةِ رَبِّهِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الْإِسْلَامُ هُوَ: الْاسْتِسْلَامُ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْخُضُوعَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالْانْقِيَادَ لَهُ، وَالْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فالمستسلمُ لِلَّهِ ولغيره مشرك، والمُمتنعُ عن الاستسلام له مستكبر، وَمَنِ اسْتَكْبَرَ عَنِ الْحَقِّ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِاتِّبَاعِ الْبَاطِلِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُسْتَكْبِرُ عَنِ الْحَقِّ يُبْتَلَى بِالْانْقِيَادِ لِلْبَاطِلِ، فَيَكُونُ الْمُسْتَكْبِرُ مُشْرِكًا كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَالْإِسْلَامُ لَهُ رَأْسٌ؛ وَهُوَ الشَّهَادَتَانِ، وَلَهُ ضِدَّانِ: الْكِبَرُ، وَالشَّرْكُ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الْإِسْلَامُ الَّذِي هُوَ دِينُ اللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ

رَأْسُ الْإِسْلَامِ  
وَضِدَّاهُ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٢٤٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/٢٤٧).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/٦٢٩).

## وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، . . . . .

والسَّلام، وهو أَنْ يُسَلِّمَ الْعَبْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فيستسلم لِلَّهِ وحده لا شريك له، ويكون سالماً له بحيث يكون متألِّهاً له غير متألِّهٍ لِمَا سِوَاهُ، كما بَيَّنَّتْهُ أَفْضَلُ الْكَلَامِ ورَأْسُ الْإِسْلَامِ، وهو: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَهُ ضِدَّانِ: الْكِبَرُ، وَالشُّرْكُ، وَلِهَذَا رُويَ أَنَّ نوحاً عليه السلام أَمَرَ بَنِيهِ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسَبْحَانَ اللَّهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْكِبَرِ وَالشُّرْكِ، فِي حَدِيثٍ قَدْ ذَكَرْتُهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّ الْمُسْتَكْبِرَ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ لَا يَعْبُدُهُ؛ فَلَا يَكُونُ مُسْتَسْلِماً لَهُ، وَالَّذِي يَعْبُدُهُ وَيَعْبُدُ غَيْرَهُ؛ يَكُونُ مُشْرِكاً بِهِ، فَلَا يَكُونُ سَالِماً لَهُ، بَلْ يَكُونُ لَهُ فِيهِ شَرِكٌ، وَلَفْظُ الْإِسْلَامِ يَتَضَمَّنُ الْاسْتِسْلَامَ وَالسَّلَامَةَ - الَّتِي هِيَ الْإِحْلَاصُ -<sup>(١)</sup>.

الطَّاعَةُ مِنَ  
الْإِسْلَامِ

(و) مع ذلَّ العبد وخُضوعه لِلَّهِ يجب (الْإِنْقِيَادُ) والإذعان (لَهُ) ﷺ (بِالطَّاعَةِ) بفعل المأمورات وترك المنهيات امتثالاً لأمر اللَّهِ، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وقوله ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٢٣/٧).

(٢) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ،

.....

وأعلى المراتب: كمالُ الانقياد، وَمَنْ لَمْ يَنْقَدْ لِهَذَا الدِّينِ أَذَلَّهُ اللَّهُ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، فَكَذَلِكَ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الْانْقِيَادِ لِلْحَقِّ أَذَلَّهُ اللَّهُ وَوَضَعَهُ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»<sup>(١)</sup>.

والكِبَرُ من أعظم أسباب منع الانقياد لهذا الدين، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو يَذْكُرُ مَوَانِعَ الْانْقِيَادِ - : «السَّبَبُ الثَّالِثُ: قِيَامُ مانع، وهو إمَّا حَسَدٌ أَوْ كِبَرٌ، وذلك مانع إبليس من الانقياد للأمر، وهو داءُ الأولين والآخِرِينَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، وبه تخَلَّفَ الإيمان عن اليهود الَّذِينَ شَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفُوا صَحَّةَ نُبُوَّتِهِ، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ»<sup>(٢)</sup>. \*

أعظم أسباب  
منع الانقياد

= رقم (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيفه ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) مدارج السالكين (٣١٧/٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٦٥).

## وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وممّا يجبُ على المسلم اعتقاده وفهمه والعملُ به: أنَّ الإسلامَ هو إفراؤُ الله بالتَّوحيد، والانقيادُ له بالطَّاعة، **(وَالْبَرَاءَةُ)** أي: أنَّ يَتَبَرَّأَ المسلمُ عملاً وقولاً **(مِنَ الشِّرْكِ)**، وَيَعْتَقِدَ بطلانَه، **(وَ)** يَتَبَرَّأَ من **(أَهْلِهِ)** في الاعتقاد والعمل والمَسْكَن، بل مِنْ كُلِّ خَصْلَةٍ من خِصَالِهِمْ، وَمِنْ كُلِّ نِسْبَةٍ مِنَ النِّسَبِ إِلَيْهِمْ، ويكونُ معادياً لَهُمْ، غير متشَبِّهٍ بِهِمْ في قولٍ أو فعلٍ.

الأسُس التي  
يقوم عليها  
الإسلام

فدينُ الإسلام يقومُ على ثلاثة أُسُسٍ يجبُ على المسلم أن يأتيَ بها مجتمعة:

١ - الاستِسْلَامُ لِلَّهِ بالتَّوحيد.

٢ - الانقيادُ له بالطَّاعة.

٣ - البراءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

ركنا التَّوحيد

والبراءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ أَحَدُ رُكْنَيْ التَّوْحِيدِ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ، إِذِ التَّوْحِيدُ قائمٌ على رُكْنَيْنِ لَا يَحْصُلُ التَّوْحِيدُ إِلَّا بهما، وَلَا يكونُ العبدُ موَحِّداً إِلَّا باجتماعهما معاً، وهما: النَّفْيُ والإثبات، وَمَنْ فَقَدَ أحدهما فَقَدَ التَّوْحِيدَ، فَتَنَفِي العبوديَّةِ عن غير الله، وَتَثْبِتُ العبوديَّةِ لِلَّهِ وحده، قال سبحانه - مُخْبِراً عن إبراهيمَ عليه السلامَ -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فهذا هو الرُّكْنُ الأوَّل - وهو البراءَةُ من

.....

الشُّرْكُ وأهله - ، وقوله تعالى بعدها: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا هو الإثبات - وهو الرُّكْنُ الثَّانِي - ، وكقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هذا هو البراء - أي: التَّغْيِي - ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ هذا هو الإثبات.

فكلمة التَّوْحِيدِ معناها: لا معبود بحق إلا الله، فَمَنْ كَانَ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَحُجُّ وَيَتَصَدَّقُ، وَلَكِنْ يُقِرُّ الشُّرْكَ وَيُصَحِّحُ مُعْتَقَدَ الْمُشْرِكِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنَ الشُّرْكَ وَأَهْلِهِ.

حَكَمَ مَنْ يُصَحِّحُ  
مُعْتَقَدَ الْمُشْرِكِينَ

فِيَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ بِأَفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، فَالَّذِي يُصَلِّي وَهُوَ وَاقِعٌ فِي الشُّرْكَ لَا تَنْفَعُهُ صَلَاتُهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَتَطَهَّرْ مِنَ الشُّرْكَ.

وَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِهَذَا الدِّينِ: مُحَبَّتُهُ لَهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ تَصَدِيقًا بِهِ، وَدِينًا لَهُ، لَكِنْ يَعْزِضُ لَهَا مَا يَفْسُدُهَا، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ تَقْتَضِي مُحَبَّتَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْبَاطِلِ تَقْتَضِي بَغْضَهُ، لِمَا فِي الْفِطْرَةِ مِنْ حُبِّ الْحَقِّ وَبَغْضِ الْبَاطِلِ، لَكِنْ قَدْ يَعْزِضُ لَهَا مَا يَفْسُدُهَا، وَإِمَّا مِنَ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَصُدُّهَا عَنِ التَّصَدِيقِ بِالْحَقِّ، وَإِمَّا مِنَ الشَّهَوَاتِ الَّتِي تَصُدُّهَا عَنْ اتِّبَاعِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَجُوبُ مُحَبَّةِ  
الْمُسْلِمِ لِدِينِهِ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٢٨/٧).

.....

ويجب على كل مسلم أَنْ يَعْتَرَّ بدينه، فدينه هو الحق، وما سواه من الأديان فهو باطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وقد أَمَرَ اللَّهُ تعالى رسوله ﷺ أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ فَلْيَفْرَحْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْهُدَايَةِ، وَلْيَسْتَمْسِكْ بِهِ، فَقُوَّةُ الْعَبْدِ وَعَزَّتُهُ بِالدِّينِ، وَلْيَدْعُ النَّاسَ إِلَيْهِ فَهُوَ طَرِيقُ الْعِبَادِ إِلَى النِّعَمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. \*

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

مراتب الدِّين  
إجمالاً

(وَهُوَ) أي: الدِّينُ (ثَلَاثُ مَرَاتِبَ) أي: منازل: (الْإِسْلَامُ) مرتبة، (وَالْإِيمَانُ) مرتبة، (وَالْإِحْسَانُ) مرتبة.

وأهل دين الإسلام لا يَخْلُو حالهم من إحدى هذه المراتب، وقد ينتقل المسلم من مرتبةٍ إلى مرتبةٍ أعلى منها، أو أدنى منها على قدر طاعته لِلَّهِ.

وأوّل تلك المراتب: الإسلام، وأوسطها: الإيمان، وأعلاها: الإحسان، وَمَنْ وصل إلى العليا فقد وصل إلى ما قبلها؛ فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأمّا المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمناً، قال أبو سليمان الخطّابي رَحِمَهُ اللهُ: «فأكثر ما يَعْلُطُ النَّاسُ فِي هذه المسألة»<sup>(١)</sup>.

فالمرتبة الأولى: هي مرتبة الإسلام، وهي أوسعها من جهة أهلها، وهي أدنى مراتب الدِّين، وهي المرتبة الأولى التي يدخل فيها الكافر أوّل ما يتكلّم بالإسلام ويُدْعِن له وَيَنْقَاد، قال سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، ولا يُخْرِجُ الْعَبْدَ عَنْ مرتبة الإسلام إلا الكفر بالله والشُّركُ الْمُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ.

والمرتبة الثانية: هي مرتبة الإيمان، وهي التي تلي مرتبة

(١) شرح النووي على مسلم (٣٣/٢).

.....

الإسلام في العلو، وهي أضيق من مرتبة الإسلام من جهة أهلها، فدائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان من جهة أهلها، كما أن دائرة الإيمان أوسع من دائرة الإحسان.

الفرق بين  
الإسلام والإيمان

وكلُّ خَصْلَةٍ من خِصَالِ الإيمان داخله في الإسلام، كما أنَّ كلَّ خَصْلَةٍ من خِصَالِ الإسلام داخله في الإيمان، إلَّا ما كان من الأعمال الباطنة؛ فوصفُ الإيمان عليه أغلبُ من وصف الإسلام. وما كان من الأعمال الدِّينية الظَّاهرة - كالشَّهادتين والصَّلَاة، وأنواع العبادات التي تظهر ويطلع عليها النَّاسُ - فوصفُ الإسلام عليها أغلبُ من وصف الإيمان.

والإسلامُ والإيمانُ متلازمان، فلا بدَّ في الإسلام من إيمانٍ يُصحِّحُه، ولا بدَّ في الإيمان من إسلامٍ يُصدِّقُه، قال ابن أبي شيبة رحمته الله: «لا يكونُ الإسلامُ إلَّا بإيمان، ولا إيمانٌ إلَّا بإسلام»<sup>(١)</sup>.

والمرتبةُ الثالثة: هي مرتبة الإحسان، وهي أعلى من مرتبة الإيمان، وهي أضيق المراتب، وأهلُّها أقلُّ من أهل مرتبتي الإيمان والإسلام، وهي مرتبة عالية عزيزة لا يرتقي إليها إلا عباد الله المحسنون.

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي، رقم (٥٨٣).

.....

وهذا التّفصيل لمراتب الدّين أخبر به النّبِيُّ ﷺ في حديث جبريل ﷺ المشهور، وجاء به أيضاً القرآن الكريم، فجعل الله الأُمَّةَ على هذه الأوصاف الثلاث، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، فالمسلم الذي لم يَقم بواجب الإيمان هو ظالمٌ لنفسه، والمقتصد: هو المؤمن المطلق الذي أدّى الواجب وترك المحرّم، والسابق بالخيرات: هو المُحْسِنُ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، أَوْ يَعْبُدُ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

الدّليل على  
مراتب الدّين  
من القرآن

والنّاسُ يتفاضلون في التّوحيد تفاضلاً عظيماً، وهم فيه على درجاتٍ بعضها أعلى من بعض، فمنهم مَنْ يدخلُ الجنّةَ بغير حسابٍ ولا عذاب، ومنهم مَنْ يدخلُ النّارَ - وهم العصاة الذين لم يشأ الله أن يغفر لهم وعاملهم بعدله -، فيمكثون فيها على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، لأجل ما في قلوبهم من التّوحيد والإيمان. \*

تفاضل النّاس  
في التّوحيد

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

\* فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: .....

(وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ) من مراتب الدين الثلاث (لَهَا أَرْكَانٌ) لا تقوم إلا عليها، ومراتب الدين لا تتم إلا بأركانها.

المرتبة الأولى،  
وأركانها

(فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ) لا يستقيم إلا بها، ولا يثبت بدونها، وهي ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب رحمه الله: «والمراد من هذا الحديث: أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبيانه، والمقصود: تمثيل الإسلام ببيان، ودعائم البيان هذه الخمس، فلا يثبت البيان بدونها، وبقيّة خصال الإسلام كتيمّة البيان، فإذا فقد منها شيء نقص البيان، وهو قائم لا ينتقص بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعاً بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، رقم

(٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»،

رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٤٥).

## شَهَادَةُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، . . . . .

أعظم أركان الإسلام وقدّم الأهمّ فالأهمّ من أركان الإسلام، فبدأ بقطبها، وهي: **(شَهَادَةُ)**، ومعنى الشَّهادة: الاعتقاد الجازم، وأُطْلِقَ على الاعتقاد لفظ الشَّهادة؛ لبيان أنّه لا بدّ من الاعتقاد الجازم، حتى كأنّك تشاهد الذي تعتقده، والذي تعتقده وتشهد به هو **(إِلَّا إِلَهَ)** معبودٌ بحقٍّ **(إِلَّا اللَّهُ)**، **(وَ)** تعتقد وتشهد **(أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)** ﷺ، أرسله الله للناس كافّة؛ بشيراً ونذيراً.

وهذا أصلٌ عظيمٌ على المسلم أن يعرفه، فإنّ أصلَ الإسلام الذي يتميِّز به أهل الإيمان من أهل الكفر هو الإيمان بالوحدانيّة والرّسالة، وهو شهادة ألاّ إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسولُ الله ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله: «أصلُ عَقْدِ التَّوْحِيدِ وإثباته هو: شهادة ألاّ إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسولُ الله ﷺ»<sup>(١)</sup>، وهي مفتاحُ الجنّة، قال النّبِيُّ ﷺ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>، قال ابن القيم رحمه الله: «فإنّ الشَّهادة أصلُ المفتاح، والصّلاة وبقية الأركان أسنانه التي لا يحصل الفتح إلّا بها، إذ دخولُ الجنّة موقوفٌ على المِفْتَاحِ وأسنانه»<sup>(٣)</sup>، قيل لوهب بن مُنَبِّه رحمه الله: «أليسَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ

(١) شفاء العليل (ص ١٣٩).

(٢) رواه البزار في مسنده، رقم (٢٦٦٠).

(٣) الصلاة وحكم تاركها (ص ٦٦).

.....

مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتَحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يَفْتَحْ لَكَ»<sup>(١)</sup>.

العلاقة بين  
الشهادتين

وَجُعِلَتِ الشَّهَادَتَانِ رُكْنًا وَاحِدًا، وَلَمْ تُجْعَلْ شَهَادَةُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رُكْنًا، وَشَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رُكْنًا ثَانِيًا؛ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الشَّهَادَتَيْنِ أَسَاسُ صِحَّةِ الْأَعْمَالِ وَقَبُولِهَا، إِذْ لَا يُقْبَلُ الْعَمَلُ وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا إِلَّا بِأَمْرَيْنِ:

١ - الإخلاص لله.

٢ - المتابعة للرَّسُولِ ﷺ.

فَإِذَا وُجِدَ الْإِخْلَاصُ؛ تَحَقَّقَتْ شَهَادَةُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِذَا وُجِدَتِ الْمُتَابَعَةُ؛ تَحَقَّقَتْ شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلِأَنَّ الرَّسُولَ مَبْلَغُ عَنِ اللَّهِ، فَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالرَّسَالَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ مِنْ تَمَامِ شَهَادَةِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَالثَّانِيَةُ تَكْمِلَةُ لِلأُولَى، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَدِينُ الْإِسْلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ، وَهُمَا: تَحْقِيقُ شَهَادَةِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري تعليقاً، كتاب الجنائز، باب في الجنائز وَمَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، (٢/٧١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٣١٠).

وإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ  
اللَّهِ الْحَرَامِ.

(و) الرُّكْنُ الثَّانِي من أركان الإسلام: (إِقَامُ الصَّلَاةِ) أي:  
أداؤها في وقتها تامّةً بشروطها وأركانها وواجباتها.

(و) الرُّكْنُ الثَّالث: (إِيتَاءُ الزَّكَاةِ) أي: أداء ما افترض الله  
على العبد من الزَّكَاة.

(و) الرُّكْنُ الرَّابِع: (صَوْمُ) شهرِ (رَمَضَانَ) بالإمساك عن  
سائر المفطرات، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس،  
ممن يجب عليه الصَّيام.

(و) الرُّكْنُ الْخَامِس: (حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ) أي: قَضْدُ  
بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لأداء شعيرة الحجّ. \*

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ .....﴾

لَمَّا ذَكَرَ المصنّف رُكْنَ الإسلام، شَرَعَ في ذِكْرِ دَلِيلِ كُلِّ ركنٍ فقال:

دليل شهادة  
أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ) أي: شهادة أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، وشهادته سبحانه هي أعظم شهادة في الوجود، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ﴾.

وشَهِدَ سبحانه على أَجَلٍ مشهودٍ عليه، وهو ما شَهِدَ به تعالى: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يستحق العبادة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ شَهِدُوا بَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، كما شَهِدَ اللَّهُ لنفسه المقدسة بذلك.

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ أي: أصحابُ ﴿الْعِلْمِ﴾ شَهِدُوا بذلك أيضاً، فجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده، وأنه يجبُ على المكلّفين قبول هذه الشَّهادة العادلة الصّادقة، وهذا فيه أعظمُ حاثٌّ على طلب العلم، فإنَّ اللَّهَ ذَكَرَ شهادته وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم، ففي هذه الشَّهادة رفعةٌ لأهل العلم، حيث شَهِدُوا على ما شَهِدَ به ربُّ العالمين، وأيُّ ثناءٍ أشرف من هذا الثناء عليهم وتعديلهم، وجعلهم حجّة على من أنكرها دالٌّ على فضل العلم، والمراد به: العلم الشرعي، الذي

قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾  
وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ.

هو نور القلوب وقوتها، وغيره علم نسبي إضافي، إمّا إلى أمور دنيوية، أو علوم حسابية وصناعية، أو غير ذلك، وأهله ليسوا من أهل العلم الذين ذكر الله شهادتهم، فلا يطلق هذا العلم إلا على العلم الشرعي الديني.

(﴿قَائِمًا﴾) منصوبٌ على الحال (﴿بِالْقِسْطِ﴾) بالعدل، أي: قائماً بالعدل في جميع الأحوال.

(﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾) تأكيدٌ لما سبق، (﴿الْعَزِيزُ﴾) الذي لا يرام جنبه عظمة وكبرياء، (﴿الْحَكِيمُ﴾) في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

(﴿وَمَعْنَاهَا﴾) أي: ومعنى كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: (﴿لَا مَعْبُودَ﴾) يستحقُّ العبادة (﴿بِحَقٍّ﴾)، ويجب أن يُؤتى في بيان معناها بهذا القيّد، وهو كلمة (﴿بِحَقٍّ﴾)، لأنَّ المعبودات من دون الله كثيرة، ولكنّها معبودات باطلة - عبادة أهل القبور، والأشجار، والأصنام -، قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَدَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾، فلا أحد منهم يستحقُّ العبادة، بل عبادتهم باطلة، ولا يستحقُّها (﴿إِلَّا اللَّهُ﴾) وحده.

معنى شهادة  
أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فاللَّهُ هو المعبودُ بحقٍّ، وكلُّ مألوهٍ سوى الله فإلهيته أبطل

.....

الباطل، وهذا هو معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: نفي الإلهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده.

وليس معناها لا موجودَ إِلَّا الله، أو لا يخلق ولا يرزق إِلَّا الله، فإنَّ هذه المعاني لإثبات توحيد الربوبية، ولا تُثبت وحدانية الله الذي هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة الذي أُرسلت الرُّسل وأنزلت الكتب في تقريره وإيضاحه.

المشركون  
مُقرُّون بتوحيد  
الربوبية

وتوحيد الربوبية قد أقرَّ به المشركون - كأبي جهل، وأضرابه -، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي: أنه الذي يفعل ذلك، ولم ينازعوا فيه، ولا امتنعوا من الإقرار به؛ بل احتجَّ تعالى عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية فقال: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَنْفَقُونَ﴾ أي: الشرك به في عبادته، فإنَّهم يعرفون معناها، وأنَّها دلَّت على إفراد الله بالعبادة، ولهذا أنكروا أن يكون الله هو المعبود وحده؛ لأنَّهم عَرَفُوا مَذْلُولَهَا، فإنَّ الإله هو: الذي تألَّهه القلوب، وتضمَّد إليه بالحبِّ والخوفِ والرجاء.

التَّوحيد الذي  
جاءت به الرُّسل

فالتَّوحيد الذي جاءت به الرُّسل هو: إفراد الرّب بالتَّألّه، الذي هو كمال الدّل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة

.....

والإنابة، وبذل الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثار محابّه ومراده الدّينيّ على محبّة العبد ومراده، فهذا أصلُ دعوة الرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام، وإليه دعوا الأمم، وهو التّوحيد الَّذي لا يَقْبَلُ اللَّهُ من أحدٍ ديناً سواه، لا من الأوّلين ولا من الآخرين، وهو الَّذي أمر به رُسُلُه عليهم الصّلاة والسّلام، وأنزَلَ به كُتُبَه، ودعا إليه عباده، وخلق الله الجنّة والنّار دار الثّواب والعقاب لأجله، وشرّع الشّرائع لتكميله وتحصيله، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «والإله: هو الَّذي يُطَاعُ فلا يُعَصَى؛ هَيْبَةً له، وإجلالاً، ومحبّةً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكّلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يَصْلُحُ ذلك كلّهُ إلاّ لِلَّهِ ﷻ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَخْلُوقاً في شيءٍ من هذه الأمور الّتي هي مِنْ خصائصِ الإلهيّة؛ كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ونَقْصاً في توحيدِهِ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كلّهُ من فروع الشّرك»<sup>(١)</sup>. \*

(١) كلمة الإخلاص (ص ٢٣).

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

«إِلَّا اللَّهُ» مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ.

ركنا كلمة  
التَّوْحِيدِ

وكلمة التَّوْحِيدِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تشتملُ على أمرين هما  
ركناها؛ التَّفْيِ والإِثْبَاتِ:

فـ«(لَا إِلَهَ)» معناها: (نَافِيًا) العبدُ (جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من القبور والأشجار والأحجار وغيرها، فالمُوحِّدُ يعتقد ويقول: أنا لا أعبدُ أيَّ معبودٍ إِلَّا اللَّهَ، فهو الَّذِي أعْبُدُهُ وحده.  
ومعنى «(إِلَّا اللَّهُ)» أي: (مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ)، فلا أعبدُ أحداً غيره.

الاحتجاج بتوحيد  
الرُّبُوبِيَّةِ على  
توحيد الألوهِيَّةِ

وهو سبحانه (لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ) وألوهِيَّتِهِ (كَمَا أَنَّهُ) وَعَلَى  
(لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ) وربوبيَّتِهِ، أي: فكما أَنَّهُ سبحانه  
المُتَفَرِّدُ في ملك هذا الكون لا شريك له فيه، فواجبٌ أَنْ يُفْرَدَ  
في العبادة، فَإِنَّ مَنْ أَظْلَمَ الظُّلْمَ أَنْ يُجْعَلَ المخلوق الَّذِي ليس  
شريكاً لِلَّهِ في الملك، شريكاً لِلَّهِ في العبادة - تعالى اللَّهُ  
وتقدَّس -، ولهذا يحتجُّ تعالى على مَنْ أَنْكَرَ ألوهِيَّتَهُ بما أقرَّ به  
من رُبُوبِيَّتِهِ.

فإِنَّ المُشْرِكَ إِذَا أَثْبَتَ الرُّبُوبِيَّةَ لِلَّهِ وَعَلَى، لَزِمَهُ مِنْ هَذَا، أَنْ

.....

يُثْبِتُ لَهُ الْأُلُوْهِيَّةَ، فَكَيْفَ نُثْبِتُ بَأَنَّهُ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ فِي الْمُلْكِ، وَلَا نُثْبِتُ لَهُ أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ وَنَصْرَفُ الْعِبَادَةَ إِلَى غَيْرِهِ؟!

فتوحيدُ الرُّبُوبِيَّةِ هُوَ الدَّالُّ عَلَى تَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ وَمُسْتَلْزِمٌ لَهُ، ولهذا قَالَ: (كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ).

فـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» اشتملت على أَمْرَيْنِ، هما ركنَاهَا: النَّفْيُ «لَا إِلَهَ»، وَالْإِثْبَاتُ «إِلَّا اللَّهُ».

وَالنَّفْيُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ، وَكَذَلِكَ الْإِثْبَاتُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا.

ولكلمةِ التَّوْحِيدِ ثمانيةُ شُرُوطٍ، يَجِبُ الْإِتْيَانُ بِهَا مَجْتَمِعَةً مَعَ النُّطْقِ بِهَا، وَمَنْ أَخْلَّ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَخْلَّ بِدِينِهِ، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ هِيَ:

شروط  
كلمة التوحيد

١ - الْعِلْمُ بِمَعْنَاهَا الْمَرَادِ مِنْهَا نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا، الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ بِمَعَانِيهَا وَمَقْتَضِيَّاتِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهِمْ مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

(١) كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رَقْمُ (٢٦)، مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

٢ - اليقين بما دلت عليه، المُنَافِي للشك بما تدلُّ عليه، بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإنَّ الإيمان لا يُغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظنِّ، فكيف إذا دخله الشكُّ؟! قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، فاشتَرَطَ في صِدْقِ إيمانهم باللَّهِ ورسوله: كونهم لَمْ يَرْتَابُوا، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؛ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>، وقال النَّبِيُّ ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَقِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ؛ فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

٣ - القَبُولُ لمدلولات ومقتضيات هذه الكلمة بقلبه ولسانه، المُنَافِي للردِّ، وقد قصَّ اللَّهُ علينا انتقامه مِمَّن رَدَّهَا وَأَبَاهَا، كما قال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ عَاقِبَتِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فكان سبب عذابهم هو استكبارهم عن قبول تلك الكلمة.

(١) كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم (٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم (٣١).

.....

٤ - الانقياد لمعانيها ومقتضياتها من الأوامر والنواهي،  
 الْمُنَافِي لِلتَّارِكِ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا  
 مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ  
 وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: يَنْقَادُ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُوَحَّدٌ ﴿فَقَدْ  
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى  
 يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السُّنَنِ<sup>(١)</sup>،  
 وَهَذَا هُوَ تَمَامُ الْانْقِيَادِ وَغَايَتِهِ. \*

(١) بَابُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمَرْءِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، رَقْمُ (١٥)، مِنْ  
 حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

.....

٥ - الإخلاص في الإيمان بها وما تدلُّ عليه، المُنافي للشرِّك - كأحوال المُرائين وغيرهم - ، قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾، وقال سبحانه عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ: نَفْسِهِ -» رواه البخاري<sup>(١)</sup>، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

٦ - الصِّدْقُ في اعتقادها في الباطن، المُنافي للكذب بما اعتقده فيها - كحال المنافقين الذين يَكْذِبُونَ في اعتقادهم - ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، وقال سبحانه فيمنَّ أخلَّ بهذا الشرط: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وقال ﷺ:

(١) كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخَزِيرَة، رقم (٥٤٠١)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلُّف عن الجماعة بعذر، رقم (٣٣)، من حديث عتب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

«مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>؛ فاشتَرَطَ فِي إِنْجَاء مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ النَّارِ: أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، فَلَا يَنْفَعُهُ مُجَرَّدُ التَّلَفُّظِ بِدُونِ مُوَاطَاةِ الْقَلْبِ.

٧ - الْمَحَبَّةُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ، وَلَأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ بِهَا الْمُلْتَزِمِينَ بِشُرُوطِهَا، وَبِغَضِّ مَا نَاقِضٌ ذَلِكَ، الْمُنَافِيَةُ لُضَدِّهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

وَعَلَامَةُ حُبِّ الْعَبْدِ رَبَّهُ: تَقْدِيمُ مُحَابَّهِ وَإِنْ خَالَفَتْ هَوَاهُ، وَبُغْضُ مَا يَبْغِضُهُ رَبُّهُ وَإِنْ مَالَ إِلَيْهِ هَوَاهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السُّنَّةِ<sup>(٢)</sup>.

٨ - الْكُفْرُ بِمَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

(١) البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية ألا يفهموا، رقم (١٢٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه؛ دخل الجنة وحرَّم على النار، رقم (٣٢)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي ﷺ، رقم (١٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه.

.....

وقد جُمِعَت هذه الشُّرُوطُ في قولِ النَّازِمِ:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقٌ مَعَ

مَحَبَّةٍ وَأَنْقِيَادٍ وَالْقَبُولُ لَهَا

وَزَيْدَ الشَّرْطِ الثَّامِنُ فِي قَوْلِ النَّازِمِ:

وَزَيْدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا

سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلْهِهَا<sup>(١)</sup>

ولا يُشْتَرَطُ حفظُها وعدُّها، بل يكفي معرفتها والإتيانُ

بمقتضاها، قال حافظ الحَكَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «معنى استكمالها:

اجتماعها في العبد، والتزامه إياها، بدون مناقضة منه لشيءٍ

منها، وليس المرادُ من ذلك عدُّ ألفاظها وحفظها، فكم من عامِّيٍّ

اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له: اعدِّدها لم يُحَسِّنْ ذلك،

وكم من حافظٍ لألفاظها يَجْرِي فيها كالسَّهْمِ وتَرَاهُ يقع كثيراً فيما

يناقضها، والتَّوْفِيقُ بيدَ اللهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَعَرَفَ معناها، وَلَكِنَّهُ ارْتَكَبَ

شيئاً مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ - كَالشُّرْكِ، أَوْ تَوَلَّى الْمُشْرِكِينَ، أَوْ

السَّحَر، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ النِّوَاقِضِ -؛ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْ

(١) الدروس المهمة لابن باز (ص ١).

(٢) معارج القبول (١/ ٣٧٧).

.....

كان يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، إذ لا بدَّ من العمل بمقتضاها وبما دلَّت عليه، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ؛ فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ»<sup>(١)</sup>. \*

(١) القواعد الأربع - ضمن متون طالب العلم -، نسخة الحواشي بتحقيقنا (ص ١٦٨).

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ،

دليل تفسير  
كلمة التَّوْحِيد

(وَتَفْسِيرُهَا) أي: وتفسير شهادة ألا إله إلا الله (الَّذِي  
يُوضِّحُهَا) ويبينها بياناً تاماً؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ﴾) إمام  
الحنفاء (﴿إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ﴾) أزر (﴿وَقَوْمِهِ﴾) الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ  
دُونِ اللَّهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهُمْ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِمْ ، قال لهم: (﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾)  
أي: بريء ومبغض ومجتنب ومعادٍ لكم يا أهل الشرك، وكذلك  
بريء (﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾) من دون الله من الآلهة، وهذا فيه معنى  
«لَا إِلَهَ».

(﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾) أي: ابتداء خلقي فإني أعبد، وفيه  
معنى «إِلَّا اللَّهُ»، فاستثنى من المعبودين ربه.

﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يُرْشِدُنِي لِدِينِهِ الْقَوِيمِ ، وصراطه المستقيم ،  
بالهداية للعلم ، والعمل بالحق ، كما فَطَرَنِي وَدَبَّرَنِي بما يَصْلُحُ  
لِدِينِي وَدُنْيَايَ.

وقد أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نَتَّسِقَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ  
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

لا يزال في ذرية  
إبراهيم من  
يدين بالتَّوْحِيد

﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: وجعل الخليل إبراهيم عليه السلام كلمة التَّوْحِيد  
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وما تَضَمَّنَتْهُ مِنْ إِخْلَاصِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ

.....

وحده، والتَّبَرُّؤُ من عبادة كلِّ ما سوى الله ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾<sup>(١)</sup> ونُسْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إِلَيْهَا ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيقتدون بِمَنْ هداه الله من ذُرِّيَّتِهِ إِلَيْهَا، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أَمَرَنَا تَعَالَى أَنْ نَتَّسَى بِإِمَامِ هَذَا التَّوْحِيدِ فِي نَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

كلمة التَّوْحِيدِ  
ولاء وبراء

فَتَبَيَّنَ أَنَّ معنى كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هي: البراءةُ مِنْ عبادةِ كلِّ ما سوى الله، وإخلاصُ العبادةِ بجميع أنواعها لِلَّهِ وحده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَهَذَا هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ الرُّسُلِ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾»<sup>(٣)</sup>.

مَنْ تَلَفَّظَ  
بِالشَّهَادَةِ فَقَطْ  
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

و«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تَتَضَمَّنُ: النِّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ، وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ بِمَجَرَّدِ تَلَفُّظِهِ بِالشَّهَادَةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْطَأَ، فَإِنَّ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ نَوَاقِصَ تُخْرِجُ الْمَرْءَ عَنِ الدِّينِ وَلَوْ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَيَعْلَمُ مَعْنَاهَا.

أَدْلَةٌ أُخْرَى عَلَى  
تَفْسِيرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ

وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا:

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/١٨٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قوله ﷺ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، وقوله ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، (و) منها أيضاً: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾) يا محمد لليهود والنصارى وكذا مَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿تَعَالَوْا﴾ أَقْبِلُوا وَهَلُمُّوا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ واحدة ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل وإنصاف لا يختلف فيها رسول ولا كتاب، نستوي نحن وأنتم في فرضيتها ووجوبها علينا وعليكم، وهي التي يدعو الرُّسل أقبولهم إليها وهي: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ ولا نُوحِدَ ولا نفرَدَ العبادة لأحد ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ وحده ﷻ.

﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ لا وثناً، ولا صنماً، ولا صليباً، ولا غيرها؛ بل نُفَرِّدُ العبادة لِلَّهِ وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرُّسل، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا يُطِيع بعضنا بعضاً في معصية الله كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ وأذبروا وأعرضوا عن الإجابة إلى أفراد الله بالعبادة، ﴿فَقُولُوا﴾ - يا أمة محمد ﷺ - : ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون لله بالتوحيد، ثابتون على الإسلام الذي

ماذا يفعل مَنْ  
دعا إلى التَّوْحِيدِ  
إذا امتنع  
المدَّعُونَ  
عن ذلك؟

.....

شَرَعَهُ اللَّهُ لَنَا وَلَوْ خَالَفْتُمُونَا، وَصَرَّحُوا لَهُمْ أَنَّكُمْ مُسْلِمُونَ وَأَنَّهُمْ كَفَّارٌ، وَأَنَّكُمْ بَرَاءٌ مِنْهُمْ وَهُمْ بَرَاءٌ مِنْكُمْ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلْمُسْلِمِ أَنَّ يَبَيِّنَ ذَلِكَ لِلْكَفَّارِ، حَتَّى يَتَفَهَّمُوا وَيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى دِينٍ صَحِيحٍ، وَأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ خِلَافَ دِينِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ دِينَهُمْ خِلَافَ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وهذه الآية الكريمة كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَاتِبُ بِهَا إِلَى مُلُوكِ أَهْلِ الْكِتَابِ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سُنَّةِ الْفَجْرِ<sup>(٢)</sup>؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى دِينٍ وَاحِدٍ، فَقَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَحَوَتْ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ الْبَشَرَ وَجَمِيعَ الْخَلْقِ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئاً مِنْ خِصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا مِنْ نُعُوتِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنْ انْقَادَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَغَيْرُهُمْ إِلَى هَذَا فَقَدْ اهْتَدَوْا، وَإِلَّا فَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ يَعْصُونَ. \*

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَلَّا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، رَقْمٌ (٢٩٤٠)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرْقُلٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَقْمٌ (١٧٧٣)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصَرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ رَكْعَتِي سُنَّةِ الْفَجْرِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِمَا وَتَخْفِيفُهُمَا، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِمَا، وَبَيَانُ مَا يَسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِيهِمَا، رَقْمٌ (٢٢٧)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

دليل شهادة أن  
محمداً رسول  
الله ﷺ

(وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) من القرآن؛ (قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) أي: من  
جنسكم، ليس من الملائكة ولا من الجن، بل بشرٌ تتمكنون من  
مجالسته ومؤاكلة الحديث معه، وتعرفون نسبته، وقد نال أجلَّ  
الصفات فيكم - من الأمانة، والصدق، والكرم، وحسن الخلق،  
وغير ذلك -، ومن كان كذلك فإنَّ النعمة بإرساله إلى العباد  
تكون أكبر وأعظم.

(﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾) أي: يشقُّ عليه كلُّ أمرٍ يُعَنِّتُ  
أُمَّتَهُ وَيُدْخِلُهَا فِي الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ.

(﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾) على هدايتكم وإنقاذكم من النار.

(﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) وعطوفٌ عليهم، ومحَبٌّ لهم  
كلَّ خير.

ومن الأدلة على أنَّ مُحَمَّدًا رسول الله: شهادة الله له بأنَّه  
رسولٌ من عنده، قال ﷺ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا  
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.

وقد أيَّده سبحانه بالآيات الباهرة الدالة على صدقه،

.....

وأعظمها القرآن الكريم الذي أعجزَ أهل الأرض بفصاحته وبلاغته.

ومن البراهين على صدقه: نصرُ الله لمن اتبعه ولو كانوا أضعف الناس، وخذلانُ الله من عاداه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم.

وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ليس المقصود منها التلّفظ بها فقط، بل العمل بما اقتضاه معناها، قال ابن القيم رحمه الله: «الشَّهادة لرسول الله بأنه نبي لا تُدخلُ الإنسان في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق وأن دينه من خير أديان البرية ديناً لم تُدخله هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة - من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة، وأنه صادق، ولم تُدخلهم هذه الشهادة في الإسلام - علم أن الإسلام وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً»<sup>(١)</sup>. \*

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٥٥٨).

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ،

معنى شهادة أن  
محمداً رسول  
الله ﷺ

(وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) من

الواجبات والمستحبات، وقد قرَنَ الله طاعته بطاعة الرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

(وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) به من أخبار الأمم الماضية، أو الأمور المستقبلية، فأخباره حقٌّ وصدق، لا كَذِبَ فيها ولا خُلْفَ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمانُ يَرْجِعُ إلى أصْلَيْنِ: طاعةُ الرَّسُولِ ﷺ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ»<sup>(١)</sup>.

(وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ) أي: اجتنابُ كلِّ ما نهى عنه وحذَّرَ منه، قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقال ﷺ: «إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

المتابعة  
للنبي ﷺ تعظم  
التوحيد في  
النفس

ويجبُ أَنْ يُعْظَمَ أمره ونهيّه، ولا يُقَدِّمَ عليه قول أحد، وكلَّما ابتعد المرءُ عن السيِّئات وعَمِلَ الصَّالِحَاتِ؛ كان مُحَقِّقاً للشَّهادتين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكَلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ

(١) أحكام أهل الذمة (٢/٤٥١).

(٢) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

## وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

أَتَبَعَ لِمَحَمَّدٍ ﷺ؛ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ، وَإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعْدَ عَنْ مِتَابَعَتِهِ نَقْصٌ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَكْثَرَ بُعْدَهُ عَنْهُ ظَهَرَ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَالْبَدْعِ مَا لَا يَظْهَرُ فِيمَنْ هُوَ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

(وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ) سَبَّحَانَهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، لَا نَعْبُدُهُ بِالْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مِنْ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»<sup>(٢)</sup>.

فَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ: مَعْرِفَةُ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ النُّطْقِ بِهَا بِلِسَانِهِ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِمَا ذَكَرْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَلِمَ مَعْنَاهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا فَهُوَ السَّعِيدُ حَقًّا، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَسْعَدُ الْخَلْقِ وَأَعْظَمُهُمْ نَعِيمًا وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً أَعْظَمُهُمْ اتِّبَاعًا وَمُوَافَقَةً لَهُ عِلْمًا وَعَمَلًا»<sup>(٣)</sup>.

فَجَمَاعُ دِينِ الْإِسْلَامِ: أَنْ يَعْْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَعْبُدَهُ بِمَا شَرَعَهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ وَالْمُنْدُوبَاتِ، وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الْمُسْطَفَى ﷺ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧/٤٩٨).

(٢) رواه البخاري تعليقاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، (٩/١٥٤).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٢٦).

.....

الباب، قال الجنيد رَحِمَهُ اللهُ: «الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الْخَلْقِ، إِلَّا عَلَى مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ وَلَزِمَ طَرِيقَتَهُ؛ فَإِنَّ طُرُقَ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>. \*

(١) الفقيه والمتفقه (١/٣٨٩).

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ  
وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾.

دليل الصلاة،  
والزكاة،  
وتفسير التوحيد

(وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ) المفروضة (وَالزَّكَاةِ) على أنهما من أركان  
الإسلام، (و) دليل (تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ) الذي هو الأساس الذي لا  
يستقيم إسلام عبد إلا به؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾) أي:  
الكفار في جميع الأزمان (﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾) وحده، (﴿مُخْلِصِينَ لَهُ  
الدِّينَ﴾) قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله،  
وطلب الزُّلْفَى لديه.

(﴿حُنَفَاءَ﴾) أي: مائلين عن الأديان كلها مقبلين إلى دين  
الإسلام.

(﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾) بأركانها وواجباتها في أوقاتها، وهي  
أشرف عبادات البدن.

(﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾) المفروضة، وفيها إحسان إلى الفقراء  
والمحتاجين، وخصَّ الصَّلَاةَ والزَّكَاةَ بالذكر مع أنهما داخلان في  
قوله: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ لفضلهما وشرفهما.

(﴿وَذَلِكَ﴾) أي: التَّوْحِيدُ والإخلاصُ في الدِّينِ وإقامة الصَّلَاةِ  
وإيتاء الزَّكَاةِ هو (﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾) أي: المِلَّةُ القائمة، والشَّريعةُ  
العادلة المستقيمة، المعتدلة على الدِّينِ المستقيم، فهو الدِّينُ  
الموصل إلى جنَّات النِّعَمِ، وما سواه فطُرُقٌ موصلة إلى الجحيم.

وَدَلِيلُ الصَّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وَدَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

دليل الصيام

(وَدَلِيلُ الصَّيَامِ) في شهر رمضان المبارك وأنه أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم الإسلام إلا بها؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾) أي: فرض، وذلك في السَّنة الثانية من الهجرة (﴿عَلَيْكُمْ﴾) - يا أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ - (﴿الصَّيَامُ﴾) في شهر رمضان (﴿كَمَا كُتِبَ﴾) وفُرض (﴿عَلَى﴾) الأُمم (﴿الَّذِينَ﴾) سلفوا (﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾).

حكمة فرض الصيام

وَمِنْ حِكْمَةِ فَرْضِ الصَّيَامِ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ: لِيَتَنَالَ النَّفُوسُ التَّقْوَى؛ لذلك قال: (﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) لِمَا فِيهِ مِنْ زَكَاةِ النَّفْسِ وتطهيرها وتنقيتها من الأخلاق الرديئة، وفي هذا تنشيط لهذه الأمة؛ بأنه ينبغي لها أَنْ تُنَافِسَ غيرها في تكميل الأعمال، والمصارعة إلى صالح الخصال.

دليل الحج

(وَدَلِيلُ الْحَجِّ) أَنَّهُ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾) أي: يجب على الناس التَّعَبُّدُ لِلَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: (﴿حِجُّ﴾) وقَصْدُ (﴿الْبَيْتِ﴾) الْحَرَامِ الَّذِي فِي مَكَّةَ

مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾

المكْرَمَةُ عَلَى (مَنْ أَسْتَطَاعَ) الوصول (إِلَيْهِ) من المَكْلَفِينَ (سَبِيلًا) بالقدرة على الذَّهَابِ بِنَفْسِهِ، وَمِلْكِ الزَّادِ، وَالرَّاحِلَةِ، وبأنْ تَجِدَ الْمَرْأَةَ مَحْرَمًا.

(وَمَنْ كَفَرَ) بعبادة رَبِّهِ وَأَعْرَضَ عَنْهَا (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ) عبادة جميع (الْعَالَمِينَ)، بل إِنَّهُمْ هُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾. \*

## \* المَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الإِيْمَانُ؛ وَهُوَ: بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، . . . . .

المرتبة الثانية:  
الإيمان

(المَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ) من مراتب الدين: (الإِيْمَانُ؛ وَهُوَ): قولٌ واعتقادٌ وعملٌ؛ قولُ اللسان، واعتقادُ القلب، وعملُ الجوارح، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية، فدخل فيه جميع المأمورات - سواء كان من الواجبات أو المستحبات -، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، فما مِنْ خصلة من خصال الطَّاعات إلا وهي من الإِيْمَان، ولا ترك محرَّم من المحرَّمات إلا وهو مِنَ الإِيْمَان.

شُعْبُ الإِيْمَانِ

والإِيْمَانُ (بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) هذا هو لفظ الحديث الَّذِي رواه مسلم<sup>(١)</sup>، ورواه البخاريُّ بلفظ: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ»<sup>(٢)</sup>، وورد عند مسلم<sup>(٣)</sup> بروايةٍ أخرى بالشَّكِّ: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -»، قال ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «لَكِنْ يُرْجَحُ بَأَنَّهُ الْمُتَيَقَّنُ»<sup>(٤)</sup> وهو الأقل، وهو بضع وستون.

والبِضْعُ: من الثلاثة إلى التسعة.  
والشُّعْبَةُ: الطَّائِفَةُ من الشَّيْءِ، والقطعةُ منه.  
والشُّعْبَةُ من شُعْبِ الإِيْمَانِ يَدْخُلُ تحتها أفرادٌ من الخصال، وكلُّ خصلةٍ من خصال الخير فهي من شُعْبِ الإِيْمَانِ.

(١) كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) فتح الباري (١/٥٢).

أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

مراتب  
شُعْبِ الْإِيمَانِ

(أَعْلَاهَا) وأجلُّها وأساسُها: كلمَةُ التَّوْحِيدِ (قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فهي كلمة الإخلاص، وكلمة الإسلام، وهي العُرْوَةُ الْوُثْقَى، وكلمة التَّقْوَى، وأساسُ الْمِلَّةِ، ومِفْتَاحُ الْجَنَّةِ.

(وَأَدْنَاهَا) أي: أدنى شُعْبِ الْإِيمَانِ: (إِمَاطَةُ) أي: إزالةُ (الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) من شوكٍ وحجرٍ ونحو ذلك ممَّا يتأذى المارُّ به.

(وَالْحَيَاءُ): غريزةٌ يَحْمِلُ المرءُ على فِعْلٍ ما يُجَمِّلُ وَيَزِينُ، وَيَمْنَعُهُ من فِعْلٍ ما يُدْنِسُ وَيَشِينُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ) أي: بعضٌ منه.

وإنَّما جعله بضعة؛ لأنَّ المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، ولأنَّ الإِيمَانَ ينقسم إلى ائتمار وانتهاء، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعضُ الإِيمَانِ، والحياءُ من أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدراً، بل هو خاصَّةُ الإنسانية، وفي الحديث: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم (٦١١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٧)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٨٤)، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

.....

الفرق بين  
مرتبتَي الإسلام  
والإيمان

ومرتبة الإيمان أعم من مرتبة الإسلام من جهة نفسها،  
وأخص من جهة أصحابها.

وأهل الإيمان هم خواص أهل الإسلام، وأهل الإسلام  
أكثر من أهل الإيمان، بخلاف العكس، قال تعالى: ﴿قَالَتِ  
الْأَعْرَابُ ءِإِئْمَنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

فإن من حكمت له النصوص أنه مؤمن؛ فإنه مسلم على كل  
حال، فإن الإيمان وصف أعلى من وصف الإسلام؛ لأنه مشتق  
من الأمن، فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه ويكون  
خفية، والإسلام من الأمور المدركة المحسوسة في الظاهر،  
مشتق من التسليم، أو من المسالمة.

فإذا أُطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام، وإذا  
أُطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان، ومن أثبت له الإيمان في  
النصوص فإنه ثابت له الإسلام.

والمسلم لا بد أن يكون معتقداً أركان الإيمان الستة ليصح  
إسلامه، وإلا كان منافقاً، وإذا كان المسلم معتقداً أركان الإيمان  
الستة وأخل بغيرها من واجبات الإيمان فإنه لا يستحق أن يُثنى  
عليه الشئ المطلق - يعني: الكامل -؛ لأن إيمانه ناقص، جاء  
في الدرر السنية: «ومن تأمل النصوص: تبين أن الناس

.....

يتفاضلون في التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا  
فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْمَعْرِفَةِ الصَّادِقَةِ، وَالْإِخْلَاصِ،  
وَالْيَقِينِ»<sup>(١)</sup>. \*

(١) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/٢٠٧).

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، . . . . .

خصائص  
أركان الإيمان

(وَأَرْكَانُهُ) أي: أركانُ الإيمان وأصولُهُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا، والتي يزولُ بزوالها (سِتَّةٌ)، ويكونُ بزوال الواحد من تلك السِتَّةِ كافرًا كفرًا يخرج عن المِلَّةِ، وما عداها من الشَّعب لا يزول بزواله، لكن منها: ما يزول بزواله كمال الإيمان الواجب، ومنها: ما يزول بزواله كمال الإيمان المندوب.

الإيمان بالله

والرُّكْنُ الأوَّل من أركان الإيمان: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ).

والإيمانُ بالله أعظمُ أركانِ الإيمان وأساسه، وما بعده من الأركان مندرجٌ في هذا الرُّكن، وهو أصلُ الأصول، ويتضمَّن: الإيمانَ بربوبيةَ الله، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته.

والإيمانُ بربوبيةَ الله هو: إفرادُ الله بأفعاله - من الخلق، والرِّزق، والتَّدبير، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك من أفعاله تبارك وتعالى -، فنؤمنُ أنَّه لا يحيي ولا يميت، ولا يخلق ولا يرزق سواه، وهذا هو توحيد الرُّبوبيَّة.

والإيمانُ بتوحيد الألوهية هو: إفرادُ الله بأفعالِ العباد التَّعَبُّدية؛ فلا يَصْرِفُ العبدُ أيَّ عبادةٍ لغير الله ﷻ - من الطَّواف، والدُّعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة -، ونؤمنُ بأنَّ عبادةَ مَنْ سواه عبادة باطلة.

وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، . . . . .

والإيمان بتوحيد الأسماء والصفات هو: إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبتته له رسوله ﷺ منها، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل نؤمن بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

(و) الرُّكْنُ الثَّانِي من أركان الإيمان السَّتَّة: أَنْ تُؤْمِنَ بِ(مَلَائِكَتِهِ).

الإيمان  
بالملائكة

والإيمان بالملائكة: أَنْ تُؤْمِنَ بِجميعِ الملائكة، وأنَّهم عبادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، نُؤْمِنُ بِهِمْ إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، وتعييناً في التعيين ممَّا ورد في الكتاب والسُّنة - كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومَلَكِ الموت -، وليس لهم من خصائص الرُّبُوبِيَّةِ والألوهيَّةِ شيء، وهم عالمٌ غيبيٌّ، خُلِقُوا من نور، وعددهم كثيرٌ لا يعلمه إلا الله.

(و) الرُّكْنُ الثَّالِث: أَنْ تُؤْمِنَ بِ(كُتُبِهِ).

الإيمان بالكتب

والإيمان بالكتب يقتضي: الإيمان بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء من السَّماء، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، ونؤمن بما سُمِّي منها وهو: القرآن، والزَّبور، والتَّوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم وموسى.

وَرُسُلِهِ، . . . . .

وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْكُتُبَ السَّابِقَةَ كُلَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،  
وهي غير موجودة الآن، وما يُزَعَمُ وجوده فهو مُحَرَّفٌ، فلا  
يجوز العملُ بشيءٍ منها، ولا التَّحَاكُمُ إليها، فَإِنَّ الْعَمَلَ وَالتَّحَاكَمَ  
لا يجوز إلا إلى القرآن العظيم وما جاء في سُنَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ،  
قال سبحانه: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

(و) الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: أَنْ تُؤْمِنَ بِ(رُسُلِهِ). الإيمان بالرُّسُل

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَقْتَضِي: الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ إجمالاً في  
الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي؛ فنؤمن بمن جاء تفصيلهم في  
الكتاب والسُّنَّة على التَّعْيِين.

وَأَعْظَمُ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِمْ تفصيلاً: أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وهم:  
نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ، وَنُؤْمِنُ بِغَيْرِهِمْ مَنْ سَمَّى اللَّهَ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ  
رَسُولِهِ ﷺ، وَنُؤْمِنُ بِمَنْ لَمْ يُسَمَّ فِي النُّصُوصِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ  
رُسُلِهِ﴾.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، . . . . .

والإيمانُ بهم فَرَضٌ، وهو: التَّصَدِيقُ بأنَّهم رسلُ الله إلى عباده، صادقون فيما أخبروا به عن الله، وأنَّهم بلَّغوا عن الله رسالاته، وبيَّنوا للمُكَلَّفِينَ ما أمرهم الله به، وهم بشرٌ مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء.

(و) الرُّكْنُ الخامس: أَنْ تُؤْمِنَ بـ (الْيَوْمِ الْآخِرِ).

الإيمان  
باليوم الآخر

والإيمانُ باليوم الآخر هو: التَّصَدِيقُ بيوم القيامة، وما يكونُ بعد الموت في القبر؛ من العذاب والنعيم، وما في الآخرة؛ من الحساب والميزان، والجنة والنار، وأنَّ الجنة دارُ ثوابه وجزائه للمحسنين، والنار دارُ عقابه للمسيئين.

وأكبرُ ذلك وأعظمه: الإيمانُ ببعث هذه الأجساد، وإعادتها كما كانت؛ أجساداً بعظامها وأعصابها، حتى يقع الثَّوابُ على هذا الجسد والروح جميعاً على ما فعلا من طاعة الله، أو يعاقبا على المعاصي التي صدرتَ منهما جميعاً، فنؤمنُ بأنَّ الذي أوجدَ هذا الجسد وانفرد بخلقه يبعثه حياً ويعيده كما كان. \*

## وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ.

(و) الرُّكْنُ السَّادِسُ من أركان الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِـ(الْقَدَرِ) الإيمان بالقدر  
 أي: بما قدره الله وكتبه من (خَيْرِهِ) أي: بما فيه من الخير  
 والسرور، (وَشَرُّهِ) أي: بما فيه من الشر والأحزان.  
 والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربع مراتب يجب اعتقادها  
 والإيمان بها:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله بالأشياء قبل حدوثها،  
 فَإِنَّ الرَّبَّ عَلِمَ بعلمه السابق ما هو كائن وما سيكون، قال  
 سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح  
 المحفوظ، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾، وقال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ  
 الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،  
 قَالَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

المرتبة الثالثة: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ  
 لم يكن، فلا يقع في مُلكِ الله إلا ما أَراده الله سبحانه، قال  
 تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، وقال جلَّ شأنه:  
 ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

(١) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ، رقم (٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما.

.....

الخلق

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله أوجد جميع الخلق، وأن ما في الكون بتقدير الله وإيجاده، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال ﷺ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾.

ولا يصير المرء مؤمناً بالقدر إلا بالإيمان بهذه الأربعة الأشياء، وقد جمعها الناظم في قوله:

عِلْمٌ كِتَابُهُ مَوْلَانَا مَشِئَتُهُ وَخَلْقُهُ وَهُوَ إِبْجَادٌ وَتَكْوِينٌ  
فِيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ،  
وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَتَعْلَمَ  
أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ  
لِيُصِيبَكَ» رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

والمؤمن بالقدر يفوض أموره كلها لله، ولا يعتمد على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله، وإيمانه بذلك يُثمر له الطمأنينة والراحة بما يجري عليه من أقدار الله؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>. \*

(١) كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٦٩٩)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

دليل الأركان  
الخمسة الأولى

(وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ) أي: أركان الإيمان (السِّتَّةِ)، وأنه لا يستقيم إيمانُ العبد إلا بها جميعاً، وأنه متى انتفى واحد منها لم يكن المرء مؤمناً؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾)، نزلت هذه الآية حين أمر الله المؤمنين بالتَّوَجُّهَ أَوَّلًا إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة، شقَّ ذلك على نفوس طائفةٍ من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله بيانَ حِكْمَتِهِ في ذلك، وهو أَنَّ المرادَ إِنَّمَا هو طاعةُ الله ﷻ، وامتثالُ أوامره، والتَّوَجُّهَ حيثما وُجَّه، واتباع ما شرع، فهذا هو البرُّ والتَّقوى والإيمانُ الكامل، وليس في لزوم التَّوَجُّهَ إلى أيِّ جهةٍ من المشرق أو المغرب برُّ ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، ولهذا قال:

(﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾) أي: ليس هذا هو البرُّ المقصودُ من العباد (﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾) بامتثال أوامر الله، واتباع ما شرع، وأعظمه ما ذكر في هذه الآية، أو هذه أنواع البرِّ كلها.

وبدأ بالإيمان بقوله: (﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾) أي: ولكنَّ البرَّ: الإيمان بالله، أو: ولكنَّ البرَّ: برُّ من آمن بالله، أو: ولكنَّ ذا

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

البر: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، أي: بتفردِهِ ﷻ بالرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ والأَسْمَاءِ الحَسَنِيَّاتِ والصِّفَاتِ العَلِيَّاتِ، إذْ هُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) وهو كُلُّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ مِنْ بَعْثِ الْخَلَائِقِ، وَإِعَادَةِ الْأَجْسَادِ كَمَا كَانَتْ، وَرَدِّ الْأَرْوَاحِ إِلَيْهَا، وَجَمْعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ لِيُوفَّى كُلُّ عَامِلٍ مَا عَمِلَ.

﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾) الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ لَنَا فِي كِتَابِهِ وَوَصَفَهُمُ رَسُولُهُ ﷺ.

﴿وَالْكِتَابِ﴾) وهو اسْمُ جَنْسٍ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى خُتِمَتْ بِأَشْرَفِهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمُهِيمُنُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَنَسَخَهَا جَمِيعَهَا.

﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾) عَمُومًا، وَخُصُوصًا خَاتَمَهُمُ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿وَدَلِيلُ الْقَدَرِ﴾) عَلَى أَنَّهُ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ إِلَّا بِهِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾) وَهَذَا شَامِلٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَالْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ.

﴿خَلَقْنَاهُ﴾) نَحْنُ، لَا خَالِقَ لَهَا سِوَانَا.

﴿بِقَدَرٍ﴾) أَي: أَنَّ مَا خَلَقْنَاهُ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ بِمَا سَبَقَ بِهِ عَلَمُنَا، وَجَرَى بِهِ قَلَمُنَا، بِوَقْتِهِ وَمَقْدَارِهِ، وَجَمِيعِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْصَافِ.

دليل الركن  
السادس

.....

وبعض الناس لا يَرْضَى بما قَسَمَهُ اللَّهُ له من خير، وَيَقْدَحُ بما كُتِبَ عليه من شَرٍّ، تَسْخُطاً على رَبِّهِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَكْثَرُ الْخَلْقِ؛ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَ السُّوءِ، فَإِنْ غَالَبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ، نَاقِصُ الْحِظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يَنْكُرُهُ وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغْلَغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دِفَائِنِهَا وَطَوَايَاها رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِناً كُؤُومَ النَّارِ فِي الزُّنَادِ، فَاقْدَحَ زِنَادَ مَنْ شَتَّتَ يُنْبِئُكَ شَرَّارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ، وَلَوْ فَتَشْتَ مَنْ فَتَشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَباً عَلَى الْقَدَرِ، وَمَلَامَةً لَهُ، وَاقْتِرَاحاً عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثَرٌ، وَفَتَّشَ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ  
وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِياً»<sup>(١)</sup>. \*

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢١١).

## \* الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ . . . . .

المرتبة الثالثة:  
الإحسان

(الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ) من مراتب الدِّين: (الْإِحْسَانُ)، وهو: نهاية الإخلاص؛ والإخلاص: إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظَّاهر والباطن، وهذا هو الإحسان، ولذا يُفَسَّرُ الإحسانُ بالإخلاص.

واشتقاقه من الحُسْنِ، الَّذِي هو: نهاية الإخلاص في القلب، ومن حيث الظَّاهر: كمال المتابعة.

علاقة  
الإخلاص  
بالإحسان

وتفسيره بالإخلاص؛ تفسيرٌ له بنتيجته وثمرته، فإنَّ مَنْ اتَّصَفَ بذلك فإنه يكمل العمل في الظَّاهر والباطن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإحسانُ هاهنا هو فِعْلُ المأمورِ به، سواء كان إحساناً إلى النَّاسِ أو إلى نفسه، فأعظمُ الإحسان: الإيمان، والتَّوْحِيد، والإنابة إلى الله تعالى، والإقبال إليه، والتَّوَكُّل، وأنَّ يَعْبُدَ اللهَ كأنَّه يراه؛ إجلالاً، ومَهَابَةً، وحياءً، ومحَبَّةً، وخشيةً، فهذا هو مقام الإحسان»<sup>(١)</sup>.

وقال ابنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللهُ: «حاصلُه: - أي: الإحسان - راجعٌ إلى إتقانِ العبادات، ومراعاةِ حقوقِ الله تعالى ومراقبته، واستحضارِ عظمتِهِ وجلالته حال العبادات»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥/١٠).

(٢) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٣١).

.....

الفرق بين  
الإحسان  
والإيمان  
والإسلام

والإحسانُ أعلى المراتب وأعَمُّها من جهة نفسها، وأخصُّها من جهة أصحابها، كما أنَّ الإيمانَ أعمُّ من الإسلام من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أصحابه، ولهذا يُقال: كلُّ مُحسِنٍ مؤمنٌ مسلم، وليس كلُّ مُسلمٍ مؤمناً مُحسناً، وإذا أُطلقَ الإحسانُ فإنه يَدْخُلُ فيه الإيمانُ والإسلام.

فإنَّ الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ دوائر، أوسعها من جهة أهلها: دائرة الإسلام، ثم يليها في السَّعة: الإيمان، ثم أضيقها: الإحسان، فدوائر كلِّ واحدةٍ منها محيطة بالأخرى، ومعلوم أنَّ مَنْ كان في دائرة الإحسان فهو داخلٌ في دائرتي الإسلام والإيمان، وإذا خرج عن الأولى فهو داخلٌ في الثانية وهي دائرة الإيمان، وإذا خرج عنها فهو داخل في الثالثة وهي دائرة الإسلام، ومَنْ خرج عن هذه الدَّوائر الثلاث فهو خارجٌ إلى غضبِ الله وعقابه، وداخلٌ في دوائر الشَّيطان - والعياذ بالله -.

فَظَهَرَ بالتَّمثيل بهذه الدَّوائر صحَّة قول من يقول: كلُّ مُحسِنٍ مؤمنٌ مسلم، وليس كلُّ مُسلمٍ مؤمناً مُحسناً، فلا يلزم من دخوله في الإسلام أنَّ يكون داخلاً في الإحسان والإيمان، وليس المراد أنَّ من لم يكن في الإحسان والإيمان أنَّه يكون كافراً، بل يكون مسلماً ومعه من الإيمان ما يُصحِّحُ إسلامه؛ لكن لا يكون مؤمناً الإيمان الكامل الَّذي يستحقُّ أن يُشَنَّى عليه به الثَّناء المطلق - أي:

.....

الكامِل - ، أمّا مجرد الثَّنَاءِ فهو يستحقُّه بقدر ما معه من الإيمان، فإنَّه لو كان مؤمناً بالإيمان الكامل لَمَنَعَهُ من المعاصي والمحرمات، وقد قيل لِلنَّبِيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ: أَوْ مُسْلِماً» متفق عليه<sup>(١)</sup>، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ! قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

فالنُّصُوصُ لم تَنْفِ عَنْهُمْ الإسلام؛ بل أثبتت لهم أحكام الإسلام من عِصْمَةِ الدِّمِّ وغيرها.

فأهلُ الإحسان هم خواصُّ أهل الإيمان، كما أنَّ أهل الإيمان هم خواصُّ أهل الإسلام، فإنَّ أهل الإحسان كَمَلُوا

أهل الإحسان

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، رقم (٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: تألف من يخاف على إيمانه، رقم (١٥٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) البخاري، كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر، رقم (٦٧٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، رقم (٥٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم (٦٠١٦)، من حديث أبي شريح ﷺ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم (٤٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وبوائقه، أي: غوائله وشُرُوره. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٦٢).

.....

عبادة الله إلى أن وصلوا إلى حدّ المراقبة، وأهل الإحسان هم الصّفة، وهم الخُلص من عباد الله المؤمنين.

ومما يعين على الوصول إلى مرتبة الإحسان: كثرة ذكر الله، قال ابن القيم رحمته: «إنه - أي: الذكر - يُورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان؛ فيعبّد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت»<sup>(١)</sup>.

ومراقبة الله هي أصل الأعمال القلبية، قال ابن القيم رحمته: «المراقبة أساس الأعمال القلبية كلّها، وعمودها الذي قيامها به»<sup>(٢)</sup>. \*

(١) الوابل الصيب (ص ٩٥).

(٢) إعلام الموقعين (١١٢/٦).

- رُكْنٌ وَاحِدٌ - ، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

ركن الإحسان

والإحسان (رُكْنٌ وَاحِدٌ) فقط، وهو درجتان:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى ذكرها بقوله: (وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ) أي: تَعَبَّدَ اللَّهَ؛ جميع عباداتك وحالك فيها (كَأَنَّكَ تَرَاهُ) أي: كَأَنَّكَ ترى رَبَّكَ الذي قمت بين يديه.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: (فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ) أي: تستحضر ذلك في عبادتك، (فَإِنَّهُ) أي: فاعلم أَنَّهُ (يَرَاكَ) وهي درجة المراقبة، أي: مطلع على جميع خفاياك.

فهاتان درجتان: إحداهما أكمل من الأخرى، فَإِنْ لَمْ تُحَصِّلْ عِبَادَةَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَشَاهِدُهُ، فاعبده مستحضراً أَنَّهُ يَرَاكَ فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ، وَأَنَّهُ بَصِيرٌ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ مَا تَفْعَلُهُ.

أدلة مرتبة  
الإحسان

(وَالدَّلِيلُ) على مرتبة الإحسان من القرآن؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾) رَبَّهُمْ بِفَعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ.

(﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾) في عبادتهم رَبَّهُمْ، وإحسانهم للخلق، فَاللَّهُ مَعَ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فِي الْعَمَلِ؛ يَحْفَظُهُمْ، وَيَكْلُؤُهُمْ، وَيُؤَيِّدُهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَعْيَةُ الْخَاصَّةُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ \* الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّجِدِينَ. \*

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا. ....

(و) دليل ثانٍ على مرتبة الإحسان؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾) في جميع أمورك (﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾) فإنه مؤيدك وحافظك، ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قُربِ الله والصُّعود إلى منزلة الإحسان، فقال: (﴿الَّذِي يَرِنَكَ﴾) في هذه العبادة العظيمة التي هي الصَّلَاة (﴿حِينَ تَقُومُ﴾) إليها.

(﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾) أي: ويراك في صلاتك في حال ركوعك وسجودك وقعودك فيها، وخصَّ الصَّلَاةَ بالذكر؛ لفضلها وشرفها، ولأنَّ من استحضر فيها قرب ربِّه؛ خَشَعَ وَدَلَّ وأكملها، وبتكميلها يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يسمع ويعلم جميع حركاتك.

(و) دليل ثالث على مرتبة الإحسان؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾) أيها العبد (﴿فِي شَأْنٍ﴾) في أيِّ عملٍ من الأعمال.

(﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾) أي: وما تَتْلُوا أي آية من القرآن (﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾) صغير أو كبير، (﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾) أي: مُشَاهِدِينَ وَمُطَّلِعِينَ على جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم.

إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴿الْآيَةُ﴾.

(﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾) وقت شروعكم فيه، واستمراركم على العمل به إلى حين انقضاءكم منه، كلُّ ذلك مَطَّلَعُونَ عليه.

(الْآيَةُ) أي: أكملْ قراءة الآية، وتَمَامُهَا: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: وما يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ.  
﴿مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وهو صِغَار النَّمْلِ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من الذَّرَّةِ.

﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ منها ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ في كتابٍ بَيِّنٍ؛ وهو اللُّوحُ المحفوظ. \*

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ، عَنْ  
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ،  
إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، .....

دليل مراتب  
الدِّينِ، وأركان  
كل مرتبة

(وَالدَّلِيلُ) على مراتب الدِّينِ الثلاث - الإسلام، والإيمان،  
والإحسان - (مِنَ السُّنَّةِ) النَّبَوِيَّةِ؛ (حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ) الَّذِي  
قال عنه القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَيَصْلُحُ هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: إِنَّهُ أُمُّ  
السُّنَّةِ؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ جُمَلِ عِلْمِ السُّنَّةِ»<sup>(١)</sup>، وقال عنه  
النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَجْمَعُ أَنْوَاعاً مِنَ الْعُلُومِ  
وَالْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ وَاللِّطَائِفِ، بَلْ هُوَ أَصْلُ الْإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ  
(عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ (قَالَ) حَاكِيّاً تِلْكَ  
الْمَحَاوِرَةَ بَيْنَ أَفْضَلِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَفْضَلِ الْمَلَائِكَةِ  
جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(«بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ»)، وفي روايةٍ في  
الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٣)</sup>: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزاً يَوْمًا لِلنَّاسِ».  
(إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ) هُوَ مَلَكٌ فِي صُورَةِ رَجُلٍ.

(١) الْمُفْهَمُ لما أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمَ (١/١٥٢).

(٢) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمَ (٢/٣٣).

(٣) الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ سَوْأَلِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ،  
وَالْإِحْسَانِ، وَعِلْمُ السَّاعَةِ، رَقْمُ (٥٠)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: الْإِيمَانِ،  
مَا هُوَ؟ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، رَقْمُ (٨)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ  
السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،  
فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، . . . .

(شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ) لَا دَنَسَ عَلَيْهَا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى  
تَحْسِينِ الثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ وَالنَّظَافَةِ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَى الْعُلَمَاءِ  
وَالْفُضَلَاءِ وَالْمُلُوكِ.

(شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ) لَا غَبَارَ عَلَى شَعْرِهِ.

وَالْمَسَافِرُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ السَّفَرِ، وَمَعَ ذَلِكَ  
(لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ) مِنَ الْإِعْيَاءِ، وَالتَّعَبِ، وَأَثَرِ الْمَشَقَّةِ،  
وَتَغْيِيرِ الْحَالِ مِنَ السَّفَرِ.

(وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ) فَلَا أَثَرَ لِلسَّفَرِ عَلَيْهِ، وَلَا يَعْرِفُهُ الصَّحَابَةُ؛  
لأنَّه لَيْسَ مِنَ الْمُقِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، فَعَجِبَ الصَّحَابَةُ مِنْهُ.

سبب تعجب  
الصَّحَابَةِ ﷺ

(حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) قَرِيباً مِنْهُ.

(فَأَسْنَدَ) جَبْرِيلُ (رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ) أَي: إِلَى رُكْبَتَيْ  
النَّبِيِّ ﷺ، (وَوَضَعَ) جَبْرِيلُ (كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ) أَي: عَلَى فَخْذَيْ  
النَّبِيِّ ﷺ، وَجَلَسَ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَعَلِّمِ، وَفِي رَوَايَةٍ: «ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ  
عَلَى رُكْبَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ<sup>(١)</sup>، وَفِي رَوَايَةٍ لِسُلَيْمَانَ

(١) كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشُرَائِعِهِ، بَابُ صِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، رَقْمُ (٤٩٩١)، مِنْ حَدِيثِ  
أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، .....

التَّيْمِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَتَحَطَّى حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَجْلِسُ أَحَدُنَا فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتِي النَّبِيِّ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وَصَنِيْعُهُ مَنبًى لِلإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِمَا يَنْبَغِي لِلْمَسْئُولِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالصَّفْحِ عَمَّا يَبْدُو.

(وَقَالَ) جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي) وَأَعْلِمْنِي (عَنْ)

أَرْكَانِ (الْإِسْلَامِ)، مَا هِيَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ (وَتُقِرَّ) (أَلَّا إِلَهَ) معبودَ بحقِّ (إِلَّا اللَّهُ) وحده، (وَ) أَنْ تَشْهَدَ (أَنَّ مُحَمَّدًا) هو (رَسُولُ اللَّهِ) ﷺ.

(وَ) أَنْ (تُقِيمَ) أي: تُؤدِّيَ (الصَّلَاةَ) المفروضة بشروطها وأركانها وواجباتها.

(وَ) أَنْ (تُؤْتِيَ) وتؤدِّيَ (الزَّكَاةَ) المفروضة لمستحقيها.

(وَ) أَنْ (تَصُومَ) شهر (رَمَضَانَ) المبارك.

(١) فتح الباري لابن حجر (١/١١٦).

وَتَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، . . . . .

(و) أَنْ (تَحَجَّ) أَي: تَقْصِدَ (الْبَيْتَ) الْحَرَامَ (إِنْ اسْتَطَعْتَ) السَّيْرَ (إِلَيْهِ) أَي: إِلَى الْبَيْتِ، (سَبِيلًا) أَي: طَرِيقًا مَتَسِرًّا مِنْ زَادٍ وَرَاحِلَةٍ وَوُجُودِ الْمَحْرَمِ لِلْمَرْأَةِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً، وَإِنِّي اكْتَتَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: انْطَلِقِي، فَحَجِّي مَعَ امْرَأَتِكَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ أَوْجَبَهُ اللَّهُ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَهُ بِقَوْلِهِ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأركان الخمسة هي الإسلام، وفي روايةٍ لأحمد<sup>(٣)</sup>: «إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ».

وهذا هو دليلُ المرتبة الأولى، وفسَّرَهُ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ

(١) البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، رقم (١٨٦٢)، ومسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، رقم (١٣٤١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البخاري، أبواب المحصر وجزاء الصيد، باب قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُسَوِّكَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، رقم (١٨٢٠)، ومسلم، كتاب الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم (١٣٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المسند، رقم (٢٩٧٢)، من حديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

قَالَ: صَدَقْتَ - فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ -.

اللَّهُ الْإِسْلَامُ، وهو الصَّراطُ المُستقيم الذي أمر الله بالاستقامة عليه.

(قَالَ) جبريلُ ﷺ: (صَدَقْتَ) يا مُحَمَّد.

تعجب آخر من  
الصَّحابة رضي الله عنهم

(فَعَجِبْنَا لَهُ) وَلِصْنِيعِهِ هَذَا؛ (يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ)، وَسَبَبُ عَجَبِ الصَّحَابَةِ مِنْ هَذَا السَّائِلِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ السَّائِلِ أَنْ يَجْهَلَ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَكِنْ السَّائِلُ هُنَا يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُصَدِّقُهُ، فَكَأَنَّهُ خَبِيرٌ بِالْجَوَابِ! وَلِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ، وَلَيْسَ هَذَا السَّائِلُ مِمَّنْ عُرِفَ بِلِقَائِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَاجْتِمَاعِهِ بِهِ وَلَا بِالسَّمَاعِ مِنْهُ، بَلْ هُوَ غَرِيبٌ عَنْهُمْ، ثُمَّ هُوَ قَدْ سَأَلَ سَوْأَلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ مُصَدِّقٍ؛ فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ. \*

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ،

ثُمَّ (قَالَ) جبريلُ عليه السلام: (فَأَخْبِرْنِي) يَا مُحَمَّدُ (عَنِ الْإِيمَانِ)،  
ما هو؟

أركان الإيمان

(قَالَ) مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم: الإيمانُ هو: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ) بربوبيَّته،  
وألوهيَّته، وأسمائه وصفاته، والإيمانُ بالله هو أصلُ للإيمان ببقية  
أركان الإيمان، وكلُّ ما عداه من الأركان داخله فيه.

(و) أَنْ تُؤْمِنَ بِ(مَلَائِكَتِهِ)؛ إجمالاً في الإجمال، وتفصيلاً  
على التفصيل، بأسمائهم وأعمالهم، وما أُوكل إليهم، وأنهم  
عبادٌ مُكْرَمُونَ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ.

(و) أَنْ تُؤْمِنَ بِ(كُتُبِهِ)؛ بَأَنْ تُؤْمِنَ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى  
رَسُولِهِ - كالتَّوْرَةِ، والإنجيل، والزَّبُور، وصحف إبراهيم  
وموسى -، وَأَنْ جَمِيعَهَا مَنْسُوخٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ  
فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ التَّصْحِيفُ وَالتَّحْرِيفُ.

(و) أَنْ تُؤْمِنَ بِ(رُسُلِهِ)؛ بَأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ رُسُلًا  
يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، تُؤْمِنُ بِهِمْ إجمالاً في الإجمال،  
وتفصيلاً على التفصيل، فتؤمن بمن عرفت أسماءهم ومن لم  
تعرف أسماءهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ  
قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.  
قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

(و) أَنْ تُؤْمِنَ بِـ(الْيَوْمِ الْآخِرِ)، وَتَصَدَّقَ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

(و) أَنْ (تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ) وَمَا كَتَبَهُ اللَّهُ فِيهِ، مِنْ (خَيْرِهِ) مِمَّا فِيهِ  
مِنْ فَرَحٍ وَسُرُورٍ، (و) مِنْ (شَرِّهِ) مِمَّا فِيهِ مِنْ مَرَارَةٍ وَأَحْزَانٍ، مِنْ  
غَيْرِ جَزَعٍ عَلَيْهِ وَلَا تَسَخُّطٍ، فَكُلُّ مَا كَانَ وَسَيَكُونُ فَهُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ  
وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَإِعَادَةِ كَلِمَةِ (وَتُؤْمِنَ) عِنْدَ الْقَدَرِ؛  
لِلْإِهْتِمَامِ بِشَأْنِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ<sup>(١)</sup>: «وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ،  
وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ:  
فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ؟ قَالَ: إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ».

(قَالَ) جَبْرِيلُ ﷺ: (صَدَقْتَ).

وهذا دليلُ المرتبة الثانية، وهي الإيمان، وفسره بالأعمال  
الباطنة، ودلَّ الحديث على أَنَّ الإسلامَ والإيمانَ إذا اقترنا: فُسِّرَ  
الإسلامُ بالأعمال الظاهرة، والإيمانُ بالأعمال الباطنة.

(قَالَ) جَبْرِيلُ ﷺ: (فَأَخْبِرْنِي) يَا مُحَمَّدُ (عَنِ الْإِحْسَانِ)، مَا

هو؟

(١) رقم (٢٩٧١)، من حديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ﷺ.

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

ركن الإحسان

(قَالَ) النَّبِيُّ ﷺ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) أي: يغلب عليك مشاهدة الحق بقلبك، حتى كأنك تراه بعينك، ومن كان كذلك فإنه يأتي بالعبادة على التمام والكمال.

(فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ) أي: إن لم تستحضر أنك ترى الله، (ف) انتقل إلى المرتبة الثانية من مراتب الإحسان وهي استشعار رؤية الله لك، لذا قال: ف(إِنَّهُ) تعالى (يَرَاكَ)، ومطلع عليك في كل ما تعمل، لا يخفى عليه منك خافية.

وهذا القدر من الحديث أصل من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد العلم، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ، فإن إحسان العبادة هو: الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبته.

وأشار في الجواب إلى حالتين:

أعلاه: أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه.

والثانية: أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْحَقَّ تَعَالَى مَطْلَعاً عَلَيْهِ وَيَرَى كُلَّ مَا يَعْمَلُ.

وهاتان الحالتان تثمرهما معرفة الله وخشيته، وفي رواية:

.....

«أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>، فجعل النبي ﷺ هذا هو الإحسان، وهو دليل المرتبة الثالثة.

ففي هذا الحديث دليلٌ على هذه المراتب الثلاث، وأنَّ أركانها هي ما عدّها المصنّف رَحِمَهُ اللهُ. \*

---

(١) كتاب الإيمان، باب الإسلام، ما هو؟ وبيان خصاله، رقم (١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، . . . . .

(قَالَ) جبريلُ ﷺ: (فَأَخْبِرْنِي) يَا مُحَمَّدُ (عَنِ السَّاعَةِ)، متى

تقوم؟

(قَالَ) النَّبِيُّ ﷺ: (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا) يَقْصِدُ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ (بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) وَهُوَ جَبْرِيلُ ﷺ، أَي: أَنَا وَأَنْتَ سَوَاءٌ فِي الْعِلْمِ بِهَا، كِلَانَا لَا يَعْرِفُ مَتَى تَقُومُ؟ فَعِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ لَا يَعْلَمُونَ مَتَى تَقُومُ، فَوْقُهَا مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾.

عِلْمُ السَّاعَةِ

(قَالَ) جبريلُ ﷺ: فَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ:

(فَأَخْبِرْنِي) يَا مُحَمَّدُ (عَنْ أَمَارَاتِهَا) وَعَلَامَاتِهَا الَّتِي تَسْبِقُ قِيَامَهَا.

(قَالَ) مُحَمَّدٌ ﷺ: مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ: (أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ)

الرَّقِيقَةَ مِنَ الْجَوَارِي (رَبَّتَهَا) أَي: سَيِّدَهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْأُمَّةَ تَلِدُ لِسَيِّدِهَا وَلَدًا فَيَكُونُ الْوَلَدُ كَأَنَّهُ سَيِّدٌ لَهَا؛ لِأَنَّهُ حُرٌّ كَأَبِيهِ أَمَّا هِيَ

معنى: «أَنْ تَلِدَ  
الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا»

وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوُلُونَ فِي  
الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ .....

فلا تزال أمة، وهذا إخبارٌ عن كثرة الإماء وأولادهنَّ.

(و) من أَمَارَاتِهَا: (أَنْ تَرَى) وتُشَاهِدَ (الْحُفَاةَ) الذين لا  
نِعَالَ عليهم، (الْعُرَاةَ) الذين لا ثِيَابَ تَسْتُرُهُمْ، (الْعَالَةَ) الفقراء،  
(رِعَاءَ) أي: رعاة (الشَّاءِ) أي: الغنم، (يَتَطَاوُلُونَ) أي: يتنافسون  
(فِي الْبُنْيَانِ) وَيَتَفَاخَرُونَ به، بعد أَنْ كانوا فقراء رعاة أغنام،  
ومعناه: أَنَّ أَهْلَ الْبَادِيَةِ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ تُبَسِّطُ  
لَهُمُ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَبَاهَوْا فِي الْبُنْيَانِ، قال ابنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللهُ:  
«إِنَّمَا خَصَّ رِعَاءَ الشَّاءِ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمْ أَوْضَعُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ»<sup>(١)</sup>،  
والمُرَادُ: أَنَّ أَسَافِلَ النَّاسِ يَصِيرُونَ رُؤَسَاءَ، وَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ حَتَّى  
يَتَبَاهَوْا بِطُولِ الْبُنْيَانِ وَزَخْرَفَتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ  
إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّهُ يَفْسِدُ نِظَامُ  
الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ،  
وَانْعِكَاسِ الْأُمُورِ.

(قَالَ) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ثُمَّ انْطَلَقَ) أي: خَرَجَ

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٣٢).

(٢) كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب  
السَّائل، رقم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟  
قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ، أَتَاكُمْ  
يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

جبريل، (فَلَبِثْتُ) جَلَسْتُ متعجباً (مَلِيًّا) وقتاً طويلاً، (ثُمَّ قَالَ لِي)  
النَّبِيُّ ﷺ بعد انصراف جبريل: (يَا عُمَرُ) بن الخطاب! (أَتَدْرِي  
مَنْ السَّائِلُ) الَّذِي كَانَ يَسْأَلُ وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ؟

(قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ وَلَمْ  
نَرَهُ مِنْ قَبْلُ، وَهَذَا فِيهِ أَدَبٌ أَنَّ مَنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَكِلَ  
الْعِلْمَ إِلَى عَالِمِهِ، وَلَا يَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَمَا عَلِمَهُ  
يَجِيبُ عَنْهُ، وَمَا لَا يَعْلَمُهُ يَقُولُ فِيهِ: (اللَّهُ أَعْلَمُ).

الجواب عما  
لا يعلم

وَفِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ فِي أَمْرِ الدِّينِ: (اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)؛ لِنَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَمَنْ  
سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُهُ فَإِنَّهُ يَقْتَصِرُ عَلَى قَوْلِهِ: (اللَّهُ أَعْلَمُ).

حكم قول:  
«اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»

(قَالَ) النَّبِيُّ ﷺ: (فَإِنَّهُ) أَي: السَّائِلُ الَّذِي أَتَاكُمْ، هُوَ  
(جَبْرِيلُ) أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ، (أَتَاكُمْ) مَتَمَثِّلًا فِي صُورَةِ رَجُلٍ  
لِـ(يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) أَي: لَتَتَعَلَّمُوا أُسُسَ دِينِكُمْ بِتِلْكَ الْأَسْئَلَةِ  
الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَ يَسْأَلُهَا، فَأَخْبَرَ أَنَّ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ  
أَمْرُ الدِّينِ وَأَسَاسُهُ، فَإِنَّهُ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَصُولِ الدِّينِ وَالْعُقَائِدِ،  
بَلْ انْحَصَرَتِ الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَرَجَعَتْ كُلُّهَا  
إِلَيْهِ، وَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهِ.

أهمية  
حديث جبريل

.....

وَشَرَفُ هَذَا الْحَدِيثِ وَجَلَالَتُهُ أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَذْهَبُ السَّلَفِ وَأَثَمَةُ الْخَلْفِ: أَنَّ مَنْ صَدَّقَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ - يَعْنِي: الْمَذْكُورَةَ فِي الْحَدِيثِ - تَصَدِّقًا جَازِمًا لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا تَرَدُّدٍ، كَانَ مُؤْمِنًا حَقًّا، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ عَنْ بَرَاهِينٍ قَاطِعَةٍ، أَوْ عَنْ اعْتِقَادَاتٍ جَازِمَةٍ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ عَنْهُ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى جَمِيعِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، مِنْ عَقُودِ الْإِيمَانِ ابْتِدَاءً وَحَالًا وَمَالًا، وَمِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَمِنْ إِخْلَاصِ السَّرَائِرِ، وَالتَّحْفِظِ مِنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى إِنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ، وَمَتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>. \*

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ٣١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/١٢٥).

## الأصلُ الثالثُ

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، . . . . .

(الأصلُ الثالثُ) من أصولِ الدينِ الثلاثةِ التي يجبُ على

الإنسانَ معرفتها:

الأصل الثالث:

معرفة النبي ﷺ

(مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ)، وهو أصلٌ عظيمٌ يجبُ معرفته،

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «اضطرارُ العبادِ فوقَ كلِّ ضرورةٍ إلى معرفة الرُّسُولِ ﷺ، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر»<sup>(١)</sup>، فإنه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ هو الوَاسِطَةُ بيننا وبين الله، ولا طريقَ لنا لمعرفة ما يُنجينا من غضبِ الله وعقابه، ويقربنا من رضى الله وثوابه، إلَّا بما جاء به نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالنَّفوسُ أحوَجُ إلى معرفة ما جاء به ﷺ واتِّباعه منها إلى الطَّعامِ والشَّرَابِ، فإنَّ هذا إذا فات حَصَلَ الموتُ في الدُّنيا، وذاك إذا فات حَصَلَ العذاب»<sup>(٢)</sup>، وقال الجنيد رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّرِيقُ كُلُّها مسدودةٌ على الخلقِ إلَّا على من اقتفى أثرَ الرُّسُولِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

أهميَّة معرفة  
النبي ﷺ

ولا صلاح للعالمِ إلَّا بالرسالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والرسالةُ ضروريَّةٌ للعباد، لا بُدَّ لهم منها،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٦٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٥).

(٣) الفقيه والمتفقه (١/٣٨٩).

.....

وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرَّسالة روحُ العالم ونورُ حياته»<sup>(١)</sup>.

والله أرسل الرُّسلَ رحمةً للعباد، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «اقتضت رحمة العزيز الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ الرُّسُلَ به معرِّفين، وإليه داعين، ولمَنْ أجابهم مبشِّرين، ولمَنْ خالفهم مُنذِرِينَ، وجعلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وزبدةَ رسالتهم: معرفة المعبود سبحانه، بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تَنَبَّيَ مطالبُ الرِّسالة جميعها»<sup>(٢)</sup>.

وجه كون معرفة  
النَّبِيِّ ﷺ من  
أصول الدِّين

وإذا كان كذلك؛ عَرَفْنَا وجهَ كون معرفة النَّبِيِّ ﷺ أحدَ الأصول الثلاثة الَّتِي يجب معرفتها؛ فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ الْأَصْلَ الْأَوَّلَ - الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ -، وَلَا الْأَصْلَ الثَّانِي - الَّذِي هُوَ دِينُ الْإِسْلَام -؛ إِلَّا بِالْوِاسِطَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا كانت سعادة العبد في الدَّارَيْنِ مَعْلُوقَةً بهدي النَّبِيِّ ﷺ؛ فيجب على كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وسعادتها، أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وشأنِهِ ما يخرج به عن الجاهلين به، وَيَدْخُلَ به في عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقْلٍ وَمُسْتَكْثَرٍ وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩٣/١٩).

(٢) الصواعق المرسله (١٥٠/١).

وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . . . . .

ذو الفضل العظيم<sup>(١)</sup>.

ومعرفته ﷺ تَنْتَظِمُ أشياء عديدة؛ منها:

ما تَنْتَظِمُهُ  
معرفة النبي ﷺ

معرفة اسمِهِ، ونسبِهِ، وعُمُرِهِ، وزمنِ نبوّتِهِ ورسالتِهِ، ومعرفة  
ما نُبِّئَ بِهِ، وما أُرْسِلَ بِهِ، وبلدِهِ، ومُهَاجِرِهِ، ووفاتِهِ.

ومنها - وهو أعظمُها - : معرفة ما بُعِثَ بِهِ، وغير ذلك ممَّا  
ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ وغيره.

(وَهُوَ) أَي: نَسَبُ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ، (مُحَمَّدٌ) ومعناه: الَّذِي  
يُحَمَّدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحَمَّدُ غَيْرُهُ، وله عِدَّةُ أَسْمَاءَ لَكِنْ هَذَا أَشْهَرُهَا  
وَأَفْضَلُهَا وَأَعْظَمُهَا، ولهذا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِهَذَا الْإِسْمِ، قَالَ  
تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا  
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾، وقوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وقوله تَعَالَى:  
﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾.

نسب النبي ﷺ

ولقبه: أَبُو الْقَاسِمِ.

وهو مُحَمَّدٌ (بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)، ووالدُهُ لَمْ يُدْرِكِ النُّبُوَّةَ، وماتَ  
عَلَى الْكُفْرِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيْنَ  
أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي  
النَّارِ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٦٩).

(٢) كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة  
ولا تنفعه قرابة المقربين، رقم (٢٠٣).

ابن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -.

وهو محمد بن عبد الله (بن عبد المطلب) واسمه: شيبه، ويُقال له: شيبه الحمد، لجوده وجماع أمر قريش إليه، وإنما سمي بعبد المطلب؛ لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبداً له، فقالوا هذا: عبد المطلب، أي: عبد للمطلب، فعلق به هذا الاسم.

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (بن هاشم)، واسمه: عمرو، وإنما سمي هاشماً؛ لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في أعوام الجوع.

(وهاشم من) قبيلة (قريش)، وهي أشهر وأشرف قبائل العرب.

(وقريش) أصلها (من العرب)، فهي قبيلة عربية.

(والعرب من ذرية) أي: من سلالة (إسماعيل بن إبراهيم الخليل) أبي الأنبياء، (عليه وعلى نبينا) محمد (أفضل الصلاة والسلام).

فإبراهيم عليه السلام بعد كبر سنه وهبه الله ولداً سماه إسماعيل، وإسماعيل هو الملقب بالذبيح، وعاش مع العرب، ثم من بعده

.....

وَهَبَهُ اللَّهُ إِسْحَاقَ، وَخَرَجَ مِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ،  
وَخَرَجَ بَقِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَسْلِ إِسْحَاقَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي  
ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾؛ لَذَا سُمِّيَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ: أبا الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ  
الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَهُ مِنْ نَسْلِهِ، إِمَّا مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ،  
أَوْ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ، وَهُمْ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ عِدا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ،  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ،  
وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ،  
وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

فَنَبِيُّنَا أَشْرَفُ النَّاسِ نَسَبًا، فَهُوَ هَاشِمِيُّ قُرَشِيٍّ، وَهَكَذَا  
الرُّسُلُ تُبْعَثُ مِنْ أَكْرَمِ قَوْمِهَا أَحْسَابًا. \*

(١) كتاب الفضائل، باب فضل نسب النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٢٢٧٦)، من حديث واثلة  
بن الأسقع رضي الله عنه.

## وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً - مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، .....

وخلال حَمْلِ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ به تُوفِّي والده، ووُلِدَ عليه الصَّلَاةُ  
والسَّلَامُ عام الفيل يوم الاثنين، وفي يوم الاثنين بُعث، وفيه عُرِجَ  
به إلى السَّمَاءِ، وفيه هَاجَرَ إلى المدينة، وفيه تُوفِّي، قال ﷺ:  
«ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

ولا يجوزُ أن يُقامَ احتفالٌ بمَوْلِدِهِ ﷺ؛ لَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
والسَّلَامُ لم يُقَمِّ لِمَوْلِدِهِ في حياته احتفالاً، والصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو  
أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِمْ لم يفعلوا ذلك.

ولَمَّا وُلِدَ يَتِيمًا تَرَبَّى في بيت جدِّه عبد المطلب، ثُمَّ عند  
عَمِّه أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وله خمس وعشرون سنة،  
وأولاده كُلُّهُمْ مِنْهَا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ فَمِنْ مَارِيَةِ الْقُبَيْطِيَّةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ  
قَبْلَ الْبُعْثَةِ يُلقَّبُ بِالْأَمِينِ.

**(وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ) الَّذِي عَاشَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا (ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ**  
**سَنَةً)،** هي مجموعُ عُمُرِهِ مِنْ وَلَادَتِهِ إِلَى مَمَاتِهِ.

**(مِنْهَا) أَي:** مِنْ هَذِهِ السِّنِينَ **(أَرْبَعُونَ) سَنَةً (قَبْلَ النُّبُوَّةِ)**، فلم  
يُوحَ إِلَيْهِ إِلَّا وَعُمُرُهُ أَرْبَعُونَ عَامًا، وَهَذَا سَنُّ اكْتِمَالِ الْأَشَدِّ، قَالَ  
سُبْحَانَهُ: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

(١) كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر، رقم (١١٦٢)، من  
حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا - .

نَبِيٌّ بِأَقْرَأُ، . . . . .

(و) مِنْ عُمْرِهِ: (ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ) سَنَةً (نَبِيًّا) يُوحَى إِلَيْهِ،  
(رَسُولًا) مَأْمُورًا بِالرَّسَالَةِ وَالتَّبْلِيغِ.

زمن نبوة  
النبي ﷺ،  
ورسالته

وَزَمَنُ نَبْوَةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ وَرِسالَتِهِ: ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً،  
مَكَثَ مِنْهَا فِي مَكَّةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا، وَفِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ عَشْرَةَ  
أَعْوَامَ.

وَكَانَ عُمْرُهُ مَبَارَكًا، أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَتَمَّتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ،  
وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا، لَاقَى خِلالَ تِلْكَ السَّنِينَ خَوْفًا  
وَجُوعًا وَابْتِلَاءً، وَتَسَلَّطَ الْأَعْدَاءُ عَلَيْهِ، وَقَدِمُوا إِلَيْهِ فِي بِلَدٍ  
مُهَاجِرِهِ لِقِتَالِهِ، فَصَبَرَ وَجَاهَدَ حَتَّى بَلَغَ رِسالَةَ رَبِّهِ.

وَقَدْ (نَبِيٌّ) أَي: نُزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَائِلًا شَرَفَ النَّبَوَّةِ يَوْمَ  
الْاِثْنِينَ فِي رَمَضَانَ بَغَارِ حِرَاءَ (بِأَقْرَأُ)، أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى صَدْرِ  
سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَقْرَأْ  
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، وَرَجَعَ بِهَا يَرْجِفُ فَوَّادُهُ، فَقَالَتْ لَهُ  
خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَلَّا، وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

ما نُبِّيَ بِهِ ﷺ

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، رقم (٤٩٥٣)،  
ومسلم كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

## وَأَرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

ما أُرسل به ﷺ

(وَأَرْسِلَ) مِنَ اللَّهِ بعد فترة من الوحي (بِ) صَدْرِ سُورَةِ (الْمُدَّثِّرِ) فَإِنَّهُ لما جاءه الملك فَرَقَ منه - أي: خاف - ، فقال: دَثْرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فكانت أَوَّلُ ما أَنْزَلَ عَلَيْهِ بعد فترة الوحي، ثم حمي الوحي وتتابع، فشمَّرَ حينئذٍ عن سَاقِ الْعَزْمِ ودَعَا إِلَى اللَّهِ.

بلد النَّبِيِّ ﷺ

(وَبَلَدُهُ مَكَّةُ) أَشْرَفُ الْبَقَاعِ عِنْدَ اللَّهِ، بِهَا وُلِدَ وَنَشَأَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْهُ وَهُوَ مَعَ مُرْضِعَتِهِ السَّعْدِيَّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فِي حَضَانَةِ جَدِّهِ، ثُمَّ عَمِّهِ، وَأُوْحِيَ إِلَيْهِ بِهَا، وَبَقِيَ بِهَا بعد أَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وبعد ذلك هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بعد أَنْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ فَتَعَيَّبَ فِي الْغَارِ، ثُمَّ سَارَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنهما مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ بعد أَنْ بَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَى النُّصْرَةِ وَالْمُؤَاوَزَةِ، وَأَرَّخَتْ الْأُمَّةُ تَارِيخَهَا مِنْ مُهَاجَرِهِ ﷺ. \*

## بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛

أعظم أنواع معرفة  
النبي ﷺ

وقد ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ ﷺ جملةً مِمَّا يُعَرِّفُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ،  
وَأَعْظَمُهَا وَأَعْلَاهَا: معرفة ما بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

فَإِنَّهُ **(بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ)** يُحَذِّرُ مِنْهُ وَيُنْذِرُ مَنْ وَبَّالِهِ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ يُحْبِطُ الْعَمَلَ، وَصَاحِبُهُ مُحَلَّدٌ فِي النَّارِ،  
**(وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)** وَإِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

سبب تقديم  
المُصَنِّفِ النَّذَارَةَ  
عَنِ الشِّرْكِ

وَقَدَّمَ الْمُصَنِّفُ ﷺ النَّذَارَةَ عَنِ الشِّرْكِ قَبْلَ الدَّعْوَةِ إِلَى  
التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ هَذَا مَذْلُولُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلِأَنَّ  
الْآيَةَ ﴿فُرْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ تَقْتَضِي ذَلِكَ، فَبَدَأَ بِجَانِبِ الشِّرْكِ،  
لِكَوْنِ الْعِبَادَةِ لَا تَصِحُّ مَعَ وَجُودِ الْمُنَافِي، فَلَوْ وُجِدَتْ وَالْمُنَافِي لَهَا  
مَوْجُودٌ؛ لَمْ تَصِحَّ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ  
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾، وَلَقَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ  
قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرَّمَ مَالُهُ  
وَدَمُّهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ ثَنَّى بِالتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُ أَوْجِبُ الْوَاجِبَاتِ، وَلَا يُرْفَعُ عَمَلٌ  
إِلَّا بِهِ، وَإِذَا خَالَطَ الشِّرْكَ الْعَمَلَ أَفْسَدَهُ وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، قَالَ  
سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ  
عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد  
رسول الله، رقم (٢٣)، من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ  
\* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* . . . . .

الدليل على  
الحكمة من  
رسالته ﷺ

(وَالدَّلِيلُ) على أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ لِيُنْذِرَ عَنِ  
الشَّرِكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾) أي:  
الْمُدَّثِّرُ بِثِيَابِهِ الْمُتَغَشِّي بِهَا، وهذا من الرُّجْبِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مِنْ  
رُؤْيَا الْمَلِكِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ.

(﴿قُمْ﴾) أي: مِنْ دِثَارِكَ، (﴿فَأَنْذِرْ﴾) الْمَشْرِكِينَ عَنِ الشَّرِكِ،  
وَادْعُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ.

أَوَّلُ آيَةٍ أُرْسِلَ بِهَا  
النَّبِيُّ ﷺ، وَأَوَّلُ  
أَمْرِ أَمَرَ بِهِ

وهذه أَوَّلُ آيَةٍ أُرْسِلَ بِهَا، وَأَوَّلُ أَمْرٍ طَرَقَ سَمْعَهُ فِي حَالِ  
إِرْسَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْمَلِكَ الَّذِي جَاءَهُ بِحِرَاءٍ حِينَ أُنْزِلَ  
عَلَيْهِ ﴿اقْرَأْ﴾ وَجَلَ مِنْهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ خَائِفًا، وَقَالَ: دَثَرُونِي،  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وَبِهَذَا حَصَلَ الْإِرْسَالُ كَمَا حَصَلَ بِهِ  
﴿اقْرَأْ﴾ النَّبُوءَةُ.

(﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾) أي: عَظِّمَ رَبَّكَ عَمَّا يَقُولُ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ.

(﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾) أي: نَفْسَكَ طَهَّرْهَا عَنِ الذُّنُوبِ، كُنَى عَنِ  
النَّفْسِ بِالثَّوبِ؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ.

معنى: «الرُّجْزُ»

(﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾) أي: اتْرُكِ الْأَوْثَانَ وَلَا تَقْرِبْهَا، قَالَ

تَعَالَى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ \*

(﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ﴾) أي: لا تُعْطِ مَالَكَ مُصَانَعَةً لِيُعْطَ أَكْثَرَ  
منه، أو: لا تَمَنَّ عَلَى اللَّهِ بِعَمَلِكَ فَتَسْتَكْثِرَهُ، أو: لا يَكْثُرْ  
عَمَلُكَ فِي عَيْنِكَ، أو: لا تَضْعِفْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْخَيْرِ.  
(﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾) أي: عَلَى طَاعَتِهِ وَأَوْامِرِهِ، أَوْ عَلَى مَا  
أُودِيَْتَ فِي اللَّهِ. \*

وَمَعْنَى ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

تفسير المصنف  
لآيات صدر  
سورة المدثر

ثم شرع المصنف رحمته الله في تفسير الآيات، فقال: (وَمَعْنَى ﴿قُرْ﴾) أي: اعمل بجد ونشاط، (﴿فَأَنْذِرْ﴾) أي: أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

(يُنْذِرُ) النَّاسَ (عَنِ الشِّرْكِ) بالأقوال والأفعال التي يحصل بها المقصود؛ لأنَّ الشِّرْكَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عَصِيَ اللَّهُ بِهِ، سَأَلَ النَّبِيُّ صلوات الله وسلامه عليه: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>، وَلَا يُرْفَعُ مَعَهُ عَمَلٌ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وصاحبه مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

التَّوْحِيدُ  
دعوة  
الرُّسُل

(و) مع إنذاره عن الشِّرْكِ (يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، فَشَمَّرَ صلوات الله وسلامه عليه عَنْ سَاقِ الْعَزْمِ، وَأَنْذَرَ النَّاسَ وَأَوْذَى عَلَى ذَلِكَ هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ.

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، رقم (٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ، وبيان أعظمها بعده، رقم (٨٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَي: عَظِّمُهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَي: طَهَّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ. وَهَجَرُهَا: تَرَكُّهَا،

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَي) معناها: (عَظِّمُهُ بِالتَّوْحِيدِ)، فهو: الإلهُ الحقُّ المُستحقُّ أَنْ يُعْبَدَ وحده، لا يُشْرَكَ معه أحدٌ في عبادته، فَعَظِّمُ رَبَّكَ بِالتَّوْحِيدِ، واجعل قصدَكَ في إنذارِكَ أَنْ يُعَظَّمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ وَيَقُومُوا بِعِبَادَتِهِ، فَإِنَّهُ مَا عَظَّمَ الرَّبُّ شَيْءٌ أَجَلَ مِنْ ذَلِكَ، وَنَزَّهَهُ عَمَّا يَقُولُهُ عَبْدُهُ الْأَوْثَانُ.

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَي) معناها: (طَهَّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ)، واجعلها كُلَّهَا خَالِصَةً لَوْجِهَةِ اللَّهِ، فَالْعَمَلُ يُسَمَّى لِبَاسًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾، وَتَطْهِيرُ الْمَلَابِسِ غَيْرُ مَرَادَةٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَمْ تُفَرِّضْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَالْمَرَادُ هُنَا: الْأَعْمَالُ، أَي: طَهَّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَعْظَمُهَا: الشَّرْكَ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ»<sup>(١)</sup>.

استدلال المصنّف  
بالآية على  
الطهارة المعنوية،  
ووجه ذلك

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، و(الرُّجْزُ) المراد بها: (الْأَصْنَامُ) والأوثان التي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، (وَهَجَرُهَا: تَرَكُّهَا)، والإعراضُ

معنى: «هَجَرَ»  
الأصنام

## وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

عنها، (وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا، وَ) مِنْ (أَهْلِهَا)، فالنبي ﷺ أمر بترك الأوثان والبعد عنها، والتبرؤ منها ومن أهلها، وهذا نهج الأنبياء والمرسلين، قال تعالى عن الخليل عليه السلام: ﴿وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فلا يتم توحيد العبد حتى يتبرأ من الكفر وأهل الكفر، ويبعد عنهم، ويُنابذهم، قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وقال ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فهذه الأمة أُمِرَت بالتأسي بإبراهيم عليه السلام وأتباعه الذين كانوا معه في براءتهم من المشركين. \*

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، . . .

وقد (أَخَذَ) النَّبِيُّ ﷺ (عَلَى هَذَا) النَّهْجِ فِي بَيَانِ الشَّرْكِ،  
والإنذارِ عنه، والتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وِبَيَانِ التَّوْحِيدِ، والدَّعْوَةِ إِلَيْهِ (عَشْرَ  
سِنِينَ) وهو (يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)، وَيُنْذِرُ عَنِ الشَّرْكِ، قَبْلَ فَرْضِ  
الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ، وَقَبْلَ بَقِيَّةِ الشَّرَائِعِ.

زمن دعوة  
النَّبِيِّ ﷺ  
لِلتَّوْحِيدِ

وبهذا يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَدَعَتْ إِلَيْهِ  
الرُّسُلُ كُلُّهُمْ هُوَ: الْإِنْذَارُ عَنِ الشَّرْكِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ، والدَّعْوَةُ إِلَى  
التَّوْحِيدِ وَبَيَانُهُ وَتَوْضِيحُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وَقَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الطَّاغُوتَ﴾، وَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ ﷺ أَنَّ  
أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَّوْا بِهِ أَقْوَامَهُمْ أَنْ قَالُوا: ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ  
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وَخَاتَمَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ أَوَّلَ شَيْءٍ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ قَالَ  
لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَفْلِحُوا» رَوَاهُ  
أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

حَقِيقَةُ مَا بُعِثَ بِهِ  
النَّبِيُّ ﷺ وَسَائِرُ  
الْأَنْبِيَاءِ

فَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا بُعِثَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ هُوَ  
أَسَاسُ الْمِلَّةِ الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهِ، وَبِدُونِهِ لَا يُبْنَى شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ.  
فَالتَّوْحِيدُ هُوَ الْأَصْلُ، وَبَقِيَّةُ شَرَائِعِ الدِّينِ فَرْعٌ عَنْهُ، فَإِذَا زَالَ

(١) فِي الْمُسْنَدِ، رَقْمُ (١٦٠٢٣)، مِنْ حَدِيثِ رِبْعِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ  
الْخَمْسُ، .....

الأصل؛ زال الفرع، فكونه أخذ عشر سنين يدْعُو إلى التَّوْحِيدِ  
وَيُنْذِرُ عن الشَّرِكِ قبل أن تفرض عليه الفرائض، يدل على أنَّ  
التَّوْحِيدَ أَوْجِبُ الواجبات، ومعرفته أفرضُ الفرائض.

الإسراء والمعراج  
بالروح والجسد

(وَبَعْدَ) السَّنَوَاتِ (الْعَشْرِ) من بدء النُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ وهو في  
مَكَّةَ (عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) السَّابِعَةِ، فَأَسْرَى بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ جَمِيعاً  
من المسجد الحرام على البُرَاق<sup>(١)</sup> إلى بيت المقدس يقظة لا  
مَنَاماً، كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى  
بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا  
حَوْلَهُ﴾، ثم صَعِدَ بِهِ جَبْرِيلُ   إلى السَّمَاءِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ  
تَلَقَّاهُ مَقَرَّبُوهَا، حَتَّى جَاوَزَهُمْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، حَتَّى سَمِعَ  
صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، فَبَلَغَ مِنَ الارتفاعِ والعُلُوِّ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَكَلَّمَهُ  
اللَّهُ بِلَا وَاسِطَةٍ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى.

أين فُرِضَتْ  
الصَّلَاةُ؟

(وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ) وهو في السَّمَاءِ، وَكَانَ  
أَوَّلَ مَا فُرِضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ  
رَبِّهِ حَتَّى خَفَّفَهَا اللَّهُ إِلَى خَمْسٍ، وَقَالَ: «هِيَ خَمْسٌ - أَي: فِي

(١) البُرَاق: دَابَّةٌ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَرَقِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتُصُوعِ لَوْنِهِ  
وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، وَقِيلَ: لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ. لسان العرب (١٥/١٠)، تاج العروس  
(٥١/٢٥).

وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

العدد - ، وَهِيَ خَمْسُونَ - أي: في الأجر - «متفق عليه»<sup>(١)</sup>.

ثم هَبَطَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهَبَطَ الْأَنْبِيَاءُ مَعَهُ، وَأَمَّهُمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ رَكِبَ الْبُرَاقَ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَحَدَّثَهُمْ عَمَّا رَأَاهُ فِي مَسِيرِهِ.

**(وَصَلَّى فِي مَكَّةَ) الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ الْمَفْرُوضَةُ (ثَلَاثَ سِنِينَ)** بعد أن عُرِجَ بِهِ وَفُضِّتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ.

المدَّة التي  
صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ  
فِي مَكَّةَ

**(وَبَعْدَهَا) أي:** بعد الثلاث عشرة سنة من بعثته **(أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ)** مِنْ مَكَّةَ **(إِلَى الْمَدِينَةِ)** لِمُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْطَانِهِمْ، بَحِثَ يَتِمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ؛ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ مَنَعُوهُ أَنْ يُقِيمَ دَعْوَتَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْأَنْصَارُ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَوَّوْهُ وَنَصَرُوهُ وَأَزْرَوْهُ، حَتَّى بَلَغَ دِينَ رَبِّهِ فَانْتَشَرَ فِي الْأَفَاقِ. \*

(١) البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة، رقم (٣٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السَّمَوَاتِ وفرض الصَّلَوَاتِ، رقم (١٦٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.  
وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى  
بَلَدِ الْإِسْلَامِ، .....

ثمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعْرِيفَ الْهَجْرَةِ فَقَالَ: (وَالْهَجْرَةُ) هِيَ: (الْإِنْتِقَالُ) وَالتَّحَوُّلُ (مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)، وَكُلُّ مَنْ فَارَقَ بَلَدَهُ فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَالْمُهَاجِرَةُ فِي الْأَصْلِ: مُصَارَمَةُ الْغَيْرِ وَمُقَاطَعَتُهُ وَمُبَاعَدَتُهُ، وَسُمِّيَ الْمُهَاجِرُونَ مُهَاجِرِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمُ الَّتِي نَشَؤُوا بِهَا، وَلَحِقُوا بِدَارٍ لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا أَهْلٌ وَلَا مَالٌ حِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ.

الحكمة من  
الهجرة

وُشِرِعَتِ الْهَجْرَةُ حِفْظًا لِدِينِ الْعَبْدِ مِنَ الزَّوَالِ، أَوْ النُّقْصَانِ، وَفِرَارًا بِهِ مِنَ الْفِتَنِ، وَلِخَشْيَةِ عَدَمِ إِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الشِّرْكِ إِلَّا بِالْمُبَايَنَةِ لِأَهْلِهِ»<sup>(١)</sup> - أَي: لِأَهْلِ الشِّرْكِ - .

وَالْإِنْسَانُ يَتَأَثَّرُ بِمُجْتَمَعِهِ فِي صِلَاحِهِ وَتَقْوَاهُ، وَفِي بُعْدِهِ عَنِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، (وَ) لِهَذَا كَانَتْ (الْهَجْرَةُ فَرِيضَةً عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ) الْمُحَمَّدِيَّةِ (مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ) وَالْكَفْرِ (إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)، وَقَدْ حُكِيَ الْإِجْمَاعُ عَلَى وَجوبِهَا، وَقَدْ فَرَضَهَا اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى الصَّحَابَةِ قَبْلَ فَرَضِ الصَّوْمِ وَالْحَجِّ، وَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٩٤).

.....

تَرَكَهَا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا» رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

ومخالطة المشركين ضررٌ على الدين، وإذا كان المسلم في بلدٍ لا يَقْدِرُ على إظهار دينه والتَّصريح به وتَبْيِينِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ مُفَارَقَةُ ذَلِكَ الْوَطَنِ؛ لإظهار دينه، وَلِيَصُونَ مُعْتَقَدَهُ، فَالْقُرْبُ مِنْهُمْ فِي الْمَسْكَنِ وَنَحْوِهِ يَضُرُّ بِدِينِهِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ مُعَاشَرَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هُمْ أَقَلُّ إِيْمَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ جَرَّدَ الْإِسْلَامُ»<sup>(٢)</sup>.

والهجرة فيها منافع دينية ودنيوية للمهاجر، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ - حَفِيدُ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الهِجْرَةُ: الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهَا السَّلَامَةُ وَالْعِزُّ وَالتَّمَكُّنُ، كَمَا جَرَى ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ سَلَفًا وَخَلَفًا، وَمَصَالِحُ الْهِجْرَةِ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾»<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسُّجود، رقم (٢٦٤٥)، من حديث جرير بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٢٠).

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٢٤٠).

.....

وفي ترك الهجرة أضراراً على تاركها في دينه ودنياه، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: «المفاسد التي في ترك الجهاد موجودة في ترك الهجرة وأكثر منها، كما لا يخفى على ذوي البصائر والفهم، وكان الجهاد من ثمرتها ومصالحها، وتأمل ما وقع فيه التاركون للهجرة من سوء الحال في الدين والدنيا»<sup>(١)</sup>.

ومن له قدرة على الهجرة من ديار الشرك ولم يهاجر؛ فقد ظلم نفسه، ووقع في الإثم. \*

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٢٤٤).

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ . . . . .

استمرار الهجرة  
إلى قيام الساعة

(وَهِيَ) أي: الهجرة (بَاقِيَةٌ) وواجبة (إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)، فلا تَسْقُطُ في أيِّ زمنٍ عن هذه الأمة؛ بل وجوبها باقٍ إلى قيام الساعة، فَمَنْ كَانَ مَسْكَنُهُ بَدْيَارَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى التَّحَوُّلِ عَنْهُمْ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحْوَالُ الْبِلَادِ كَأَحْوَالِ الْعِبَادِ، فَيَكُونُ الرَّجُلُ تَارَةً مُسْلِمًا، وَتَارَةً كَافِرًا، وَتَارَةً مُؤْمِنًا، وَتَارَةً مُنَافِقًا، وَتَارَةً بَرًّا تَقِيًّا، وَتَارَةً فَاسِقًا، وَتَارَةً فَاجِرًا شَقِيًّا، وَهَكَذَا الْمَسَاكِنُ بِحَسَبِ سُكَّانِهَا، فَهِجْرَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَكَانِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَى مَكَانِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ كُتُوبُهُ وَانْتِقَالُهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

دليل وجوب  
الهجرة من  
القرآن

(وَالدَّلِيلُ) على وجوب الهجرة من القرآن؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾)، وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، فَقَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾) أَرَادَ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ الْمُوَكَّلِينَ بِنَزْعِ الرُّوحِ، وَحَالٌ مَنْ تُنَزَّعُ أَرْوَاحُهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بَتَرِكَ الْهِجْرَةَ مِنْ دِيَارِ الشُّرْكِ.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨٤/١٨).

قَالُوا فِيهِ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً  
فَنَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* . . . . .

(﴿قَالُوا فِيهِ كُنْتُمْ﴾) أي: في أي فريق كنتم؟ ولم مكثتم  
ها هنا وتركتم الهجرة؟ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع.

(﴿قَالُوا﴾) أي: الذين تركوا الهجرة: (﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي  
الْأَرْضِ﴾) أي: عاجزين عن الهجرة لا نقدر على الخروج من البلد  
ولا الذهاب في الأرض، وهم غير صادقين في ذلك.

ليس كل  
استضعاف عذراً

(﴿قَالُوا﴾) أي: قالت لهم الملائكة - مُعَاتِبَةً لَهُمْ - :  
(﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَاجِرُوا فِيهَا﴾) وهذا استفهام تقرير؛  
أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فلم لا  
تُهَاجِرُونَ إلى المدينة وتَخْرُجُونَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشَّرْكِ؟ فَلَمْ  
يُعْذَرُوا بِتَرْكِ الْهَجْرَةِ.

فحيثما كان العبد في محل لا يَتِمَّكُنُ فيه من إظهار دينه فإن  
له مُتَسَعاً وَفُسْحَةً في الأرض، يَتِمَّكُنُ فيها من عبادة الله، قال  
الله عن هؤلاء الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ: (﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ  
مَصِيرًا﴾) أي: بس المصير إلى جهنم، وهذا فيه أن تارك الهجرة  
بعدها وَجِبَتْ عليه وهو قادرٌ عليها، أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ كبيرةً من كبائر  
الذُّنُوبِ.

إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا\*.

العدر المقبول  
في التخلُّف عن  
الهجرة

(﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ﴾) أي: الضُّعفاء العاجزين عن الهِجْرَةِ  
(﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾) جَمْع وَلِيدٍ وَوَلِيدَةٍ، وَالْوَلِيدُ:  
الغُلَامُ قَبْلَ أَنْ يَحْتَلِمَ.

(﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾) أي: لا يستطيعون مُفَارَقَةَ  
المشركين، فلا يقدرّون على حِيلَةٍ، ولا على نفقة، ولا على قوَّة  
للخروج.

(﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾) أي: لا يعرفون الطَّرِيقَ إلى الخروج  
من مَكَّةَ إلى المدينة، حيث كانت بلد الإسلام، ولا يوجد آنذاك  
بلد إسلامٍ سواها.

(﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾) يتجاوز عن المستضعفين  
وأهل الأعذار بترك الهِجْرَةِ.

(﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾) مَتَّصِفًا بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ السَّيِّئَاتِ  
(﴿غَفُورًا﴾) للخطايا والأوزار، قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَزَلَتْ هَذِهِ  
الآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَامَّةً فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكِينَ وَهُوَ  
قَادِرٌ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ، فَهُوَ ظَالِمٌ  
لِنَفْسِهِ، مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ، وَبِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ»<sup>(١)</sup>. \*

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٨٩).

## وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ

حكم السفر  
إلى بلاد الكفار

وإذا كانت الهجرة مأموراً بها من بلاد الكفر، دلّ هذا على  
تحريم السفر إلى بلادهم، إلا لحاجة تدعو إلى ذلك - كعلاج  
ونحوه - ، ولا يجوز السفر إليهم عند الحاجة إلا بثلاثة شروط:

١ - أن يكون عنده علم يمنعه مما يردّ عليه من الشبهات.

٢ - أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

٣ - أن يتمكن من إظهار دينه والقيام بعبادة ربه كما أمر  
الله، وأن يحذر كلّ الحذر من موالاته المشركين.

وإذا لم يتمكن المسلم من الهجرة، فعليه أن يُظهر شعائر  
دينه - من الصلاة ونحوها - بقدر استطاعته، ويجب عليه أن  
يدعو غير المسلمين إلى هذا الدين، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ  
قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

دليل آخر من  
القرآن على  
وجوب الهجرة

(و) دليل آخر من القرآن على أن الهجرة واجبة على القادر  
عليها؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) وحدوني، و(﴿ءَامَنُوا﴾) بي  
وبرسولي، وهم مقيمون في ديار الكفر ولم يهاجروا وهم قادرون  
على الهجرة؛ هاجروا ف (﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾) لم تضيق عليكم  
فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المقام فيه، فإذا عملَ بمكانٍ  
منها بمعاصي الله ولم تقدروا على تغييره؛ فاهربوا منه إلى  
أرضي الواسعة التي تسع جميع الخلائق.

فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿١﴾.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ».

فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي أَرْضٍ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسَّعَ لَهُ الْأَرْضَ لِيَعْبُدَهُ فِيهَا كَمَا أَمَرَ، وَأَنْ يُوحِّدَهُ فِي أَرْضِهِ الْوَاسِعَةِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ بِلَدٍ تُعْمَلُ فِيهَا الْمَعَاصِي وَلَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهَا أَنْ يَهَاجِرَ مِنْهَا.

﴿فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ أَي: أَظْهَرُوا لِي الْعِبَادَةَ فِي أَرْضِي الْوَاسِعَةِ الَّتِي خَلَقْتُهَا وَمَا عَلَيْهَا لَكُمْ، وَخَلَقْتُكُمْ عَلَيْهَا لِعِبَادَتِي.

﴿قَالَ﴾ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ (الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>) فِي تَفْسِيرِهِ<sup>(٢)</sup> الَّذِي قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَلْقِي تَفْسِيرِهِ بِالْقَبُولِ وَقِرَاءَتِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ»<sup>(٣)</sup>.

﴿سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ﴾ كَمَا قَالَ مِقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ (فِي) ضَعْفَاءِ (الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ) أَقَامُوا (بِمَكَّةَ) وَلَمْ يُهَاجِرُوا مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ (نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ)<sup>(٤)</sup>، فَأَفَادَ أَنَّ تَارِكَ

حكم تارك  
الهجرة

(١) المتوفى: سنة ست عشرة وخمسة مئة (٥١٦هـ).

(٢) المسمى: «معالم التنزيل».

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٤٠٦).

(٤) قال البغوي في تفسيره (٣/ ٥٦٤)، عند قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الْآيَةِ: «قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة =

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطُعُ  
الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطَعَ التَّوْبَةُ»، .....

الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر، لكنّه عاصٍ بتركها، فهو  
مؤمن ناقص الإيمان، عاصٍ من عصاة الموحّدين المؤمنين.

دليل وجوب  
الهجرة من  
السنة

(وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ) وأنها مفروضة على هذه الأمة،  
وأنها باقية إلى قيام الساعة؛ دليل ذلك (مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ)  
- في الحديث الذي رواه أبو داود<sup>(١)</sup>، عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا  
تَنْقَطُعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطَعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ  
الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

(«لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ») أي: لا يسقط وجوب الهجرة من بلد  
الشرك إلى بلد الإسلام (حَتَّى تَنْقَطَعَ التَّوْبَةُ) أي: حتّى لا تقبل  
التوبة ممّن تاب.

فدل الحديث على أنّ التوبة ما دامت مقبولة فالهجرة واجبة  
بحالها.

المراد بحديث:  
«لَا هَجْرَةَ»

وأما قول النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ  
وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفِرْتُمْ فَاَنْفِرُوا» متفق عليه<sup>(٢)</sup>، فالمراد: لا هجرة

= من إظهار الإيمان؛ فخرجوا منها إلى أرض المدينة، ﴿إِنْ أَرْضِي﴾ يعني: المدينة  
﴿وَسِعَةً﴾: آمنة.

(١) كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، رقم (٢٤٧٩).

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٣)،  
ومسلم، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير،  
وبيان معنى «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»، رقم (١٨٦٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

بعد فتح مكة منها إلى المدينة، حيث كانت مكة بعد فتحها بلد إسلام، وقد كانت الهجرة من مكة مأموراً بها لما كانت بلد كفر، أما وقد صارت بلد إسلام فلا.

(وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)، فإذا

وجوب الهجرة  
مستمراً إلى يوم  
القيامة

طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، لم تُقْبَلِ التَّوْبَةُ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾؛ فدلَّ على أَنَّهَا تُقْبَلُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وإذا كانت التَّوْبَةُ تُقْبَلُ، فَإِنَّ الْهَجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ.

فواجبٌ على المسلم أَنْ يسعى لإصلاح نفسه بالصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ، وبالمجتمع الطَّيِّبِ، وَأَنْ يقرأ ما ينفعه في أمور دينه، وعليه أَنْ يَبْتَعدَ عن كُلِّ ما يَدْنِسُ صلاحه من مجتمع لا يحثُّه على فعل الطَّاعات، أو وسائل تغرقه بالشُّبهات والشَّهوات، أو تُوْزِّره إلى فعل المعاصي والسَّيِّئات. \*

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ؛ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ - مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ - . . . . .

وقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد ويُنذِرُ عن الشرك، ومكث تلك السنين في بيان التوحيد، والنهي عن ضده لأهميته، ثم بعد تلك المدة هاجر من مكة إلى المدينة.

متى شرعت  
بقية الشرائع؟

(فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ)، وانتشر التوحيد، وكثر أتباعه، وأقاموا الصلاة التي فرضت عليه وعليهم جماعة قبل هجرته بثلاث سنوات، (أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ) التي تعبد الله بها خلقه، إذ عامة شرائع الإسلام لم تُشرع إلا في المدينة.

(مِثْلُ: الزَّكَاةِ) المفروضة بتفصيلها المعلوم.

(وَالصَّوْمِ) المفروض في شهر رمضان.

(وَالْحَجِّ) إلى بيت الله الحرام.

(وَالْأَذَانِ) للصلوات الخمس المكتوبة.

(وَالْجِهَادِ) في سبيل الله.

(وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ) الذي عُرفَ حُسْنُهُ شرعاً وعقلاً.

(وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ) الذي عُرفَ قُبْحُهُ شرعاً وعقلاً.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوفِّيَ ﷺ .....

وغير ذلك من شرائع وأحكام الإسلام، كصلاة العيدين، والكسوف، والاستسقاء.

وقد (أَخَذَ عَلَى هَذَا) البيان والتَّعْلِيم، والدَّعْوَةُ لِبَقِيَّةِ الشَّرَائِعِ (عَشْرَ سِنِينَ) كُلُّهَا تَوْحَى إِلَيْهِ فِيهَا الشَّرَائِعُ، فَتَمَّتْ شَرِيعَةُ اللَّهِ صِدْقًا وَعَدْلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

مُدَّةُ دَعْوَةِ  
النَّبِيِّ ﷺ لِبَقِيَّةِ  
الشَّرَائِعِ

(و) بَعْدَ مَا أَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ وَبَلَغَ الْبَلَاحَ الْمُبِينِ (تُوفِّيَ ﷺ) فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ، وَقَدْ بَيَّنَّ كُلُّ مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَتَمَّ بَيَانٍ وَأَوْضَحَهُ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تَرَكْنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمَشْرُكِينَ لِسُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَدْ عَلَّمَكُمُ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ<sup>(٢)</sup>! قَالَ: فَقَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٣)</sup>.

مَتَى تُوُفِّيَ ﷺ؟

(١) فِي الْمُسْنَدِ، رَقْمُ (٢١٧٥٨).

(٢) الْخِرَاءَةُ - بَكْسَرُ الْخَاءِ وَفَتْحُهَا -: هِيَ آدَابُ التَّخَلُّيِ وَالْقُعُودِ عِنْدَ الْحَاجَةِ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (١٧/٢)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (٦٤/١).

(٣) كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْإِسْتِطَابَةِ، رَقْمُ (٢٦٢).

وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ.

وَحَفِظَ اللَّهُ دِينَهُ، (وَدِينُهُ بَاقٍ)، وهو ما تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ موجود مؤيَّد محفوظ إلى يوم القيامة، كافٍ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا؛ كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي» رواه الحاكم<sup>(١)</sup>.

(وَهَذَا دِينُهُ) الَّذِي تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَتَكَفَّلَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، تَوَارَثَهُ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالدِّينِ خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هَذَا عَهْدُ نَبِيِّنا ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ عَهِدْنَا إِلَيْكُمْ، وَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ رَبَّنَا وَفَرَضُهُ عَلَيْنَا، وَهِيَ وَصِيَّتُهُ وَفَرَضُهُ عَلَيْكُمْ»<sup>(٢)</sup>، فَجَرَى الْخَلْفُ عَلَى مَنِهْجِ السَّلَفِ، وَاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ، وَلَا يَزَالُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَدِينُهُ عَظِيمٌ مُهِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، فِيهِ أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ، وَأَجُورُهَا عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ.

و(لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ) النَّبِيُّ ﷺ (الْأُمَّةَ عَلَيْهِ) وَأَرْشَدَهَا إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، الْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ الطَّيِّبَةُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ.

(وَلَا شَرَّ) مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ (إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ) خَوْفًا عَلَى

(١) فِي الْمُسْتَدْرَكِ (١/ ٣٧١)، رَقْمُ (٣٢٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إِعْلَامُ الْمُوقِعِينَ (٩/ ٢).

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ  
اللَّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: . . . . .

أُمَّتِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَهَالِكِ، وَقَدْ بَلَغَ الدِّينَ كُلَّهُ وَبَيَّنَّ جَمِيعَهُ،  
كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ  
رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ  
قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ،  
وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

الخير الذي جاء  
به النبي ﷺ

(وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ) أَي: الْخَيْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي دَلَّ  
النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ هُوَ: (التَّوْحِيدُ)، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَأَعْظَمُهُ،  
وَهُوَ أَوْجِبُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَسَاسُ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَلَاجِلِهِ أُرْسِلَتْ  
الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ الْكُتُبُ.

(و) الْخَيْرُ الَّذِي دَلَّنَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضاً: (جَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ  
اللَّهُ وَيَرْضَاهُ) مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَقَدْ أَوْذَى  
النَّبِيُّ ﷺ وَصَبَرَ حَتَّى بَلَغَ لَنَا هَذَا الْخَيْرَ الْعَظِيمَ، قِيَاماً بِأَمْرِ اللَّهِ  
وُنُصْحاً لَنَا، وَشَفَقَةً عَلَيْنَا.

(وَالشَّرُّ) الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَأَعْظَمُهُ (الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ)

الشَّرُّ الَّذِي  
حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ

(١) كتاب الإمامة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم (١٨٤٤)، من  
حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه.

## الشُّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

النَّبِيُّ ﷺ وأَنْذَرَهَا مِنْهُ هُوَ: (الشُّرْكُ) الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيُحْبِطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ، وَصَاحِبُهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَجَمِيعَ الرُّسُلِ حَذَّرُوا أُمَّمَهُمْ مِنَ الشُّرْكِ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

(و) الشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَنَا مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا: (جَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ) وَيَبْغِضُهُ (وَيَأْبَاهُ) أَي: يَنْهَى عَنْهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. \*

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ - الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

عموم بعثة  
النبي ﷺ

وقد كانت الأنبياء تُبْعَثُ إلى أقوامها خاصة، أمّا نبينا محمد ﷺ فقد (بَعَثَهُ اللَّهُ) ﷺ (إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، حرهم وعبدتهم.

(وَافْتَرَضَ) اللَّهُ (طَاعَتَهُ) أي: جعل طاعته فرضاً (عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ) من (الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وقالت الجن: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، فرسالته شاملة إلى الجن والإنس.

الدليل على  
عموم بعثته ﷺ  
لجميع الخلق

(وَالذَّلِيلُ) على أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾) يا محمد! (﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾) مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، (﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾) يَجِبُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعِي، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>، وَكَوْنُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَرِسَالَتَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ شَرَفِهِ.

(١) البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم (٤٣٨)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

.....

فواجبٌ على جميع أهل الأديان - من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم - اتباع دين نبينا محمد ﷺ، وهذا معلومٌ من دين الإسلام بالضرورة، وهذا مقتضى رسالته، ومن لم يتبع دينه، كُتِبَ عليه الشقاء وكان من أصحاب النار، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ - يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>، ومن أطاعه وامتلأ أمره فقد رَحِمَهُ رَبُّهُ، وكان من أصحاب النعيم، قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ومن اتبع ما سواه من الأديان فدينه باطل، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. \*

(١) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.....

(وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ) أي: بنينا محمد ﷺ (الدِّينَ) من الأحكام والشرائع والأخبار فكان - بفضلِ الله - ديناً كاملاً، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فأينما نظرت إلى شيء منه وجدت الكمال والخير فيه، وما تُوفي عليه الصلاة والسلام إلا وقد بلغ جميع ما أمره الله به.

كمال الدين من  
جميع النواحي

(وَالِدَلِيلُ) على أن هذا الدين كاملٌ في شرعه وأحكامه؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ﴾) أي: يومَ عرفة والنبي ﷺ واقفٌ يخطبُ في حجة الوداع قبل وفاته بواحدٍ وثمانين يوماً<sup>(١)</sup>.

الدليل من  
القرآن على  
كمال الدين

(﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾)، وهذه أكبرُ نعم الله على هذه الأمة، حيث أكملَ لها دينها، فلا يحتاجون إلى دينٍ سواه، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر

(١) عند من يقول: أنه ﷺ تُوفي في الثاني من ربيع الأول، وهو قول سليمان التيمي، والكلبي، وخليفة بن خياط، وغيرهم، ورجحه السهيلي والحافظ العراقي، قال ابن حجر رحمه الله - في الفتح (١٣٠/٨) -: «وهو القول المعتمد». وقيل: إن النبي ﷺ تُوفي في اليوم الأول من ربيع الأول، وهو قول الليث، وابن شهاب، والفضل بن دكين، وغيرهم. وقيل: إن النبي ﷺ تُوفي في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهو قول ابن إسحاق والواقدي وأبي بكر بن حزم، وغيرهم، قال ابن كثير رحمه الله - في البداية والنهاية (٢٥٥/٥) -: «وهو القول المشهور».

وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . . . . .

والنَّوَاهِي ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾، فَمَنْ ادَّعى أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ فَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى، وَرَدَّ مَدْلُولَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَرَدَّ مَدْلُولَ قَوْلِهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود<sup>(١)</sup>.

والكاملُ لَا يُزَادُ فِيهِ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يُبَدَّلُ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ تَمَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الدِّينَ بِنَبِيِّهِ ﷺ وَأَكْمَلَهُ بِهِ، وَلَمْ يُخَوِّجْهُ وَلَا أُمَّتَهُ بَعْدَهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا نَقْلِ سِوَاهُ، وَلَا رَأْيٍ، وَلَا مَنَامٍ، وَلَا كُشُوفٍ»<sup>(٢)</sup>.

تمام النعمة

وَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ - وَهُوَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ عَلَيْنَا -، قَالَ: ﴿وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، وَمَنْ تَمَّتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ فَقَدْ أَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَأَمَّلْ كَيْفَ وَصَفَ الدِّينَ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمُ بِالْكَمَالِ، وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيْهِمُ بِالتَّامِّ، إِذَا نَأَى فِي الدِّينِ بَأَنَّهُ لَا نَقْصَ فِيهِ وَلَا عَيْبَ وَلَا خَلَلَ، وَلَا شَيْءَ خَارِجاً عَنِ الْحِكْمَةِ بِوَجْهِ، بَلْ هُوَ الْكَامِلُ فِي حُسْنِهِ وَجَلَالَتِهِ، وَوُصِفَ النِّعْمَةُ بِالتَّامِّ إِذَا نَأَى بِدَوَامِهَا وَاتِّصَالِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَسْلُبُهُمْ إِيَّاهَا بَعْدَ إِذْ أَعْطَاهُمُوهَا، بَلْ يُتِمُّهَا

(١) كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، من حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) الصواعق المرسلة (٨٢٦/٣).

## وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾.

لهم بالدوام في هذه الدار، وفي دار القرار»<sup>(١)</sup>.

**(﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾)** أي: فرضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي أحبه، ورضيه، وبعث به أفضل رسله ﷺ، وأنزل به أشرف كتبه، قال كعب: «لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَاتَّخَذُوا الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عِيدًا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>، ولأنه لا يجوز إحداث عيد في الإسلام، ولم يشرع لنا غير عيدي الأضحى والفطر؛ لذا لم تتخذ هذه الأمة اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية عيداً.

ولكمال هذا الدين وتمايمه أخبر النبي ﷺ أن كل من فعل ما لم يأمر به، وزاد في دين الله ما لم يأت به الشرع، فإن عمله باطل ومردود عليه؛ لكمال هذا الدين، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

عمل مردود

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٨٥٤).

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (٤٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم، كتاب التفسير، رقم (٣٠١٧)، من حديث طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

.....

فليفرح المسلم بهذا الدين، وليتمسك به، فهو دينٌ كاملٌ شامل، يتمنى أهلُ الأديان كلُّهم عند الموت وما بعده من أحوال الآخرة أن يكونوا من أتباعه، قال سبحانه: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، ولكن لم يُردِ الله لهم الهداية؛ لحكمةٍ منه بالغة، قال سبحانه: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. \*

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ  
وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ \* .....

مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، قَالَ ﷺ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ مِنَ الْبَشَرِ، وَوَاحِدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِيهِمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْحُزْنِ وَالْمَرَضِ وَالْمَوْتِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا تَرْفَعُهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَا نَهْضُمُهُ حَقُّهُ، فَهُوَ بَشَرٌ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِالرَّسَالَةِ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، لَا فِي حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَبَعْدَ عُمْرٍ مُبَارَكٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالْكَفَّاحِ وَالِدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ، تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ بَعْدَ ثَلَاثِ وَسْتَيْنِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَتَوَفَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ حَتَّى أَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ، وَبَلَغَ الْبَلَاحَ الْمُبِينِ، حَتَّى قَالَ ﷺ: «لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ - قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَدَقَ - وَاللَّهِ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تَرَكْنَا - وَاللَّهِ - عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ -» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (١).

الدَّلِيلُ عَلَى  
مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ

(وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ) مِنَ الْقُرْآنِ؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ (مَيِّتٌ)، وَقَدْ مَاتَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ، وَدُفِنَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ (١١هـ).

(وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ) أَيُّ: جَمِيعُ الْخَلْقِ (مَيِّتُونَ) مِثْلَكَ، فَالْجَمِيعُ سَيَمُوتُ حَتْمًا.

(١) كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ اتِّبَاعِ سَنَةِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمُ (٥)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصِمُونَ ﴿١﴾  
وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا  
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، . . . . .

(ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) ﴿١﴾ في أرض المحشر (عِنْدَ رَبِّكُمْ  
تَخْصِمُونَ) ﴿٢﴾ فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل،  
ويُجَازِي كلاً بعمله.

والموت يَجْرِي على الأنبياء وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ  
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

خاتمة «ثلاثة  
الأصول» في ذكر  
أصول شرعية

(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ)؛ فَيُجَازَى كُلُّ بِعْمَلِهِ، وَيُقْتَصَّ  
لبعضهم من بعض، حتى البهائم.

البعث بعد  
الموت، وأدلتته

والإيمان بالبعث والتشور من القبور من جملة الإيمان باليوم  
الآخر؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يشمل الإيمان بالبعث، بل  
الإيمان بالبعث هو مُعْظَمُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وهو الَّذِي كَانَ  
يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ.

(وَالذَّلِيلُ) على أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بعد الموت؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿مِنْهَا﴾) أي: من الأرض (﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾) أي: مَبْدُوكُمْ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ  
آدَمَ مخلوقٌ من ترابٍ من أديم الأرض.

(﴿وَفِيهَا﴾) أي: في الأرض (﴿نُعِيدُكُمْ﴾) إذا مِتُّم تَصِيرُونَ  
إليها فتدفنون بها، (﴿وَمِنْهَا﴾) أي: من الأرض (﴿نُخْرِجُكُمْ﴾)  
يوم البعث والحساب (﴿تَارَةً﴾) أي: مرّة (﴿أُخْرَى﴾)، كقوله:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

(و) دليلٌ آخرٌ على أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بعد موتهم؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾) أرادَ تعالى مَبْدَأَ خَلْقِ آدَمَ وَذَرِيَّتِهِ مِنَ الْأَرْضِ، (﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾) أي: في الأرض إذا مِتُّمُ (﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾) أي: ويُخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بعد الموتِ أحياءً، ويعيدُكم يومَ القيامة كما بدأكم أوَّلَ مرَّةٍ. \*

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

الإيمان بالجزاء  
والحساب

(و) الخلقُ (بَعْدَ الْبَعْثِ) وقيامهم من قبورهم: (مُحَاسِبُونَ)

على دقيق الأعمال وجليلها، صغيرها وكبيرها، كما قال سبحانه: ﴿يُبَيِّتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، وكلُّ شيءٍ مكتوبٌ في كتابٍ يُنْشَرُ في الحشر، قال ﷻ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، والميزانُ في الحشر ميزانُ حقٍّ وعدلٍ، قال ﷻ: ﴿وَنُضِعَ الْمَوْزِنَ الْأَقْسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.

(و) بعد هذا الحساب: جميعُ الخلقِ (مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ)

إِنْ كَانَتْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَرًّا فَشَرٌّ، قال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿لِيُجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

الدَّلِيلُ على  
الجزاء والحساب

(وَالدَّلِيلُ) على أَنَّ الخلقَ يُبْعَثُونَ بعد موتهم، وَيُحَاسِبُونَ

على أعمالهم؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ﴾) أي: سَيُجَازِي اللَّهُ  
(﴿الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾) العمل، من الشُّرْكَ فما دونه، سوف يجازيهم  
(﴿بِمَا عَمِلُوا﴾) من إساءة.

(﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾) في عبادة ربِّهم ووَحْدُوهُ، وَأَحْسَنُوا

إلى خلقه، وَأَخْلَصُوا له الأعمال، سوف يُثِيبُهُمْ على أعمالهم  
(﴿بِالْحُسْنَى﴾) وهي: الجنَّة، بل ولهم الزِّيَادَةُ، وهي النَّظَرُ إلى

.....

وجهه الكريم، كما قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقد فسر النبي ﷺ تلك الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم في قوله: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن حكمة الله في بعث الناس ومحاسبتهم: أنه لو لم يكن هناك جزاء ولا حساب لَظَلَمَ النَّاسُ بعضهم بعضاً، وَلَسَلَبَ بعضهم مال بعض، وَلَعَمَّتِ الفوضى في الحياة، وَمِمَّا يَحْجِزُ النَّاسَ عَنِ الْبَغْيِ وَالْمَعَاصِي: تَذَكُّرُ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، وَلَمَّا غفل الكفار عن الحساب؛ تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾.\*

(١) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، رقم (١٨١)، من حديث ضُهِيب بن سنان الرُّومِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

كفر من كذب  
بالبعث، ودليله

وشأن البعث عند الله عظيم، فهو من أركان الإيمان، (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ)؛ لِتَكْذِيبِهِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ.

(وَالِدَلِيلُ) على كُفْرٍ من أَنْكَرَ البعث؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ﴾) أي: ادَّعى وظن (الَّذِينَ كَفَرُوا) ضلالاً منهم (أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) للحساب والجزاء، وقد حَكَمَ اللَّهُ بكفرهم؛ لِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، فدل على أَنَّ إنْكَارَ الْبَعْثِ كفر، بل هو من أعظمِ كُفْرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لهذا قال اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ! (﴿قُلْ﴾) لمنكري البعث: (﴿بَلَى﴾) سَتُبْعَثُونَ، واحْلِفْ لَهُمْ - يَا مُحَمَّدُ! - يَمِيناً بِاللَّهِ، قَائِلاً فِيهَا: (﴿وَرَبِّي﴾) وَخَالِقِي (﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾) يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ، (﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾) وَتُجَاوَزُونَ عَلَيْهَا.

الاستدلال  
بالبداية على  
العودة

(﴿وَذَلِكَ﴾) أي: البعث بعد الموت (﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾) سهلٌ لَا يُعْجِزُهُ، فهو سبحانه على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وَالَّذِي قَدَّرَ عَلَى النَّشْأَةِ الْأُولَى، قَادِرٌ عَلَى إِنْشَاءِ الْإِنْسَانِ مَرَّةً أُخْرَى، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

فإذا كان الإنسان معدوماً لم يوجد، ثم خلقه الله من طين،

.....

فَإِنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَعِيدَهُ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْمًا أَحَدٌ» رواه البخاري<sup>(١)</sup>. \*

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، رقم (٤٩٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

الحكمة من  
إرسال الرُّسُل،  
ودليلها

(وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ) مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، كُلُّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ.

(مُبَشِّرِينَ) مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ بِالْجَنَّةِ.

(وَمُنْذِرِينَ) وَمُحَذِّرِينَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ.

(وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا﴾) أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَى النَّاسِ ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الطَّاعَاتِ هِيَ التَّوْحِيدُ، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ مَنْ عَصَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْعَصَاةَ مِنَ النَّارِ، وَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَالْعَصْيَانِ هُوَ الشُّرْكُ، فَلَمْ يَدْعِ الرَّبُّ خَلْقَهُ يَهْيُمُونَ فِي حَيْرَةٍ يَبْحَثُونَ عَنِ الْحَقِّ؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَدُلُّهُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُطَالِبْهُمْ بِسُوءِ الْإِتِّبَاعِ، وَقَدْ لَقِيَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ فِي سَبِيلِ دَعْوَةِ النَّاسِ الْإِبْتِلَاءَ وَالْإِيْذَاءَ فَصَبَرُوا حَتَّى بَلَغُوا رِسَالَةَ رَبِّهِمْ.

بالرُّسُل قطع  
الحُجَّة

(﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾) أَي: قَطْعاً لِحُجَجِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِئَلَّا يَقُولُوا: مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً، وَمَا أَنْزَلْتَ إِلَيْنَا كِتَاباً، فَاِنْقَطَعَتْ حُجَّةُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ بِإِرسالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ، وَتَبْيِينِ الْحَقِّ لَهُمْ، وَرَكْزِ الْفِطْرِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْمُعْتَذِرِ عَذْرٌ لِأَنَّ اللَّهَ

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَخْرَهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ؛  
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

أرسل الرُّسُلَ تَتَرَى، رسول يَخلف رسولاً، يُبَيِّنون للنَّاسَ أَمْرَ  
دينهم ومَراضِي ربِّهم ومَسَاحِطَهُ، وطَرَقَ الْجَنَّةَ، وطَرَقَ النَّارَ، فَمَن  
كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَكَ طَرِيقَ الشَّقَاءِ.

**(وَأَوَّلُهُمْ)** أي: أَوَّلُ الرُّسُلِ **(نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ)**، وكان بينَ نوحٍ وبين  
أَدَمَ عشرة قرون، كُلُّهُمْ على الإسلام، فَلَمَّا حَدَثَ الشَّرْكُ بسبب  
الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا، وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى  
أَهْلِ الْأَرْضِ.

أَوَّلُ الرُّسُلِ

**(وَأَخْرَهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ثبت  
ذلك بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

أَخِرُ الرُّسُلِ

**(وَالدَّلِيلُ)** على أَنَّ أَخْرَهُمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكِتَابِ؛ **(قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ  
النَّبِيِّينَ﴾)**، وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» متفق  
عليه <sup>(١)</sup>.

الدَّلِيلُ على ختم  
الرُّسُلِ بِنَبِيِّنَا  
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٥٥)،  
ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعَةِ الخلفاء الأول فالأول، رقم  
(١٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ  
نُوحًا ﷺ  
أَوَّلَ الرُّسُلِ

(وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ) ﷺ من القرآن؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ - مُحَمَّدٌ! - ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى﴾ (أَوَّلِ الرُّسُلِ) ﴿نُوحٍ﴾ ﷺ ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعدِ نوح، فهو أَوَّلُ رسول، وأول نذيرٍ عن الشُّرك.

والدليلُ من السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ؛ ما وَرَدَ في حديثِ الشَّفَاعَةِ: أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى آدَمَ؛ «فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأما عددُ الأنبياء: فقال أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِئَّةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا» رواه ابن حبان<sup>(٢)</sup>، منهم مَنْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا أَمْرَهُ، ومنهم

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف، رقم (٣٦١).

.....

مَنْ لَمْ يَقْضِ عَلَيْنَا أَمْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، فَأَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى الْحُجَّةَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ. \*

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا - مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

دعوة  
جميع الرُّسل

(وَكُلُّ أُمَّةٍ) أي: جماعة (بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا) يدعوهم إلى التَّوْحِيدِ وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ.

بَدَأَ (مِنْ نُوحٍ) ﷺ، وهو أوَّلُ رَسولٍ إلى أهل الأرض، (إِلَى مُحَمَّدٍ) ﷺ وهو آخر الرُّسل، وخَاتَمُهُمْ، وأَفْضَلُهُمْ، وأكثرُهُمْ تَابِعًا.

وَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا؛ إِقَامَةً مِنْهُ تَعَالَى لِلْحُجَّةِ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِيضَاحًا لِلْمَحَجَّةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَنْفَعُ مَنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

(يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ) فكلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى هَذَا، وهو الَّذِي بُعِثَ بِهِ جَمِيعُ الرُّسل، وَدَعَوَتُهُمْ كُلَّهُمْ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

(وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ) وَالتَّبَرِّي مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا، فَخِلَاصَةُ جَمِيعِ رِسَالَاتِ الرُّسل هِيَ: الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الشِّرْكِ.

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ  
الرُّسلَ بُعِثُوا  
بِالدَّعْوَةِ إِلَى  
التَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ  
عَنِ الشِّرْكِ

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾) وَقَوْمُ (رَسُولًا) يَأْمُرُهُمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ قَائِلًا لَهُمْ: (أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ) وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

(﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾) بِالْكَفْرِ بِهِ.

.....

فَأَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَتْ بِهِ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ هُوَ: التَّوْحِيدُ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ أَوَّلَ أَمْرٍ بَدَأَ بِهِ نُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَلُوطٌ وَشُعَيْبٌ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ قَالُوا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

لماذا الاهتمام  
بالتَّوْحِيدِ؟

ومعرفتك عظمة التَّوْحِيدِ تَصْرِفُ هَمَّتَكَ إِلَيْهِ، وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ غَايَةُ جَهْدِكَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَضَادُّهُ، فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَهْتَمَّ غَايَةَ الْإِهْتِمَامِ بِمَعْرِفَةِ أَصْلِ الدِّينِ قَبْلَ الْوَاجِبِ مِنَ الْفُرُوعِ - كَالزَّكَاةِ، وَالصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ -، فَلَا تَصَحُّ الصَّلَاةُ وَلَا الزَّكَاةُ قَبْلَ الْأَصْلِ، فَلَا بَدْءَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَصْلِ الدِّينِ، ثُمَّ مَعْرِفَةِ فُرُوعِهِ، وَفِي حَدِيثٍ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

وَهَذَا يَفِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ فَلَا يَدْعُوهُمْ لِلصَّلَاةِ إِنْ لَمْ يَطِيعُوهُ فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ

(١) البخاري، كتاب الزكاة، باب؛ لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم (١٤٥٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، رقم (١٩)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

الصَّلَاةَ وَغَيْرَهَا لَا تَنْفَعُ بَدُونَ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ بِنَاءٌ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ، وَلَا فَرْعٌ عَلَى غَيْرِ أَصْلٍ، وَالْأَصْلُ وَالْأُسَاسُ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَالصَّلَاةُ - وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ - لَمْ تُفَرَضْ إِلَّا بَعْدَ الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ بِنَحْوِ عَشْرِ سَنِينَ.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الْأَصْلُ: أَنَّهُ يُوجَدُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَوْ لَمْ يُصَلِّ رَكْعَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَعَمِلَ بِهِ وَمَاتَ مَتَمَسِّكاً بِهِ، كَمَنْ يُسَلِّمُ ثُمَّ يُقْتَلُ شَهِيداً بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَقَبْلَ أَنْ يَحِينَ عَلَيْهِ وَقْتُ صَلَاةٍ، قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقَاتِلْ أَوْ أَسْلِمْ؟ قَالَ: أَسْلِمْتُ ثُمَّ قَاتِلْ، فَأَسْلَمْتُ ثُمَّ قَاتِلْ؛ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَمِلَ قَلِيلاً، وَأَجَرَ كَثِيراً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup>.

العمل بلا  
توحيد لا ينفع

وَالصَّلَاةُ لَا تَنْفَعُ وَحْدَهَا مَعَ عَدَمِ التَّوْحِيدِ، وَكَذَا لَوْ زَكَّى وَصَامَ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُ هَبَاءً إِذَا لَمْ يَعْرِفِ التَّوْحِيدَ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَعْتَقِدُهُ فِي قَلْبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾، وَبِذَلِكَ يُعَرَفُ عِظَمُ شَأْنِ إِفْرَادِ اللَّهِ

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال، رقم (٢٨٠٨)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٨٩٩)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

بالعبادة، وما هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِلَّا بتركِ العلم بالتَّوْحِيدِ، والعملِ به، وقد دخل الشَّيْطَانُ عَلَى مَنْ دَخَلَ فِي بَابِ الشَّرْكِ، مِنْ آفَةِ قَوْلِهِمْ: يكفي في الإسلام النُّطْقُ بالشَّهَادَتَيْنِ، ويجب على العبد أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَجْرَدَ المعرفة والنُّطْقُ بها دون العلم بمعناها والعمل بمقتضاها ودون الاحتراز من نواقضها لا تَنفَعُ صاحبها.

ومعرفة التَّوْحِيدِ والشَّرْكِ سهلٌ هَيِّنٌ، مِنْ أَهْوَنِ مَا يَكُونُ وَأَسْهَلُهُ إِجْمَالًا، ففِي زَمَنِ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَعْرِفُونَ التَّوْحِيدَ وَالشَّرْكَ، فَمَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ يتركُ الشَّرْكَ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ باطلٌ مُنافٍ لكَلِمَةِ الإخلاص، ولهذا لَمَّا دَعَاهُم النَّبِيُّ ﷺ إِلَى التَّوْحِيدِ وَقَالَ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَفْلِحُوا» رواه أحمد<sup>(١)</sup>، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ﴾، وَأَمَّا حِينَ كَثُرَتِ الشُّبُهَاتُ: صَعِبَ مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ، وَالتَّخَلُّصُ مِنْ ضِدِّهِ، وَكَثُرَ النِّفَاقُ، وَصَارَ الْكَثِيرُ يَقُولُ الشَّهَادَةَ وَيَعْبُدُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا، وَيُظَنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ فَقَطْ، دُونَ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، أَوِ التَّلَفُّظِ بِهَا دُونَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهَا وَالْعَمَلِ بمقتضاها. \*

(١) فِي الْمُسْنَدِ، رَقْمُ (١٦٠٢٣)، مِنْ حَدِيثِ رِبْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ،  
وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «مَعْنَى  
الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ . . . . .»

ركنا التَّوْحِيدِ؛  
الكفر بالطَّاغُوتِ،  
والإيمان بالله

(وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ) أي: أوجبَ (عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ) - من إنسٍ  
وجنٍّ، وذكرٍ وأنثى، عربيٍّ أو عجميٍّ، حرٍّ أو عبدٍ - (الْكُفْرَ  
بِالطَّاغُوتِ) والتَّبَرُّؤَ مِنَ الْآلِهَةِ وَأَهْلِهَا، واعتقاد بطلانها، وأنها لا  
تنفع ولا تضر، (وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ) أي: إفراده بالعبادة وحده دون سواه.  
وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَلَمْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ، لَا يُسَمَّى مُوَحِّدًا، وَمَنْ  
كَفَرَ بِالطَّاغُوتِ وَلَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ، لَا يُسَمَّى مُوَحِّدًا، إِنَّمَا الْمُوَحِّدُ مَنْ  
جَمَعَ بَيْنَ رَكْنَيْ التَّوْحِيدِ، وهما: الكفر بالطَّاغُوتِ، والإيمان  
باللَّهِ، كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ  
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾، فَمَنْ كَفَرَ بِالطَّاغُوتِ  
وآمَنَ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا.

(قَالَ) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (ابْنُ الْقَيِّمِ) تعريف الطَّاغُوتِ  
- الْجَوْزِيَّةُ<sup>(١)</sup> - (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) رحمةً واسعة، وأسكنه أعلى  
جناته، قال في (مَعْنَى الطَّاغُوتِ)<sup>(٢)</sup> هو: (مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ  
حَدَّهُ) أي: قدره الَّذِي ينبغي له في الشَّرْعِ، إذا فعل ذلك صار

(١) المتوفى: سنة إحدى وخمسين وسبع مئة (٧٥١هـ).

(٢) ذكره في إعلام الموقعين (٩٢/٢).

– مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ –.

بِخُرُوجِهِ مِنْهُ وَتَجَاوُزِهِ طَاغُوتًا، سِوَاءِ كَانِ هَذَا الطُّغْيَانُ، أَوْ التَّعَدِّي وَالتَّجَاوُزُ:

(مِنْ مَعْبُودٍ) مَعَ اللَّهِ، بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

(أَوْ) مِنْ (مَتَّبُوعٍ) فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ عُلَمَاءُ الشُّوْءِ الدَّاعِينَ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَيَدْخُلُ كَذَلِكَ الْكُفَّانُ وَالسَّحَرَةُ الَّذِينَ يُتَّبَعُونَ فِيمَا يَقُولُونَ.

(أَوْ) مِنْ (مُطَاعٍ) مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، بِأَنْ يُحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، أَوْ يُحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِذَا تَأَمَّلْتَ طَوَاغِيَتَ الْعَالَمِ، فَإِذَا هِيَ لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ»<sup>(١)</sup>. \*

وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ - لَعْنَهُ  
اللَّهُ - ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، . . . . .

(و) إِذَا عَرَفْتَ مَا بَيْنَهُ وَأَوْضَحَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْرِيفِ  
الطَّوَاعِيتِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ (الطَّوَاعِيتَ) مِنَ الْخَلْقِ (كَثِيرَةٌ) جَدًّا،  
وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ فِي الشَّرْعِ صَارَ بِخُرُوجِهِ مِنْهُ  
وَتَجَاوُزِهِ طَاغُوتًا.

(وَرُؤُوسُهُمْ) أَي: زَعَمَؤُهُمْ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّأَمُّلِ (خَمْسَةٌ):

رُؤُوسُ الطَّوَاعِيتِ

إِبْلِيسُ: رَأْسُ  
الطَّوَاعِيتِ

أَوَّلُهُمْ: (إِبْلِيسُ) الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، وَهُوَ رَأْسُهُمُ الْأَكْبَرُ، فَقَدْ  
تَجَاوَزَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَعَصَاهُ، وَارْتَكَبَ مَا نَهَاكَ عَنْهُ، وَهُوَ الدَّاعِي  
إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ أَوَّلُ الطَّوَاعِيتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ  
إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، وَقَدْ  
(لَعَنَهُ اللَّهُ) فَهُوَ مَطْرُودٌ مُبْعَدٌ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:  
﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

مَنْ عُبِدَ  
وَهُوَ رَاضٍ

(و) الثَّانِي: (مَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ الصَّادِرَةِ مِنْ  
الْعَابِدِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا، فَهُوَ طَاغُوتٌ مِنْ رُؤُوسِ الطَّوَاعِيتِ  
وَكِبْرَائِهِمْ، سِوَاءَ عُبِدَ فِي حَيَاتِهِ، أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِذَا مَاتَ وَهُوَ  
رَاضٍ بِذَلِكَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ  
فَذَلِكُمْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ  
الْغَيْبِ، .....

مَنْ دَعَا النَّاسَ  
إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ

(و) الثالثُ من الطَّوَاعِيتِ: (مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ)  
كفرعون، وأهل الضَّلال الذين غرضهم العلوُّ في الأرض والفساد  
واتِّخاذ النَّاسَ لهم أرباباً من دون الله، أو الإِشْرَاقَ بهم في  
حياتهم أو بعد مماتهم، كما قال تعالى - إخباراً عن فرعون أنَّه  
قال -: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾، فَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى  
عِبَادَةِ نَفْسِهِ - وَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ - فَإِنَّهُ مِنْ رُّؤُوسِ الطَّوَاعِيتِ، سواء  
أجابوه إلى ما دعا إليه أم لَمْ يُجِيبُوهُ، لأنَّ العِبَادَةَ لَا تُصَرَفُ إِلَّا  
لِلَّهِ، وَمَنْ دَعَا إِلَى صَرْفِ الْعِبَادَةِ عَنِ اللَّهِ إِلَى نَفْسِهِ فَقَدْ طَغَى  
وَأَتَى بِأَعْظَمِ الْبُهْتَانِ.

مَنْ ادَّعَى  
عِلْمَ الْغَيْبِ

(وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) كما يَزْعُمُهُ الْكَاهِنُ  
ونحوه، فهو الرَّأْسُ الرَّابِعُ من الطَّوَاعِيتِ، وما يَزْعُمُهُ كَذِبٌ  
وخديعةٌ على عامَّةِ النَّاسِ، قال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا  
يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، فَإِنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، لَا تَعْلَمُهُ  
الملائكة والأنبياء، ولا مَنْ دُونَهُمْ مِنَ الْجِنِّ أَوِ السَّحَرَةِ أَوِ  
الْكُهَّانِ، وهذا من تمامِ إَحْكَامِ الْخَلْقِ، وَكَمَالِ الْهَيْمَنَةِ، وَعِظْمَةِ  
الرُّبُوبِيَّةِ، قال سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ  
إِلَّا اللَّهُ﴾، وقال سبحانه: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا  
يُشْرِكُونَ﴾، ولانفرادِ اللَّهِ بعِلْمِ الْغَيْبِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَاهُ فَهُوَ

## وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

كاذب، قالت عائشة رضي الله عنها: «سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ» متفق عليه <sup>(١)</sup>.

مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

## (و) الخَامِسُ مِنَ الطَّوَاعِيتِ: (مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)

كَمَنْ يُحَكِّمُ الْقَوَانِينَ الْجَاهِلِيَّةَ، أَوْ يُحَكِّمُ بِشَيْءٍ مِنْ وَضْعِ الْبَشَرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، وَقَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فَاللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْأَحْكَامَ الْعَادِلَةَ الَّتِي تَفْصِلُ فِي حُكُومَاتِهِمْ؛ فَفَرَضَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى شَرْعِهِ. \*

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق، رقم (٦٢١٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم (٢٢٢٨).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ  
مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ . . . . .

معنى: ﴿لَا  
إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

(وَالدَّلِيلُ) على أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ على جميع العباد الكفرَ  
بالطَّاغُوت والإيمانَ بالله؛ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾)  
أي: لا تُكْرَهُوا أحداً على الدُّخُولِ في الإسلام؛ لكمالهِ وقبولِ  
الفطرة له، ولأنَّه بَيِّنٌ واضحٌ جليٌّ في دلائله وبراهينه، لا يحتاج  
أن يُكْرَهَ أحدٌ على الدُّخُولِ فيه، فَمَنْ هداه الله للإسلام وشرح  
صدره ونور بصيرته دخل على بينة، وَمَنْ أَعْمَى الله قلبه وختم  
على سَمْعِهِ وبَصَرِهِ فَإِنَّهُ لَا يَفِيْدُهُ الدُّخُولُ في الدين وهو مُكْرَه.

ولا مُنَافَاة بين هذه الآية والآيات الدَّالَّة على وجوب  
الجهاد؛ لأنَّ الجِهَادَ مَشْرُوعٌ لِقِتَالِ كُلِّ مَنْ وَقَفَ في وجهِ  
الإسلام، ولا يُلْزَمُ النَّاسَ وَيُكْرَهُهُمْ على الدُّخُولِ في الإسلام،  
لأنَّه (﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾) أي: ظَهَرَ وَتَمَيَّزَ الْحَقُّ من  
الباطل، والإيمانُ من الكفر، والهدى من الضَّلال، بالآيات  
والبراهين الدَّالَّة على ذلك، فإذا تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغيِّ فَإِنَّ كُلَّ  
نفسٍ سليمة لا بدَّ أن تختار الرُّشْدَ على الغيِّ.

(﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾) بِخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ وَيَتَبَرَّأَ مِنْهَا  
وَمِنْ أَهْلِهَا، فقد حَقَّقَ الرُّكْنَ الْأَوَّلَ من رُكْنَيْ التَّوْحِيدِ، قال  
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «صفةُ الكفرِ بالطَّاغُوتِ: أَنْ

صفة الكفر  
بالطَّاغُوت

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى . . . . .

تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَتَتْرُكَهَا وَتَبْغُضَهَا، وَتَكْفُرَ أَهْلَهَا وَتُعَادِيَهُمْ»<sup>(١)</sup>، والكفرُ بالطَّاغُوتِ شرطٌ في قبول العبادات، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يكفي أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ وَيَحِبَّهُ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَيُنِيبَ إِلَيْهِ وَيَخَافَهُ وَيَرْجُوهُ، حَتَّى يَتْرِكَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَخَوْفَهُ وَرَجَاءَهُ وَيَبْغِضَ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

معنى:  
«الْإِيمَانُ بِاللَّهِ»

(﴿و﴾) مَنْ (﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾)، وَيُفْرِدُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَيُخْلِصُ لَهُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ؛ فَقَدْ حَقَّقَ الرُّكْنَ الثَّانِي مِنْ رُكْنِي التَّوْحِيدِ، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، وَتُخْلِصَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَتَنْفِيَهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَتُحِبَّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ وَتُؤَالِيَهُمْ، وَتُبْغِضَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَتُعَادِيَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

فَمَنْ حَقَّقَ رُكْنِي التَّوْحِيدِ - وَهُمَا: الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ - : (﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾) أَي: تَمَسَّكَ (﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾) وَهِيَ: التَّوْحِيدُ، وَالْعُرْوَةُ هِيَ: مَوْضِعُ شَدِّ الْيَدِ، وَالْوُثْقَى هِيَ: الْقَوِيَّةُ.

(١) مجموعة رسائل في التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ (ص ٤٧٦).

(٢) شفاء العليل (ص ١٧٠).

(٣) مجموعة رسائل في التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ (ص ٤٧٦).

لَا أَنْفَصَامَ لَهَا<sup>هـ</sup> وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>ع</sup>، وَهَذَا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، .....

(﴿لَا أَنْفَصَامَ لَهَا<sup>هـ</sup>﴾) أي: لَا تَنْفَكُ وَلَا تَنْفَصِمُ، أي: قد ثَبَتَ في أَمْرِهِ وَاسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِالتَّوْحِيدِ وَكَفَرَ بِالطَّاغُوتِ؛ وَصَلَ الْجَنَّةَ بِكُلِّ حَالٍ.

(﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>ع</sup>﴾) للأقوال، (﴿عَلِيمٌ<sup>ع</sup>﴾) بِكُلِّ شَيْءٍ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(وَهَذَا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>هـ</sup>)؛ فَإِنَّ مَعْنَى (لَا إِلَهَ) الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَ(إِلَّا اللَّهُ) الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالِاسْتِسْلَامَ لِأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ، وَبَدَأَ بِالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ قَبْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ مِنْ كِمَالِ الشَّيْءِ إِزَالَةَ الْمَوَانِعِ قَبْلَ وَجُودِ الثَّوَابِتِ. \*

معنى:  
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

## وَفِي الْحَدِيثِ : . . . . .

(وَفِي الْحَدِيثِ) الطَّوِيلِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(١)</sup>، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ.

قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ - وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - : تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ.

قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا.

(١) أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٦١٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

«رَأْسُ الْأَمْرِ: الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلَاةُ، . . . . .»

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!».

رأس الدين:  
الإسلام

(رَأْسُ الْأَمْرِ) يعني: رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو (الْإِسْلَامُ) يعني: شهادة ألا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فمن التزم بها دخل الإسلام.

وأراد المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ الاستدلال بهذا الحديث على أَنَّ لِكُلِّ شيءٍ رأساً، فرأس الأمر الذي جاء به محمدٌ ﷺ الإسلام، فمن ادَّعى الاستجابة لله ورسوله وهو لم يقبل الحقَّ ويدخل في الدين؛ فقد كذب وافترى.

عمود الدين:  
الصَّلَاةُ

(وَعَمُودُهُ) أي: الدين؛ (الصَّلَاةُ)، وهذا يُبَيِّنُ عِظَمَ شَأْنِ الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا مِنَ الدِّينِ بهذا المكان العظيم، وهو أَنَّ مكانَهَا مِنَ الدِّينِ مكانَ العمود من الفُسْطَاط<sup>(١)</sup>، فكما أَنَّ عمودَ الفُسْطَاطِ إِذَا سَقَطَ سَقَطَ الفُسْطَاطُ، فكذلك إِذَا فَقَدَتِ الصَّلَاةُ سَقَطَ دِينُ تَارِكِهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُ دِينٌ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا قِوَامُ الدِّينِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الدِّينُ كَمَا يَقُومُ الفُسْطَاطُ عَلَى عَمُودِهِ فَهِيَ

(١) أي: الخيمة، والفُسْطَاطُ: بيت من شعر. لسان العرب (٩/١٢٦)، مختار الصحاح (ص٢٣٩).

.....

الصَّلَاةُ»<sup>(١)</sup>، لَأَنَّ مُجَرَّدَ تَرْكِ الصَّلَاةِ كَفَرٌ مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

حكم تارك  
الصَّلَاةِ

وهذا الحديث من الأدلة على أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ كَسَالاً فهو كافر، ومن الأدلة - أيضاً - على أَنَّ مَنْ تَرَكَهَا كَفَرَ؛ قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ: تَرْكَ الصَّلَاةِ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>، وقال عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ» رواه مالك<sup>(٣)</sup>.

وهي مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاسْطَةً، وَقَدْ كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُبُ إِلَى عُمَايَةَ: «إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا؛ حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ» رواه مالك<sup>(٤)</sup>، وَهِيَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَتُورِثُ الْخُشُوعَ وَالْخَشْيَةَ مِنَ اللَّهِ. \*

(١) جامع العلوم والحكم (٢/١٤٦).

(٢) كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كتاب وقوت الصلاة، العمل فيمن غلبه الدَّم من جرحٍ أو رُعافٍ، رقم (١١٧)، من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) في الموطأ، كتاب وقوت الصلاة، رقم (٩).

## وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ذِرْوَةُ الدِّينِ:  
الْجِهَادُ

(وَذِرْوَةُ) - ذِرْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ وَأَرْفَعُهُ - (سَنَامِهِ) وَالسَّنَامُ هُوَ: أَعْلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ.

ومعنى ذِرْوَةُ سَنَامِ الْبَعِيرِ، أَي: أَعْلَى جُزْءٍ فِي سَنَامِهِ، وَهَكَذَا الدِّينُ ذِرْوَةُ سَنَامِهِ وَعَلُوُّ أَمْرِهِ وَرَفَعْتُهُ وَعَزَّزْتُهُ: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ»<sup>(١)</sup>، لِأَنَّ بِهِ صِيَانَةَ الدِّينِ وَحِمَايَتَهُ، وَبِهِ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَالْإِزَامَهُمْ بِالْحَقِّ، فَهُوَ ذِرْوَةُ سَنَامِهِ مِنْ جِهَةٍ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ.

فَالْجِهَادُ هُوَ أَعْلَى وَأَرْفَعُ خِصَالِ الدِّينِ، قَالَ ابْنُ دَقِيقٍ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْجِهَادُ لَا يُقَاوِمُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ»<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، قَالَ: لَا أَجِدُهُ، قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟! قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٣)</sup>، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِيهِ بَذْلَ الْمُهِجِ الَّتِي لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَسَ مِنْهَا، فَيَبْذُلُ مُهِجَتَهُ وَيَبْذُلُ مَالَهُ؛ لِظُهُورِ الدِّينِ وَتَأْيِيدِهِ،

(١) جامع العلوم والحكم (٢/١٤٦).

(٢) شرح الأربعين لابن دقيق العيد (ص ١٦٩).

(٣) كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٥)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

ولما فيه من جهاد الكفار والمنافقين، فبذلك استحقَّ أن يكون من الدِّين بهذه المكانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرِّفٍ نُجِيِّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال ﷺ: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فضائل الجهاد  
في سبيل الله

وقد جاءت نصوصٌ عديدةٌ في فضائله، وما أعدَّ الله للمجاهدين من عظيم الثواب، كقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَقَّاهُ: أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا، مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» متفق عليه<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ؛ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والجهادُ عملٌ مشكورٌ لصاحبه في الظاهر لا محالة، وهو مع النِّيَّةِ الحسنة مشكورٌ

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، رقم (٢٧٨٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم (١٨٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٨)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم (١٨٨٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

## وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ظاهراً وباطناً، وَوَجْهُهُ شُكْرُهُ: نَصْرُهُ لِلسُّنَّةِ وَالدينِ»<sup>(١)</sup>.

وقد أعدَّ الله للمجاهدين درجات عالية في جنَّات النعيم، قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِثَّةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

والجهاد ركنٌ من أركان الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كمالُ الإسلام هو بالأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمامُ ذلك بالجهاد في سبيل الله»<sup>(٣)</sup>، وهو برهانُ إيمان العبد إذا صدَّق فيه مع الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله»<sup>(٤)</sup>.

الجهاد ركن  
من أركان الدين

ثم ختم المصنّف رَحِمَهُ اللهُ هذا المصنّف العظيم بِرَدِّ الْعِلْمِ إِلَى مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، فقال: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُوَحِّدِينَ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً. \*

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩/٤).

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين، رقم (٢٧٩٠)، من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٠/١٠).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٢/٣).

## فَهْرُسُ الْمَرَايِجِ





## فَهْرُسُ الْمَوْضُوعَاتِ

|    |                                                                                                             |
|----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٥  | ..... <b>المُقدِّمة</b>                                                                                     |
| ٥  | ..... موضوع «ثلاثة الأصول»                                                                                  |
|    | ..... الشيخ محمد بن عبد الوهاب يلقّن الطّلبة والعامة «ثلاثة                                                 |
| ٦  | ..... الأصول»                                                                                               |
| ٦  | ..... رسائل صُدّرت بها «ثلاثة الأصول»                                                                       |
| ٧  | ..... الوُلاة يأمرّون العامة بتعلّم «ثلاثة الأصول» وفهمها                                                   |
| ٧  | ..... واجب أئمة المساجد تعليم المُصلّين «ثلاثة الأصول»                                                      |
| ٨  | ..... سبب تأليف هذا الشّرح                                                                                  |
| ٩  | ..... تَرْجَمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّيْمِيّ رَحِمَهُ اللهُ |
| ٤١ | ..... <b>تَيْسِيرُ الْوُصُولِ؛ شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ</b>                                              |
|    | ..... <b>الرَّسَالَةُ الْأُولَى مِنْ الرِّسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي صُدِّرَتْ بِهَا «ثَلَاثَةُ</b>         |
| ٤٣ | ..... <b>الأصول»</b>                                                                                        |
| ٤٣ | ..... مشروعِيَّةُ الْإِبْتِدَاءِ بِالْبِسْمَةِ                                                              |
| ٤٣ | ..... شرح البسملة                                                                                           |
| ٤٣ | ..... الرَّسَالَةُ الْأُولَى: أَرْبَعُ مَسَائِلَ وَاجِبُ تَعْلُمُهَا                                        |
| ٤٤ | ..... الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْعِلْمُ                                                                    |

- ٤٤ ..... العلم الواجب
- ٤٦ ..... معرفة الله
- ٤٦ ..... ثمرة معرفة الله
- ٤٧ ..... معرفة النَّبِيِّ ﷺ
- ٤٧ ..... معرفة دين الإسلام
- ٤٨ ..... أوَّل ما يُسألُ عنه العبدُ في القبر
- ٤٨ ..... حكم توحيد الله بدون معرفة الدليل
- ٥٠ ..... فضل طلب العلم
- ٥١ ..... حاجة النَّاس إلى العلم
- ٥١ ..... طلب العلم أفضل من الجهاد
- ٥٢ ..... أفضل النَّوافل
- ٥٢ ..... بماذا يَنْصَحُ العلماء؟
- ٥٣ ..... العلم الشرعي هو الممدوح في النُّصوص
- ٥٤ ..... الدليل إلى الله وإلى الجنة
- ٥٤ ..... أضرار الجهل
- ٥٥ ..... المسألة الثانية: العمل بالعلم
- ٥٥ ..... العالمُ مَنْ عَمِلَ بعلمه
- ٥٦ ..... عدم العمل بما علم
- ٥٧ ..... العمل بلا علم

|    |                                                                        |
|----|------------------------------------------------------------------------|
| ٥٨ | المسألة الثالثة: الدَّعوة إلى الله .....                               |
| ٥٨ | أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ .....                                            |
| ٥٩ | أَعْلَى مَرَاتِبِ الدَّعوة .....                                       |
| ٥٩ | أَتْبَاعُ الرُّسُلِ حَقًّا .....                                       |
| ٥٩ | أَجْرُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ .....                                   |
| ٦٠ | حَاجَةُ النَّاسِ إِلَى الدَّعوة .....                                  |
| ٦١ | مَجَالَاتُ الدَّعوة .....                                              |
| ٦١ | وَعِيدٌ مَنْ تَرَكَ الدَّعوة إِلَى اللَّهِ .....                       |
| ٦٢ | المسألة الرابعة: الصَّبْرُ عَلَى أَذِيَّةِ النَّاسِ فِي الدَّعوة ..... |
| ٦٢ | تَعْرِيفُ الصَّبْرِ، وَحَقِيقَتُهُ .....                               |
| ٦٣ | كَيْفُ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ؟ .....                        |
| ٦٣ | أَذِيَّةُ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ .....          |
| ٦٥ | عَاقِبَةُ الصَّبْرِ .....                                              |
| ٦٥ | مَعِيَّةُ اللَّهِ لِلصَّابِرِ .....                                    |
| ٦٦ | بَشَارَةُ اللَّهِ لِلصَّابِرِينَ .....                                 |
| ٦٦ | مَرَاتِبُ جِهَادِ النَّفْسِ .....                                      |
| ٦٨ | دَلِيلُ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ .....                                 |
| ٦٩ | دَلَالَةُ الْإِيمَانِ عَلَى الْعِلْمِ .....                            |
| ٧٠ | الدِّينُ: إِيْمَانٌ وَعِلْمٌ وَعَمَلٌ وَصَبْرٌ .....                   |

- ٧١ ..... منزلة سورة العصر
- ٧١ ..... مراتب الكمال الإنساني
- ٧٢ ..... مرتبة العلم قبل القول والعمل
- ٧٤ ..... **الرَّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الرِّسَالِ الثَّلَاثِ الَّتِي صُدِّرَتْ بِهَا «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ» ..**
- ٧٤ ..... الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ: وجوب تعلُّم ثلاث مسائل، والعمل بهنَّ
- ٧٥ ..... المسألة الأولى: في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ
- ٧٦ ..... ثواب مَنْ أطاع الرُّسُولَ ﷺ
- ٧٦ ..... عقوبة مَنْ عصى الرُّسُولَ ﷺ
- ٧٧ ..... دليل رسالة نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ لنا
- ٧٧ ..... الحذر مِنْ تكذيب الرُّسُولِ ﷺ
- ٧٩ ..... المسألة الثَّانِيَّةُ: في توحيد الألوهِيَّةِ
- ٧٩ ..... العبادة حق الله وحده
- ٨٠ ..... دليل وجوب التَّوْحِيدِ والنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ
- ٨٢ ..... المسألة الثَّلَاثَةُ: في الولاء والبراء
- ٨٢ ..... دليل الولاء والبراء
- ٨٤ ..... جزاء مَنْ حَقَّقَ الولاء والبراء
- ٨٦ ..... الولاء والبراء أصلٌ مِنْ أصول الدِّينِ
- ٨٦ ..... الكافر عدوٌّ لله وللمؤمنين
- ٨٧ ..... حال المؤمنين مع الكفَّار

- ٨٨ ..... وجوب العدل في الولاء والبراء
- ٨٩ ..... محبة المشركين تنقسم إلى: التولي والمؤالاة
- ٩٠ ..... الفرق بين التولي والمؤالاة
- ٩١ ..... صور من مؤالاة وتولي المشركين
- ٩٣ ..... المشابهة في الظاهر
- ٩٤ ..... الولاء والبراء مع أهل الفسق
- ٩٥ ..... عاقبة من حقق البراء
- ٩٦ ..... **الرَّسَالَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الرَّسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي صُدِّرَتْ بِهَا «ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ» ..**
- ٩٦ ..... الرسالة الثالثة: بيان الحنيفية
- ٩٦ ..... معنى الحنيفية، والحنيف
- ٩٧ ..... ملّة جميع المرسلين
- ٩٧ ..... حقيقة دين الحنفاء
- ٩٨ ..... صلاح النفس بالتوحيد
- ٩٧ ..... صلاح القلب في الإخلاص لله
- ١٠٠ ..... التوحيد أعظم الفروض علماً وعملاً
- ١٠٠ ..... أهميّة التوحيد
- ١٠٠ ..... القرآن كله في التوحيد
- ١٠٢ ..... الخصومة في توحيد الألوهية
- ١٠٢ ..... أقسام التوحيد

- أَعْظَمُ ذَنْبٍ فِي الْأَرْضِ ..... ١٠٣
- قَبَائِحُ الشُّرْكِ ..... ١٠٤
- تَعْرِيفُ الشُّرْكِ ..... ١٠٤
- عَاقِبَةُ الشُّرْكِ ..... ١٠٥
- أَوْجِبُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَعْظَمُ الْمَحْرَمَاتِ ..... ١٠٥

### الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ ..... ١٠٧

- الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الْوَاجِبُ مَعْرِفَتُهَا، وَالْعَمَلُ بِهَا ..... ١٠٧
- أَهْمِيَّةُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ..... ١٠٧
- أَهْمِيَّةُ مَعْرِفَةِ الدِّينِ ..... ١٠٧
- أَهْمِيَّةُ مَعْرِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ ..... ١٠٨
- فَائِدَةُ إِجْمَالِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ ..... ١٠٨
- أَهْمِيَّةُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ ..... ١٠٨

### الأَصْلُ الْأَوَّلُ ..... ١١٠

- الأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ..... ١١٠
- دَلِيلُ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ ..... ١١١
- دَلَائِلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ: الْآيَاتُ، وَالْمَخْلُوقَاتُ ..... ١١٣
- دَلَالَةُ الْآيَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ..... ١١٣
- مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةُ الْمَشَاهِدَةُ بِالْأَبْصَارِ ..... ١١٤
- مِنْ أَعْظَمِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ..... ١١٥

- ١١٧ ..... الدَّلِيلُ عَلَى بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
- ١١٨ ..... دَلِيلُ الْمَخْلُوقَاتِ
- ١١٩ ..... تَفَرُّدُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
- ١٢٠ ..... الرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ
- ١٢٠ ..... مِنْ أَفْعَالِ الرَّبِّ تَعَالَى
- ١٢١ ..... تَقْرِيرُ الْأُلُوهِيَّةِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالْإِحْتِجَاجِ بِمَا أَقْرَأُوا عَلَى مَا أَنْكَرُوا ..
- ١٢٢ ..... مَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فَلَيْسَ بِعَابِدٍ لِلَّهِ
- ١٢٢ ..... مَدْلُولُ تَفَرُّدِ اللَّهِ بِالْخَلْقِ
- ١٢٤ ..... فَضْلُ تَنْوُعِ الْعِبَادَاتِ
- ١٢٥ ..... أَجَلُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ
- ١٢٦ ..... أَنْوَاعُ مِنَ الْعِبَادَاتِ
- ١٢٨ ..... الْعِبَادَةُ حَقُّ اللَّهِ وَحْدَهُ
- ١٢٨ ..... حُكْمُ مَنْ صَرَفَ أَيَّ عِبَادَةٍ لِغَيْرِ اللَّهِ
- ١٢٩ ..... الْفَرْقُ بَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ
- ١٢٩ ..... الدَّلِيلُ عَلَى كُفْرِ مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ
- ١٣١ ..... الدُّعَاءُ: عِبَادَةٌ
- ١٣٢ ..... دَلِيلٌ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ
- ١٣٤ ..... الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ: عِبَادَةٌ
- ١٣٤ ..... الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ

- دليل أَنَّ الخوف عبادة ..... ١٣٥
- خوف الأنبياء من الله تعالى ..... ١٣٥
- فضل الخوف من الله تعالى ..... ١٣٧
- أركان العبادة ..... ١٣٨
- أقسام الخوف ..... ١٣٩
- الخوف الذي هو شركٌ أكبر ..... ١٣٩
- الخوف الذي هو شركٌ أصغر ..... ١٣٩
- الخوفُ الطَّبيعي ..... ١٤٠
- كيف تَنْزِعُ خوفك من البشر؟ ..... ١٤٠
- الرجاء: عبادة ..... ١٤٢
- الفرق بين الرجاء والتَّمني ..... ١٤٢
- حقيقة الرجاء ..... ١٤٢
- أنواع الرجاء ..... ١٤٢
- ثمرة الرجاء ..... ١٤٣
- محركات القلوب ..... ١٤٣
- متى يَقْوَى الرجاء؟ ..... ١٤٥
- دليل أَنَّ الرجاء عبادة ..... ١٤٧
- رجاء غير الله فيما لا يَقْدِر عليه إلا الله ..... ١٤٨
- رجاء غير الله مَذَلَّة ..... ١٤٨

|     |                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------|
| ١٥١ | التَّوَكُّلُ: عبادة                                      |
| ١٥١ | منزلةُ التَّوَكُّلِ                                      |
| ١٥٢ | حقيقةُ التَّوَكُّلِ                                      |
| ١٥٢ | كمالُ التَّوَكُّلِ                                       |
| ١٥٤ | أنواعُ التَّوَكُّلِ                                      |
| ١٥٤ | توَكُّلُ الاضطرار                                        |
| ١٥٤ | توَكُّلُ الاختيار                                        |
| ١٥٥ | أقسامُ التَّوَكُّلِ                                      |
| ١٥٦ | متى يَقْوَى التَّوَكُّلُ؟                                |
| ١٥٦ | التَّوَكُّلُ عبادة قلبية                                 |
| ١٥٧ | دليلُ التَّوَكُّلِ                                       |
| ١٥٧ | جزاء المُتَوَكِّلِ                                       |
| ١٥٨ | جزاء نفيس لم يأت في شيءٍ من العبادات إلا في التَّوَكُّلِ |
| ١٥٩ | راحةُ النَّفْسِ                                          |
| ١٦١ | معنى الرَّغْبَةِ                                         |
| ١٦١ | الفرقُ بين الرَّغْبَةِ والرَّجَاءِ                       |
| ١٦١ | معنى الرَّهْبَةِ                                         |
| ١٦٢ | معنى الخشوع                                              |
| ١٦٣ | دليلُ أَنَّ الرَّغْبَةَ والرَّهْبَةَ والخشوع عبادة       |

- معنى الخشية ..... ١٦٤
- دليل أَنَّ الخشية عبادة ..... ١٦٤
- ثمرة الخشية ..... ١٦٥
- العالمُ حقًّا ..... ١٦٥
- العِزَّةُ في الخشية ..... ١٦٦
- الإِنَابَةُ: عبادة ..... ١٦٧
- الفرق بين الإِنَابَةِ والتَّوْبَةِ ..... ١٦٧
- الإِنَابَةُ دَأْبُ الْأَنْبِيَاءِ ..... ١٦٨
- ثمرات الإِنَابَةِ ..... ١٦٩
- تفاوت العباد في الإِنَابَةِ ..... ١٧٠
- دليل الإِنَابَةِ ..... ١٧٠
- معنى الاستعانة ..... ١٧١
- دليل الاستعانة ..... ١٧١
- مَدَارُ الدِّينِ ..... ١٧١
- ما يُعِينُ عَلَى الاستعانة ..... ١٧٢
- أَنْفَعُ الدُّعَاءِ ..... ١٧٣
- الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه ..... ١٧٣
- الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه ..... ١٧٤
- معنى الاستعاذة ..... ١٧٥

- ١٧٥ ..... الاستعاذة: عبادة
- ١٧٥ ..... الحياةُ مَلِيئَةٌ بِالْآفَاتِ وَالْمَكَارِهِ
- ١٧٦ ..... دليل أَنَّ الاستعاذة عبادة
- ١٧٦ ..... الاستعاذة أهمُّ من النَّفْسِ وَالطَّعَامِ
- ١٧٨ ..... الاستعاذة بالمخلوق الحيِّ الحاضر فيما يَقْدِرُ عليه
- ١٧٩ ..... الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يَقْدِرُ عليه
- ١٨٠ ..... معنى الاستغاثة
- ١٨٠ ..... الفرقُ بين الدُّعاء والاستغاثة
- ١٨٠ ..... الفرقُ بين الاستغاثة والاستعاذة
- ١٨١ ..... دليل أَنَّ الاستغاثة عبادة
- ١٨١ ..... استغاثة شركيَّة
- ١٨٢ ..... استغاثة جائزة
- ١٨٣ ..... الذَّبْحُ: عبادة
- ١٨٣ ..... دليل الذَّبْحِ
- ١٨٤ ..... صورٌ من الذَّبْحِ الشُّرْكِيِّ
- ١٨٤ ..... دليلٌ آخر على الذَّبْحِ
- ١٨٦ ..... معنى النَّذْرِ
- ١٨٦ ..... دليل النَّذْرِ ووجه الدَّلالة
- ١٨٦ ..... النَّذْرُ لغير الله شرك

١٨٧ ..... حكم النَّذْرِ لِلَّهِ

١٨٩ ..... **الأصلُ الثاني**

١٨٩ ..... الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة

١٩١ ..... تعريف الإسلام

١٩٢ ..... رأس الإسلام وُضْدَاهُ

١٩٣ ..... الطَّاعَةُ مِنَ الْإِسْلَامِ

١٩٤ ..... أعظم أسباب منع الانقياد

١٩٥ ..... حقيقة الإسلام

١٩٥ ..... الأسُس التي يقوم عليها الإسلام

١٩٥ ..... ركنا التَّوْحِيدِ

١٩٦ ..... حكم مَنْ يُصَحِّحُ مُعْتَقَدَ الْمُشْرِكِينَ

١٩٦ ..... وجوب محبة المسلم لدينه

١٩٨ ..... مراتب الدِّينِ إجمالاً

١٩٩ ..... الفرقُ بين الإسلام والإيمان

٢٠٠ ..... الدَّلِيلُ عَلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ مِنَ الْقُرْآنِ

٢٠٠ ..... تفاضل النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ

٢٠١ ..... المَرْتَبَةُ الْأُولَى، وَأَرْكَانُهَا

٢٠٢ ..... أعظم أركان الإسلام

٢٠٢ ..... معنى الشَّهَادَةِ

- العلاقة بين الشَّهادتين ..... ٢٠٣
- دليل شهادة ألا إله إلا الله ..... ٢٠٥
- معنى شهادة ألا إله إلا الله ..... ٢٠٦
- المشركون مُقَرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة ..... ٢٠٧
- التَّوحيد الذي جاءت به الرُّسل ..... ٢٠٧
- ركنًا كلمة التَّوحيد ..... ٢٠٩
- الاحتجاج بتوحيد الرُّبوبيَّة على توحيد الألوهيَّة ..... ٢٠٩
- شروط كلمة التَّوحيد ..... ٢١٠
- دليل تفسير كلمة التَّوحيد ..... ٢١٧
- لا يزال في ذريَّة إبراهيم مَنْ يَدِينُ بالتَّوحيد ..... ٢١٧
- كلمة التَّوحيد ولاء وبراء ..... ٢١٨
- مَنْ تَلَفَّظ بالشَّهادة فقط لا يدخل الجنَّة ..... ٢١٨
- أدلة أخرى على تفسير كلمة التَّوحيد ..... ٢١٨
- ماذا يفعل مَنْ دعا إلى التَّوحيد إذا امتنع المدَّعوون عن ذلك؟ .. ٢١٩
- دليل شهادة أَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ ..... ٢٢١
- معنى شهادة أَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ ..... ٢٢٣
- المتابعة للنبي ﷺ تُعْظِمُ التَّوحيد في النَّفس ..... ٢٢٣
- دليل الصَّلَاة، والزَّكَاة، وتفسير التَّوحيد ..... ٢٢٦
- دليل الصَّيام ..... ٢٢٧

|     |       |                                    |
|-----|-------|------------------------------------|
| ٢٢٧ | ..... | حكمة فرض الصَّيام                  |
| ٢٢٧ | ..... | دليل الحجِّ                        |
| ٢٢٩ | ..... | المرتبة الثَّانية: الإيمان         |
| ٢٢٩ | ..... | شُعَبُ الإيمان                     |
| ٢٣٠ | ..... | مراتب شُعَبُ الإيمان               |
| ٢٣١ | ..... | الفرقُ بين مرتبتي الإسلام والإيمان |
| ٢٣٣ | ..... | خصائص أركان الإيمان                |
| ٢٣٣ | ..... | الإيمان بالله                      |
| ٢٣٤ | ..... | الإيمان بالملائكة                  |
| ٢٣٤ | ..... | الإيمان بالكتب                     |
| ٢٣٥ | ..... | الإيمان بالرُّسل                   |
| ٢٣٦ | ..... | الإيمان باليوم الآخر               |
| ٢٣٧ | ..... | الإيمان بالقَدَر                   |
| ٢٣٧ | ..... | مراتب القَدَر                      |
| ٢٣٧ | ..... | العلم                              |
| ٢٣٧ | ..... | الكتابة                            |
| ٢٣٧ | ..... | المشيئة                            |
| ٢٣٨ | ..... | الخلق                              |
| ٢٣٩ | ..... | دليل الأركان الخمسة الأولى         |

- ٢٤٠ ..... دليل الرُّكنِ السَّادِسِ
- ٢٤٢ ..... المرتبة الثالثة: الإحسان
- ٢٤٢ ..... علاقة الإخلاص بالإحسان
- ٢٤٣ ..... الفرقُ بين الإحسان والإيمان والإسلام
- ٢٤٤ ..... أهل الإحسان
- ٢٤٦ ..... ركن الإحسان
- ٢٤٦ ..... أدلّة مرتبة الإحسان
- ٢٤٩ ..... دليل مراتب الدِّين، وأركان كلِّ مرتبة
- ٢٥٠ ..... سبب تعجُّب الصَّحابة رضي الله عنهم
- ٢٥١ ..... أدب الطَّالِبِ
- ٢٥١ ..... أركان الإسلام
- ٢٥٣ ..... تعجُّب آخر من الصَّحابة رضي الله عنهم
- ٢٥٤ ..... أركان الإيمان
- ٢٥٦ ..... ركن الإحسان
- ٢٥٨ ..... علْمُ السَّاعَةِ
- ٢٥٨ ..... معنى: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا»
- ٢٦٠ ..... الجواب عمّا لا يعلم
- ٢٦٠ ..... حكم قول: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»

أهميّة حديث جبريل ..... ٢٦٠

## الأصلُ الثالث ..... ٢٦٢

الأصل الثالث: معرفة النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٢

أهميّة معرفة النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٢

وجه كون معرفة النَّبِيِّ ﷺ من أصول الدّين ..... ٢٦٣

ما تَنَتَّظُمُهُ معرفة النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٤

نسب النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٤

ولادة النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٧

الاحتفال بمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٧

عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٧

زمن نبوّة النَّبِيِّ ﷺ، ورسالته ..... ٢٦٨

ما نُبِّئُ بِهِ ﷺ ..... ٢٦٨

ما أُرْسِلَ بِهِ ﷺ ..... ٢٦٩

بلد النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٦٩

أعظم أنواع معرفة النَّبِيِّ ﷺ ..... ٢٧٠

سبب تقديم المُصَنِّفِ النَّذَارَةَ عَنِ الشُّرْكِ ..... ٢٧٠

الدَّلِيلُ عَلَى الْحِكْمَةِ مِنْ رِسَالَتِهِ ﷺ ..... ٢٧١

أَوَّلُ آيَةٍ أُرْسِلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَوَّلُ أَمْرٍ أُمِرَ بِهِ ..... ٢٧١

معنى: «الرُّجُزُ» ..... ٢٧١

- ٢٧٣ ..... تفسير المُصنِّف لآيات صَدْرِ سورة المدثر
- ٢٧٣ ..... التَّوْحِيد دعوة الرُّسُل
- ٢٧٤ ..... استدلال المُصنِّف بالآية على الطَّهارة المعنويَّة، ووجه ذلك
- ٢٧٤ ..... معنى: «هَجَرَ الْأَصْنَامَ»
- ٢٧٦ ..... زمن دعوة النَّبِيِّ ﷺ للتَّوْحِيد
- ٢٧٦ ..... حقيقة ما بُعث به النَّبِيُّ ﷺ وسائر الأنبياء
- ٢٧٧ ..... الإسراء والمعراج بالروح والجسد
- ٢٧٧ ..... أين فُرِضَت الصَّلَاةُ؟
- ٢٧٨ ..... المدة التي صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ في مَكَّة
- ٢٧٩ ..... تعريف الهجرة
- ٢٧٩ ..... الحكمة من الهجرة
- ٢٧٩ ..... حكم الهجرة
- ٢٨٢ ..... استمرار الهجرة إلى قيام السَّاعة
- ٢٨٢ ..... دليل وجوب الهجرة من القرآن
- ٢٨٣ ..... ليس كُلُّ استضعاف عذراً
- ٢٨٤ ..... العذر المقبول في التَّخَلُّف عن الهجرة
- ٢٨٥ ..... حكم السَّفر إلى بلاد الكفَّار
- ٢٨٥ ..... دليل آخر من القرآن على وجوب الهجرة
- ٢٨٦ ..... حكم تارك الهجرة

- ٢٨٧ ..... دليل وجوب الهجرة من السنة
- ٢٨٧ ..... المراد بحديث: «لَا هِجْرَةَ»
- ٢٨٨ ..... وجوب الهجرة مستمرٌّ إلى يوم القيامة
- ٢٨٩ ..... متى شُرِّعَتْ بَقِيَّةُ الشَّرَائِعِ؟
- ٢٩٠ ..... مَدَّةُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِبَقِيَّةِ الشَّرَائِعِ
- ٢٩٠ ..... متى تَوَفَّى ﷺ؟
- ٢٩١ ..... الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
- ٢٩٢ ..... الْخَيْرَ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
- ٢٩٢ ..... الشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ
- ٢٩٤ ..... عَمُومُ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ
- ٢٩٤ ..... الدَّلِيلُ عَلَى عَمُومِ بَعْثَةِ ﷺ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ
- ٢٩٦ ..... كَمَالُ الدِّينِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي
- ٢٩٦ ..... الدَّلِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى كَمَالِ الدِّينِ
- ٢٩٧ ..... تَمَامُ النِّعْمَةِ
- ٢٩٨ ..... عَمَلُ مُرَدُّودٍ
- ٣٠٠ ..... مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٣٠٠ ..... الدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ
- ٣٠١ ..... **أُصُولٌ شَرْعِيَّةٌ**
- ٣٠١ ..... خَاتَمَةُ «ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» فِي ذِكْرِ أُصُولٍ شَرْعِيَّةٍ

- ٣٠١ ..... البعث بعد الموت، وأدلتّه
- ٣٠٣ ..... الإيمان بالجزاء والحساب
- ٣٠٣ ..... الدليل على الجزاء والحساب
- ٣٠٥ ..... كفر مَنْ كَذَّبَ بالبعث، ودليله
- ٣٠٥ ..... الاستدلال بالبداة على العودة
- ٣٠٧ ..... الحكمة من إرسال الرُّسل، ودليلها
- ٣٠٧ ..... بالرُّسل قطع الحجّة
- ٣٠٨ ..... أوّل الرُّسل
- ٣٠٨ ..... آخر الرُّسل
- ٣٠٨ ..... الدليل على ختم الرُّسل بنبيِّنا محمدٍ ﷺ
- ٣٠٩ ..... الدليل على أَنَّ نوحاً عليه السلام أوّل الرُّسل
- ٣١١ ..... دعوة جميع الرُّسل
- ..... الدليل على أَنَّ الرُّسل بُعثوا بالدَّعوة إلى التَّوحيد والنَّهي عن
- ٣١١ ..... الشُّرك
- ٣١٢ ..... لماذا الاهتمام بالتَّوحيد؟
- ٣١٣ ..... العمل بلا توحيد لا ينفع
- ٣١٥ ..... ركنا التَّوحيد؛ الكفر بالطَّاغوت، والإيمان باللَّه
- ٣١٥ ..... تعريف الطَّاغوت
- ٣١٧ ..... رؤوس الطَّاواغيت

- ٣١٧ ..... إبليس: رأس الطَّواغيت
- ٣١٧ ..... من عُبدَ وهو راضٍ
- ٣١٨ ..... مَنْ دعا النَّاسَ إلى عبادة نفسه
- ٣١٨ ..... مَنْ ادَّعى علمَ الغيب
- ٣١٩ ..... مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله
- ٣٢٠ ..... معنى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾
- ٣٢٠ ..... صفة الكفر بالطَّاغوت
- ٣٢١ ..... معنى: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ»
- ٣٢٢ ..... معنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
- ٣٢٤ ..... رأس الدِّين: الإسلام
- ٣٢٤ ..... عمود الدِّين: الصَّلَاة
- ٣٢٥ ..... حكم تارك الصَّلَاة
- ٣٢٦ ..... ذِروَةُ الدِّين: الجهاد
- ٣٢٧ ..... فضائل الجهاد في سبيل الله
- ٣٢٨ ..... الجهاد ركنٌ من أركان الدِّين
- ٣٢٩ ..... **فَهْرَسُ الْمَرَاجِعِ**
- ٣٣١ ..... **فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ**





---

دار الدليقان للنشر والتوزيع

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع

+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨





